

ANCORA IMPARO



البصيرة

العدد ١٥ مجلد ٣ اعرف نفسك بنفسك : فيثاغورس نوفمبر سنة ١٩٢٨

تولستوى

فى يوم ٢٨ أغسطس الماضى كان قد مضى على ميلاد الكونت ليون تولستوى مائة عام . فقد ولد مثل هذا اليوم فى سنة ١٨٢٨ ، وتوفى سنة ١٩١٠ .

الكونت ليون تولستوى ليس روسى الاصل . فان جد أسرة تولستوى وكان اسمه بطرس اندرييفتش المائى الاصل ، سكن روسيا فى زمن الامبراطور بطرس الاكبر . أما ابنه نيقولاس ، والد ليون تولستوى ، فقد ولد فى سنة ١٧ ، وعاش فى أرياف روسيا بعد أن خدم فى الجيش زماناً غير طويل . وكان زواج الكونت نيقولاس من الاميرة ماريا فولكونسكى سبباً فى أن تسترد الأسرة مجدها القديم وكانت قد أخذت فى الإضمحلال خلال عقدين متواليين من الزمان . وكان ليون تولستوى أصغر أولادها وخامس أطفالها من الذكور ، وفقد والدته عندما كان فى الثالثة من عمره . ومات أبوه بعد وفاة أمه بست سنين ، وهو فى الحادية والاربعين .

ولم تظهر على ليون تولستوى علائم النجابة في صغره على الرغم من أنه كان دقيق الملاحظة كثير التفكير . غير أنه كان مربع التأثير شديد الحساسية ، حتى لقد خيل إليه أنه موضع الإهمال وقلة العناية من أخوته وأخواته ، وثبتت هذه الفكرة في عقله حتى أنه كان يجد في الهرب من الاطمئال الذين يجتمعون من حوله أثناء اللعب ، ويحبس نفسه في حجرة منفرداً عن الناس . وانتقد وصف الكونت تولستوى إحدى الحالات التي استمكنت من نفسيته خلال طفولته ، إذ خيل إليه أن الموت ينتظره عن كثب ، وأن السعادة تنحصر في أن يفعل الإنسان ما يشاء وأن ينتهز فرصة الظرف الحاضر ، من غير أن يجول للتفكير في المستقبل أقل اعتبار في نظره .

ولما تملكته هذه الفكرة (الابيقورية) التي جانبها بكتبه وأوراقه ، واتخذ من فراشه مرتعاً للكسل والاستسلام لغريب التصورات ، وسعى وراء اللذة يأتيها كيف شاء وعمد الى الصويحبات يألف من رافت له منهن ، والى القصص يقرأ منها ما أَرْضَى نزعته ووافق مشربه . غير أن طفولة ليون تولستوى لم تكن خلواً من المصائب . فالصيد والقتل ، وهما إحدى مسببات نبلاء الروس في ذلك العهد ، كانا من الأشياء التي عكف عليها أبوه ، وكان من عادة ليون أن يرافق أباه في مصايده ومطارده منذ نعومة أظفاره . ولم يكن قصر أبيه خلواً من أنواع التسلية الأخرى ، فالعربات الفخمة والخيول المطهمة لم تكن تنقصه ، وكذلك صنوف الأبهة وضروب العظمة التي كانت تحف نبلاء روسيا في ذلك العهد البائد .

وعلى الرغم مما كان في قاعة التدريس من خشونة وفضاظة ، فإن الذكريات القديمة قد ظلت حية في عقل ليون الصغير ، فقد بقيت ، كما كتب عن نفسه ، حية مشبوبة ، وكانت تراجعها حيناً بعد حين كنبيع فائض يزوده على الدوام بأحلى الذكريات .

وبعد أن مات أبوه في موسكو سنة ١٨٣٧ عهد بليون وأخوته الى عمهم « الكونتس اوستن هاكن » ، كما عنيت بالقيام عليهم إحدى قريباتهم

البعيدات النسب بهم ، وكانت تدعى مدام « إرغو لسكيا » وماتت عمتهم في سنة ١٨٤٠ ، فعهد بهم الى عممة اخرى تدعى مدام « جشكوف » كانت تسكن في مدينة « قازان » . وكانت عمتهم هذه مثال المرأة الروسية ممن هن في منزلاتها من الذبل والكرامة . فقد كان بيتها « مفتوحا » على مصراعيه للزائرين والزائرات ، محبة لاهو والمرح والمجتمعات . أما آراؤها في مسائل الآداب فكانت مثال الحرية المنطرفة ، التي قد تبلغ حد الاباحة في بعض الاحيان . وكان ليون في الحادية عشرة من عمره عندما ظلمته عنايته ووقع تحت تأثيرها . ذلك التأثير العميق الذي قال ليون في نضجه أنه كان بعيدا عن النفع والهدى .

وعهد الى معلم فرنسوي أن يقوم على تعليم ليون واخوته توطئة لدخولهم الكلية في مدينة قازان . وكان ليون علي النقيض من أخوته ، يقضى ساعات فراغه في زهات طويلة منفردا مع تأملات عميقة في الحياة ومشاكلها ، او في مكان للرياضة البدنية . وهنا تجد أن الدافعين الطبيعي والفلسفي قد نما في نفس ليون منذ صغره ، وكان لهما من الصراع مواقف في التناحر مواقع في نفس ليون تولستوي شهداها في سنى حياته الطويلة . على أن الظاهر أن الدافع الفلسفي لم يتغلب على الدافع الطبيعي العملي في نفس تولستوي الا بعد أن صار شيخا هدمته الايام وعجمت عوده السنون .

ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره ، وكان ذلك في سنة ١٨٤٣ ، التحق بجامعة قازان . على ان ليون لم يخرج من الجامعة بعد ذلك الا وبيده وثائق التعايم العالي ، على الرغم من أن جامعة قازان لم تكن في ذلك الحين معتبرة من معاهد الثقافة العليا . غير أن ليون تولستوي قد نال مع اجازاته اجازة اخرى هي لدى الحقيقة اثن من كل الوريقات التي تزود بها الجامعات الناجحين من طلابها . نال اجازة باستقلاله عملا وفكرا وهنا اخذ تولستوي يستقبل حياة طويلة حافلة بشتى الاعمال الخالدة .



الكونت تولستوى

وكان من الطبيعي أن يتطلع شاب في مركز تولستوى الاجتماعى وقوة عقله وصادق يقينه بحق النوع البشرى فى الحياة السعيدة الطيبة ، الى اصلاح مايمكن اصلاحه من حالات بلاداء فى عصر سادت فيه الفوضى واصبحت العبودية قانون العمل والعمال ، والفرق بين المالك والعامل ، شريعة الاجتماع . فحاول ان يصلح وحاول أنه يؤثر فى الجو المحيط به ، فافلح قليلا واخفق فى كثير فى مشروعاته حتى تلك التى حاول أن يفرضها على زراع أرضه الخاصة . ذلك

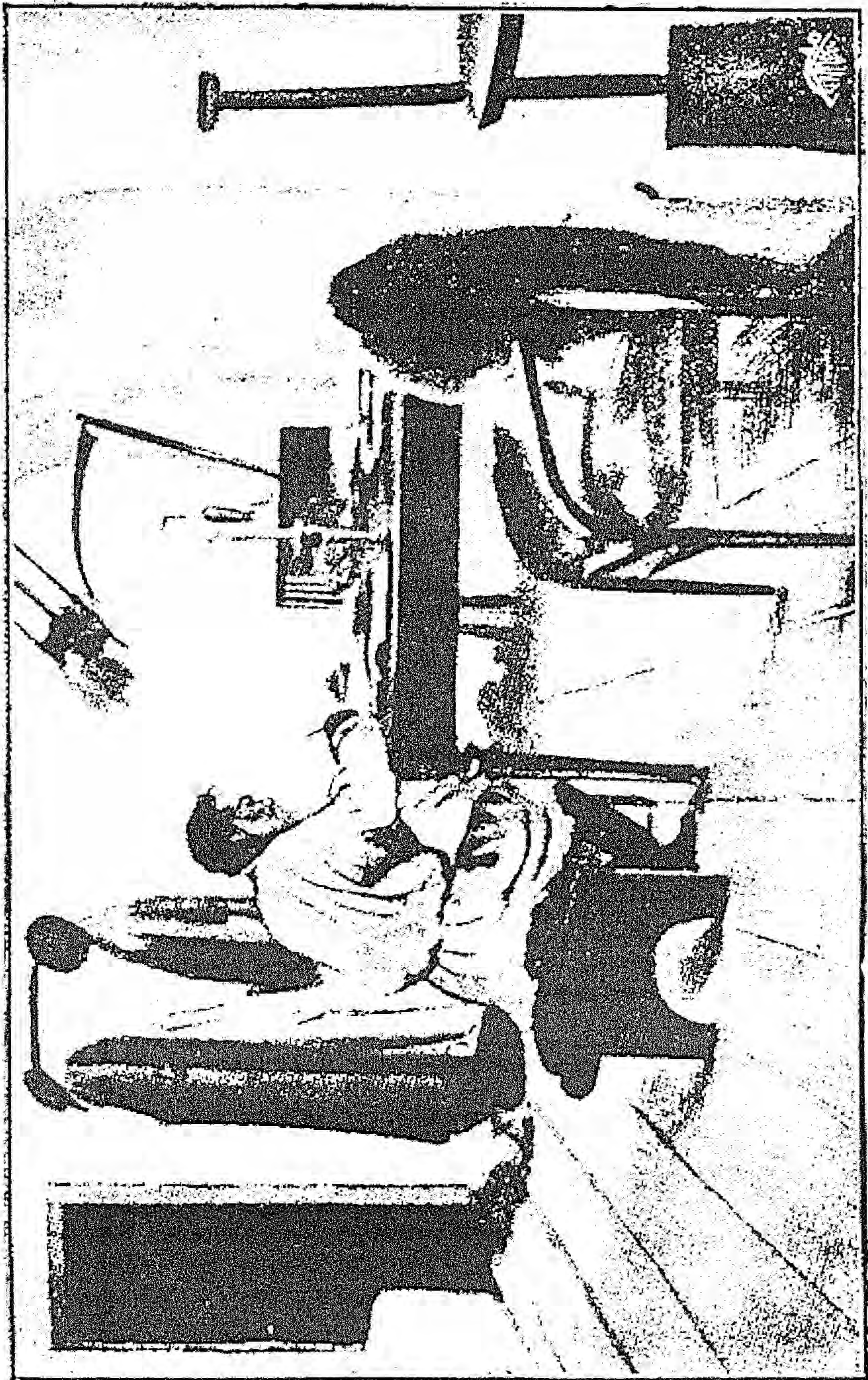
لان الجو كان فاسداً كل فساد حتى لقد تعذر على مصاح مشبوب العواطف مملوء بالامل وحماس العمل أن يصاح ما يملك اصلاحه ، فكان ذلك سبباً في أن يمتد افقه الى فكرة الاصلاح العامة بأن يصبح مؤلفاً وان يكتب للناس يرشدهم من طريق الأدب الى واجباتهم والى حقوقهم .

وفي سنة ١٨٦٢ تزوج من ابنة الدكتور « جرز » الثانية وعاش معها في ناسيانا بوليانا وشعر بعد ذلك بأنه سعيد حائز لكل ما تتطلب ميوله من عيش السكينة والهدوء . فانصرف الى العمل الأدبي والتأليف . فخرج روايته الخالدة « الحرب والسلام » ونشر بعدها « أنا كرنيشا » وهما الروايتان اللتان صب فيهما تولستوى كل آرائه وآماله وبث فيهما كل ما أراد أن يبشر به لأبناء جيله من المباديء .

وكان كلما تقدم في السن نزع الى التطرف في الرأي . فانه تنازل عن كل املاكه الواسعة لولاده وامراته على اعتبار أن الملك عبء ثقل وان الانسان يكون اكثر سعادة كلما قلت في الحياة حاجاته . بل قال لزوجته عندما عزم عن التنازل عن املاكه أنه أصبح يعتقد أن الاختصاص بملك شيء جريمة كبرى ضد المجتمع الانساني . وانصرف بعد ذلك يكتب قصصاً قصيرة يحاول بها أن يصرف الناس عن الآثام التي يرتكبونها باسم القانون ويرشدهم الى الطريق الذي يمكن أنه يؤدي بهم الى السعادة الدنيوية والخلاص الأخرى .

وانك لن تستطيع أن تفهم شيئاً من عقلية تولستوى ما لم تدرس فكراته الدينية واعتقاده في حقيقة النصرانية . على أن درسك لميوله الدينية يكون كاملاً اذا انت عرفت أنه يعتقد في النصرانية مجردة عما يبث فيها من الاساطير والتقاليد فهو بالحرى يعتقد في شريعة النصرانية الادبية خالصة من كل شيء آخر فيها . علي أن حياة تولستوى قد دلت على انحراف عقلي غريب كلما تقدم في السن نحو نهايته المأحزنة . ولا جرم أن لزوجته اكبر الاثر في هز اعصابه تلك الهزات المتوالية التي أدت به الى الفرار من سكنه وموته بعيداً عن أسرته ميتة جدير ألا يموتها انسان حاول ان ينفع الانسانية وعمل على نفعها

بحرارة اليقين ، ثم لم يجد بعد طول جهاده الا شيطان « فوست » يوحى
اليه بأن صدماء النفس وهدوء الضمير وراحة البال فى الحياة الانسانية اشياء
بعيد علي العلم ، كما هو بعيد عن الايمان ، ان يحبوا بها قلب الانسان



تولستوى فى حجرة عمله

الرومانتيسم

Romantisme

تحليل الرومانتيسم - الحركة الرومانتيكية في المانيا وفي انكلترا - الرومانتيسم
في فرنسا - مدام دي ستايل وشاتوبريان ولامارتين وهييجو -
الرومانتيسم في الفن الفرنسي

اذا كان هناك اسم آثار ضخمة كبيرة في تاريخ الآداب الاوربية منذ
مائة وعشرين سنة وما تزال يدور من حوله الجدل العنيف، فان ذلك الاسم هو
الرومانتيسم. وما فتى أصحاب المذاهب الادبية الى يومنا يتخذونه ذريعة
للكفاح. فهو في نظر البعض رمز لاتساع الروح الانسانية وتحررها وفي
نظر البعض الآخر رمز للعجز والاضلال والفساد

واذا أردنا تأويل الرومانتيسم نقول إنه أطلق على الحركة الادبية التي
ابتدأت في فرنسا حوالي سنة ١٨٢٠ واستمرت الى سنة ١٨٥٠. والمراد منه
فن يتغلب فيه الخيال والشعور على العقل. ويقال بوجه عام في تفسير
الرومانتيسم إنه الحرية في الفن. ويطلق اسم «الرومانتيك» على الكتاب
الذين تحرروا في بداية القرن التاسع عشر من قواعد التأليف والاسلوب
الكتابي التي وضعها الكلاسيك (القدماء). وهي القواعد التي بقيت
متبعة في مدى القرنين السابع عشر والثامن عشر.

وقد كانت الحركة الرومانتيكية التي تناولت الآداب الفرنسية بالتجديد،
وجهاً من وجوه حركة أعم شملت سائر أوروبا. فان لانكتر او المانيا وروسيا
أيضا مؤلفيها الرومانتيكيون. وان هييجو ليذا كرنا باسماء المجددين الخالدين في
الآداب الاوربية: «بيرون» و «جوته» و «تولستوى». ولم يكن

تأثير الرومانتيسم في الآداب باقل منه في الفن . وحسبنا أن نذكر من المصورين « ديلاكروا » ومن الحفارين « دافيد دأنجيه » ومن الموسيقيين « برليوز » و« فجنر » . كان أولئك الفنانون حلفاء للمجددين في الآداب .

أما أصول تلك الحركة فأنها ترجع الى ما قبل سنة ١٨٢٠ - بل أن الاسم نفسه أقدم من ذلك التاريخ . فقد جاء في رسالة من الاب « لو بلان » الى الرئيس « بوييه » مؤرخة في سنة ١٧٣٧ ان الميسو « باب » يحاول ان يهب حديقته ذلك الذوق الذي يسميه الانكليز رومانتيك « Romantic » ونسميه « بيتورسك » (١) ويتبين من ذلك أن معنى لفظ « رومانتيك » في ذلك التاريخ كان يختلف عن المعنى الذي أعطى له فيما بعد . على أن اللفظ قد مر باطوار اخري اصطلح فيها على أن تكون له معان تختلف كل الاختلاف عن المعنى الذي سبق ذكره .

فقد أطلق لفظ « الرومانتيسم » في الاصل على كل ما يفهم من الحياة الخاصة « بالرومان » (٢) وهو أوسع معانيه . اهتدي اليه في الاقاصيص الحماسية المنسوبة الى شعوب « الرومان » . وقد كان لتلك الشعوب الفضل في ترقى العبقرية الاولى للمصور الوسطى . وأطلق اسمها على تلك العبقرية التي تشترك فيها مع ذلك شعوب أوروبا الشمالية والغربية . وتأتت عن حادث عظيم النتائج هو توطد اركان المسيحية

وعلى هذا الاعتبار يكون المعنى المراد من الرومانتيسم أعما هو العقلية التي جعلت المسيحية مصدروحيها ، على تقيض العقلية القديمة والكلاسيكية اللتين كانتا تستلهمان من الوثنية ومن الاصول الاغريقية . وقد أثمرت العقلية الاولى فناً توخى تمثيل اللانهاى وتناول عن اختيار الممتنع الوعر والمعجب والخيالى والخفى ، على حين أن الفن القديم كان يستمد إلهامه من العقل ويتوخى الهدوء والبساطة والنبيل والتبيين .

اذن ينطوى الرومانتيسم على روح المصور الوسطى بمواطنها الدينية

(١) مبتكر مبتدع جدير بالتصوير

(٢) Romaines غير الرومانيين المنسوبين الى روما Roma

العميقة وتحمسها للجمعية المتصنة بالفروسية وحبها للاناجيب والمعجزات .
وكان اهتمامه بالآيمان وبالعاطفة والخيال أشد من اهتمامه بال نقد وبالعقل
والقياس . وبالاختصار كان ثمرة الطرائق المناقضة على خط مستقيم للطرائق
القدنية التي اتبعت جادة العقل والخلق والوثنية .

وفي الحقيقة انا اذا بحثنا ملحة « نيبلونجن » الجرمانية القديمة
و « أنشودة رولند » الفرنسية و « الرومانسيرو » و « الكوميديا الإلهية »
التي ألفها « دانتي » لوجدنا عدداً يذكر من الصفات المتشابهة المشتركة بينها
جميعاً ، تناقض الصفات الشائعة في الشعر القديم ، رغم اختلاف المواضيع
والافكار في تلك الملاحم المشهورة .

نلاحظ غيوب القضاء والقدر من العالم - عالم تلك الملاحم - وان
الانسان قد صار حراً . ولم يعد مقيداً إلا بإرادته وبالغاية الإلهية التي يمكن
أن تخطئه دون أن يرغبه . وان ارادة الله تفعل فعلها في القلوب دون ان يكون
لها دخل في النظام الطبيعي للحوادث .

ونلاحظ أيضاً أن الانسان قد صار روحاً وان الجسد قد فقد أهميته .
ولم يبق الا لم الطبيعي موضوع مأساة . ونحلي « فيلوكتيت » و « بروجيتيه »
عن مكانيهما لمن حقت عليهم اللعنة من شخصيات « دانتي » . وتجرد الحب
من معناه الخيالي وصار اتحاداً وتطلعاً متبادلاً لروحين في الزمن والمسافة وفي
الموت . وتبدل وجه الطبيعة الخارجي . وصارت مثل الانسان اشد اضطراباً
وحيرة . يري فيها ظلاً من روحه . وقد أسكنها شتيتاً ، لا من الآلهة كل في
دائرته المحدودة ، بل من القوى العظوفة الرحيمة أو الشريرة والبالسة والشريرين .

وقد تمثل ذلك بأشكال مختلفة منها الطيب والشرير وجعلها تتنافس في العالم .
وقامت العوامل الحرة مقام القضاء والقدر . ذلك كان أثر الانقلاب الفكري
الذي تأتى من المسيحية ومن عبقرية الشعوب « السلتورومانية » والجرمانية .
ثم جاء عصر النهضة « رينسانس » في القرنين الخامس عشر والسادس عشر
فغير قليلاً من ذلك التطور الطبيعي . غير ان التغيير كان في فرنسا أعمق منه

في سائر أوروبا . ولم يكن هناك غير « دانتي » الذي اتخذ من « فرجيليوس »
أستاذاً ومرشداً له في رحلته الخيالية الى الجحيم « الكوميديا الاكلية »
وشكسبير الذي يكون إيطالياً مقدار ما هو الكايزر سكسوني . وأكبر
ميزاته انه لم ينحط الى ذلك الدرك من التقليد الخثير للأمة القديمة .

ولم تصطبغ الآداب الفرنسية بالصبغة الكلاسيكية ويشرق نورها على
سائر أوروبا الا بعد ذلك بزمان طويل أي في القرن الثامن عشر . وخرجت
الآداب الاوربية من الطريق المشترك للرومانيسم المحض الذي أخذته فرنسا
كسائر الشعوب من القرون الوسطى .

وكان تقليد الآداب القديمة قد ابتدأ في فرنسا حوالى القرن السادس عشر
وبلغ غايته في القرن السابع عشر . الا انه من الممكن أن يقال ان الكتاب
الفرنسيين ابتدعوا وقتئذ آداباً صارت منسوبة الى فرنسا أكثر مما هي الى
العصور الوسطى . على حين ان الأمم الاخرى جمعات تنحوا منحي الآداب
الفرنسى في القرن السابع عشر . وكان ينظر اليه اذ ذاك على انه أدب كلاسيكى
جديد . وكانت الروح الفرنسية هي الوحيدة في أوروبا الحديثة التي تتصل اتصالاً
قوياً بالروح القديمة . ولم يكن تقليد النماذج الاغريقية واللاتينية عندها نزولاً
وأنحطاطاً أو بدعة انما كان أشبه شىء بالتقليد المتبع بين الأسرة الواحدة .

ولكن لم يثبت ان جاء اليوم الذي صار فيه ذلك الآداب الكلاسيكى
الجديد عند أغلب أمم أوروبا عبثاً ثقيلاً . وكان ذلك الآداب الكلاسيكى قد
تألف طبقةً للمثل القديمة والقواعد التي رسمها القدماء أو ظن أنها مقتبسة
من القدماء وأخذ يتدرج شيئاً فشيئاً الى السكال حتى بلغ مثلاً ثابتاً ومتبعاً
لا يجوز الحيد عنه . على ان الطبيعة الانسانية تأنف من الثبات على حالة
واحدة ولا سيما في الآداب ، مرآة الافكار ، ذات التغير الدائم . هذا الى ان
لكل أمة عبقرية خاصة التي قد تتفق أو لا تتفق مع القوالب المقتبسة من
الأمم الاخرى . وكان الآداب الكلاسيكى الجديد برغم اصطباغه بصبغة
التعميم والشيوع قد طبع بطابع الروح الفرنسى ، وهو ما كان يعوق ترقى

العبقرية الوطنية عند الشعوب الأخرى التي اتخذته نموذجاً تحذيه وتعمل على مثاله .

فليس يستغرب ان يفضى تأثير الأدب الفرنسى فى القرن الثامن عشر إلى أحداث رد فعل فى الأدب الأجنبى اطلق عليه اسم « الرومانتيسم » . وقد بدأت هذه الحركة فى المانيا حيث كان لادب فرنسا القديم الكفمة الراجعة ثم انتقلت الحركة الرومانتيكية الى انكلترا . وكانت عظيمة الأثر فى هذين البلدين ففاضت بنورها على الادب الفرنسى فأثمرت حركة الرومانتيسم

أصول الحركة فى المانيا

ان الادب الالماني فى القرن السابع عشر لم يفتقر الى الاسماء مقدار ما كان ينقصه حالة الالهام المشترك والصفة الوطنية . كان كتاب ذلك العصر فى عزلة عن بعضهم البعض لم تربطهم أية فكرة عامة وكان المانيا قد نسيت ماضيها ولم تعد تذكر ما كانت عليه فى القرن الثالث عشر . من عصر « وولفرام فون اشنباخ » و « هرتمان فون دراو » و « والتر فون دير فوجلويد » وكانت جهات الحركة الفكرية القوية التى سبقت عصر الإصلاح وعمشت معه . ونريد بها الحركة التى رأسها لوثر وهلانكتون وزوينجلى وهنس شاس . وبالاختصار كانت المانيا قد ضلت عن نفسها . وكان « مارتن أوبيتز » و « بول فالنج » و « اندريه جريفوس » و « فردريك دي لونو » و « هنرى بوشلوز » يتلمذون لفرنسا لعهد لويس الثالث عشر فى حين كان « هوفمان فون هوفمانسوالدو » و « كريستيان هالمان » يحتذيان الامثال الشائعة فى ايطاليا المنحطة . وفى ذلك الجو من الانحلال الفكرى الذى عم شعبا بأكمله ظهرت عبقرية من الطراز الاول فلم تر من حولها شيئاً حياً فاختارت ان تكتب باللغة اللاتينية ونعنى بها عبقرية « لسن » (١٦٤٦ - ١٧١٦) . وليس لها مكانها فى تاريخ الادب الالماني . وكان قد حان الوقت الذى تنشأ فيه حركة تجديد فى موطن « والتر فون دير فوجلويد » و « هنس شاس » و « لوثر » و « ألبير

دور» وان يهتدى ذلك الموطن في آخر الامر الى تقاليدِه والى عبقريةِ
الوطنية . وهو ما حققه القرن الثامن عشر .

على أن حركة التجديد في الادب الالماني لم تتم دفعة واحدة . وأول من
رفع رايتها « جوتشد » (١٧٠٠ - ١٧٦٦) وقف حياته مخلصاً على جمع
ما تفرق من قوي بلاده وتأليف أدب ألماني واسع النطاق تزهو به المانيا
تجاه فرنسا وايطاليا . غير انه كان كاتباً بلا حرارة ولا خيال . كان عاجزاً
عن بلوغ المثل الأعلى الذي دعا اليه

الثاني : « بودمر » (١٦٩٨ - ١٧٨٣) وهو شاعر وسط مثل جوتشد
ولكنه كان من نقاد الطبقة الاولى دعا بحرارة الى إحياء العبقرية الجرمانية
وايقاظ العاطفة الوطنية وعارض شعر العناصر اللاتينية بشعر العنصر الشمالى
وتوحنى الطبيعى والجليل في وقت معا واستثار حماسة ذوي الالباب لما
أبداه ملتون من الجرأة والشجاعة الادبية الفائقة ولم يترك في الوقت نفسه
اظهار وجوه الجمال البسيط فى أناشيد « مينيزنجر » (من الشعراء الغزاليين
في العصور الوسطى)

والتف حوله جماعة من شباب الشعراء يتبعون طريقة وأنشأوا صحيفة
مجددة دعوها « صحيفة بريم » وقد نشرت فيها سنة ١٧٤٨ الاناشيد الثلاثة
الاولى من ملحمة « مسياد »

الثالث : « كلوبستوك » قد وجد فيه « بودمر » مثال الشاعر الحقيقى
فأعلنه للملأ على أنه رسول الشعر الجديد وبالغ فى تشجيعه والثناء عليه وفى
الحقيقة أن حياة كلوبستوك الشعرية كانت اشبه شئ برسالة قدسية
(١٧٢٤ - ١٨٠٣) كان كلوبستوك وقوراً عظيم التشدد تنعكس شخصيته
فى اشعاره ، فغلبت عليه تصورات معاصريه الى القمة التى بلغها خياله واحيى الميل
الى الاشياء العظيمة وترددت فى انشاده الهامات جرمانيا القديمة

ولقد تغنى بكل الفضائل الالمانية (تقول الالمانية لالبروسية) . الحماسة
والغيرة الدينية والرحمة والرجولة . تغنى بكل ذلك لافى ملحمة المسيح التى

نظمها لاغير ، بل في مقاطيعه الشعرية وفي دراماته . مجدد كل التمجيد
جرماني القديمة مقدار ما مجد المسيح والعصر الاول الانجيل . كان موضوع
عادته ينحصر في المسيحية الاولى والماني الاولى . ومن الممكن أن تقول في
حياته كلو بستوك كلها ما قالته مدام دوستايل عن ديوانه «مسياد»
« يحسب الانسان حين يبتدىء قراءة ذلك الديوان انه دخل كنيسة
كبيرة وسطها ارغن يدق »

الرابع : « ليسنج » ١٧٢٩-١٧٨١ جد مختلف عنه . فبينما يرفع كلو بستوك
القلوب الى العلا ويظهر الازهان يبرز ليسنج في حدة الذكاء وقوته وهو
شاعر وفيلسوف وعلامة وصحفي ومجدد فياض بالآراء والفكر وجدلى
من الطراز الاول . كان ينفض الجدة على كل ما تناوله من مواضيع العلم
والنقد واللاهوت والمسرح ولم يكن لاحد من المفكرين مقدار
ما كان له من التأثير العظيم في المانيا فهو بحق محيي الروح الالمانى العام في القرن
الثامن عشر . وسواء بعث الحياة في قرائه أو استنهضهم الى الكفاح ، فانه قد
هدى العقول التى ضلت عن نفسها . ولقد صار « جوته » شاعرا لما قرأ
كتابه « لاركون » .

هذا مقام ليسنج في الادب الالمانى . أراد أن يهدم كل ما كان يعد في نظره
قيداً وعبودية للفكر من أجل أن يهب العبقرية الالمانية الحرية الكافية في
حركاتها . وقد تناول هذا الغرض من طريقين . أولا هدم النظريات التى قام عليها
التمن الدرامى الفرنسى . ثانيا وضع نماذج أخرى حازت اعجاب الالمان . وكان
المسرح الفرنسى يعمل على القواعد التى رسمها ارسطوطاليس فسعى ليسنج
في اقامة البرهان . على ان النقاد والشعراء الفرنسيين لا يفقهون كتاب الشعر
الذى وضعه ارسطوطاليس . وانهم وضعوا قواعد أخرى أحلوها محل تعاليم
الفيلسوف الاغريقى . واقترح على الالمان أن يتبعوا طريقة شكسبير وهى أكثر
انطباقا على الروح الجرمانى وعلى جوهر العبقرية بوجه عام .

فاندفعت المانيا فى الطرائق الجديدة متأثرة بدعوة ليسنج . ومنذ ذلك الوقت

اهتدت المانيا الى تقسمها وامتدكت قواها الادبية وانتجت آدابها الاولى
المبتدعة وهي تلك الآداب التي تطلق عليها اسم الكلاسيك .

الخامس : « هرذر » ١٧٤٤ - ١٨٠٢ كان نسيج معاصره ليسنج في احياء
العاطفة الوطنية وتحرير العبقريّة الالمانية . قضى قضاء نهائياً على تأثير العصور
المترفة وأيقظ الميل الى الآداب الاولى ولم يكن له نظير في احساسه القوى
بالعصور الاولى للعالم والازمنة الفطرية وعبادة الالهامات الاولى لكل شعب .
ومن يطلع على تأليفه يرى ينبوعاً زاخراً وثميناً من الشعر : « ليدر » و « أصوات
الشعوب » و « أناشيد الحب في الشرق » وهي تأليف مليئة بالصورة الجديدة
كتصويره للصدقة بين ذوى المروءة والخير « نمد مثل ظل المساء حتى غربت
شمس الحياة » ومن الممكن ألا نجد له مثل صراحة ليسنج ووضوحه إلا أنه
كان أشعر منه وأشد تأثيراً على العقول

السادس : « جوته » ١٧٤٩ - ١٨٣٢ اهتدى الى عالم جديد حين قرأ
« لاركون » ولم يكن قد عرف بعد لما صادفه هرذر في ستراسبورج وظهر
له كل عبقرية وتدل التأليف الاولى التي اخرجها جوته على مقدار التأثير
الذي أحدثه هرذر في روح الشاعر الشاب

ويطلق مؤرخو الادب الالمانى على تلك السنوات المملوءة بالحماسة التي
شقت العبقريّة الالمانية فيها طرائق جديدة اسم حقبة الهجوم والانتجار .
وحتى هذا الاسم الغريب اقتبس من درامة ألفها « مكسميليان كنيجر » تعرب
عن روح ذلك العصر الذي لم يستكمل نظامه ولم يتهدب كل التهذيب .

وبلغ من تأثير الجديد في شباب الشعراء الالمان « فوس » و « بورجر »
« هاهن » و « ستولبرج » أنهم اجتمعوا في جوف غابة على مقربة من
« جوتنجن » وأقسموا اليمين للشعر الجديد ورفعوا « كلوبستوك » الى مقام
الرسول وأحرقوا تأليف « فيلان » ودخلوا ميدان الفن كما يدخل الناس
في دين جديد

وكانت العاقبة في الحقيقة ان نشأت الفوضى في الآداب الالمانية . كانت

رجعى الى الحالة الفطرية الاولى كما وصفها الالماني أنفسهم . وكانت درامة « شيلر » المعنونة باسم « قطاع الطرق » (١٧٨٢) آخر قذيفة بل آخر تنويج للحركة الجديدة

ولما كانت روح الادب الحديث تقضى بالبقاء فى حدود الفطرة احتفاظاً بميزة الابتكار ، اجتهد الشعراء فى أن يجمعوا العصور الوسطى مصدراً لالهاماتهم . الهامات خشنه غريبة وساذجة . غير أن ذلك البعث كان تجديداً عظيماً فى الأدب ، لولا أنه يعاب على ما فيه من تلاعب أدبى واصطناع للمواطن والعقائد المندثرة

وقد وجد « جوتة » فى معاصره الكبير « شيلر » صديقاً فتح أمامه أنفوس كنوز الفن . وإنما خالق الشاعر ان لى يكمل كل منهما الآخر ويصالح به تقائمه . وكان من الممكن أن تفضى الحماسة بشيلر الى التفهيق . ويفضى صفاء « جوتة » وطلاوته الى الخشونة . فأخذ « جوتة » عن « شيلر » اتجاد الخيال بالحقيقى والعقل بالشعور الحار المتجدس . وهو من جهة أخرى اخضع ما فى شعر صديقه من شهوة وثورة لقوانين الجمال الابدى ووجهه نحو الكمال فى الفن . ويستدل من رسائلهما على أنهما كانا يتبادلان التشجيع والتفجيع متعدين فى عبادة مثل أنلى واحد .

ولم تلبث العبقرية الالمانية بعد تلك التحضيرات والجهود العظيمة ان تبدت فى أبديع صور الانبثاق والجلال . فى ذلك العصر أخرج « جوتة » أجلى اشعاره : « الملك تولىه » و « الملك الاون » (١٧٩٥) و « هرمان ودوروثيه » (١٧٩٧) وهى ملحمة من طراز جديد . وأخيراً درامته الخالدة « فوست » رمز المصير الانسانى .

الرومانتيسم فى انكلترا

وانتقلت الحركة الرومانتيكية من المانيا الى انكلترا غير ان الآداب الانكليزية احتفظت فى شخصيتها باستقلالها . وبينما كان الرومانتيسم فى المانيا

حركة رد فعل ضد التأثير النمرنسي — حركة افضت الى خلق فن وطني جديد — كانت في انكلترا حركة رجعي الى العصور الوسطى والى عصور «السلف» القديمة. فان الشاعر «يونيغ» كان قد أخرج للناس «لياليه» — من سنة ١٧٤٢ الى سنة ١٧٤٦ —

ليث الشاعر «يونيغ» يخرج للناس «لياليه» الى سنة ١٧٤٦. تلك «الليالي» التي تم عن آلام قلب جريح ذاق مرارة الحياة وإن حسب القارئ السطحي انه لا يتنسم منها روح القرن التاسع عشر الاسيفة الممرضة. واخرج «هرفي» ديوانه «تأملات بين القبور» سنة ١٧٤٦. وشهد «جراي» ترجمة احدي قصائده الى كل لغات العالم ونعني بها «مرثية في مقبرة بالريف». (سنة ١٧٤٩) واستعار «مكفرسن» اسم «اوسيان» فحرز شهرة واسعة ترجع الى الخناء الذي أحاط به تاكينه وما زال «مكفرسن» حياً خالداً برغم غموضه. وما زال لصوره الروائية وشخصياته تأثير قوى في الازدهان. وان لاوصافه الرتيبة لحسن يجزل فيه الخيال، وان جزالة أسلوبه لتحرك النفوس وتسمو بها

وارتفع مقام فن القصة بتأليف «ريشاردسون» وهو خالق القصة الانجليزية الحديثة. حلل «ريشاردسون» القلب الانساني في حالات مؤثرة وهو الذي حدث عنه «جان جاك روسو» فقال إنه لم يؤلف في أية لغة من لغات العالم الى الآن قصة تضاهي «كلاريس هارلو» (١٧٤٨) ولا ما يقرب منها. وبرغم أن «فيلدنغ» كان أقل تأثيراً من «ريشاردسون» فقد سحر الالباب بصوره الروائية الشتية الصادقة في «توم جونز» (١٧٥٠) وأخرج «جولد سميث» روايته «قيس واكفيلد» التي كانت نموذج القصة الخالقية المنطبقة على ميول أوروبا في كرم الطباع وحب الانسانية

كذلك انتقلت الى انجلترا الحركة الفكرية التي أثارت في المانيا النقد وخلقت تأليف «هرود» و «جوتة» فنشر الاسقف «برسي» سنة

١٧٦٥ مجموعة الاشعار الوطنية الانجليزية القديمة التي اهتمدى اليها بعد البحث الطويل وظهر الشاعر الشاب « شاترتون » الذي مات منتحراً في سن الثامنة عشرة (١٧٧٠) بعد ان اخرج ديوان شعره الذي قلده فيه شعر قدماء الانجائز وقد عزاه الى الراهب « روفلي » ونشر « والتون » سنة ١٧٨١ كتابه الجليل في تاريخ الشعر وأعان فيه قوة الشعر الانجائزي وحرية منذ نشأته الأولى

غير ان الشاعر النمذ الذي أعلن حقاً صورة كاملة للتطور هو « وليم كوبر » الذي قضى عمره في عزلة (١٧٣١ — ١٨٠٠) وبرغم ان شعره قد طبع بذلك الطابع الدينى الذى ينطوي على روح الامس ، فإنه يعد بحق خالق الشعر الجديد في الأدب الانجائزي وهو الشعر الذى تتجلى فيه روحه بلواعجها الكمية واتصالها التام بالطبيعة وكان مجرد رؤيته صورة لأمة أو رؤية الخريف فى الريف أو زهرة وسط الغابات مصدراً يبعث فى نفسه ما كمن من الشعر الرقيق المؤثر ، وهى بواعث كان يزدريها غيره من الشعراء .

تلك كانت ميزة المدرسة الجديدة فى الادب الانجائزي وهى تدل على أصدق ما تجنه نفس الانسان من التأثيرات . وما فى الطبيعة من صور ساذجة مألوفة تهاولها الشعراء القدماء وأبدع فى نقلها المصورون « بلومفيلد » و « جراهام » و « أكرب » .

وكانت مدرسة البحيرة التى يطلقون عليها اسم مدرسة « اللاكست » مطلع فجر تلك الرجعة الى الطبيعة الا انها اقترنت بالتطلع الى المثل الأعلى . أما أولئك الشعراء الذين الغوا تلك المدرسة فهم : « كولريدج » و « شيلي » و « كيتس » و « سوزى » و « ويلسن » و « توماس مور » . وقد تغنوا ببحيرتى « كومبرلا ند » و « ويسمولاند » .

وفى ذلك الوقت نبغ أيضاً أمير شعراء عصره « برون » الذى اندع بشعره الحار القوي فى ذاتيته الملاحم الغنائية المسماة « ليريك » وهى « شيلدهولد »

سنة ١٨١٢ و « الجاور » و « عروس ابيدوس » و « القرصان » و « لارا »
 الى آخره. وأخيراً ظهر سيد الروائيين الانجليز « والتر سكوت » ١٧٧١-١٨٣٢
 . ظهر بعقريه شعريه وروائية ممتازة في أغاني حدود ايقوسيا و « سيدة البحيرة »
 و « عروس لاسرمور » و « ايفانهو » و « بنت برث الحسناء » الخ . فأجبي
 العصور الوسطى التي طمرت تحت راب القرون وتغنى كما قال « بالجن والعمالقة
 والغول والفارس والقزم » .

هل تذهبين ؟

يا هند قد فسد الزمان وراج قول المرجف
 فها لم نذهب في الظلام الى الجبال ونختفي
 هل تذهبين .

وهناك نسرح مثامنا ال اطيوار تسبح في القضا
 متوكئين على المقام در صابرين على القضا
 كالأزاهدين

أو نمتطى طيارة ونطير في الجو الفسيح
 ممتعين كما نشاء بحبنا البصافي الصحيح
 في كل حين

يا هند هذي نجمة غراء لامعة الجبين
 غمازة فكأنها تدعو اليها العاشقين
 هل تذهبين ؟

اليمين

LE JURON

من أغاني بلييتيس

معربة عن الفرنسية بتصرف

قال لي : أقسمت لو تعلو على قنن الأجيال ، تكسوها الثلوج
موجة النهر الذي ينساب في دعة ، ما بين هاتيك المروج

وإذا قدر للانسان أن ينثر الأمواج في البحر بذورا
فاذاها بعد حين زهرة تملأ الأفاق عطراً وعبيراً

وإذا حال ضياء الشمس في وضح اليوم . ظلاماً دامساً
لاصبح . لاضحى . لاشيء من هذه الأشياء إلا طامساً

أو هوى البدر على العشب كما تسقط الأزهار عن هذي الغصون
بدداً . للريح تلهو لهوها ببقاياها ، كما تلهو السنون ...

أى بلييتيس ! إذا ما وقعت هذه الاحداث في هذا الوجود
حينئذا نصبح في حل من الـ هجر ، والصد ، ونسيان العهد !!

حسن كامل الصيرفي

تلغراف حرب السبعين

كان السبب المباشر لوقوع الحرب البروسية الفرنسية عام ١٨٧٠ تلغراف أرسله جلاله ملك بروسيا الى بسمارك العظيم فاستفاد منه ذلك الوزير الداهية في عام ١٨٦٩. كان نابليون الثالث قد تقدم في السن وبرز به المرض وكان لفرنسا دستور ينص على مسئولية الوزارة البرلمانية وعلى أساس أحكام هذا الدستور اضطر نابليون ان يطلب من اوليفييه الذي كان يكرهه أن يؤلف الوزارة فتربع في دستها في وقت كان فيه جو السياسة الداخلية صافيا اذ عضده سبعة ملايين ونصف مصوت ضد مليون ونصف وبقي مليونان على الحياد وكانت الوزارات المتتالية التي سبقت عهده قد اخفقت فيما بذلته من الجهود لمنع بسمارك من تنفيذ ما كان يرمى اليه من توحيد الممالك الالمانية في امبراطورية واحدة ، وظهر أثر هذه العرقلة في وقوف الشعبين البروسي والفرنسي في مواجهة بعضهما فارتأى اوليفييه أن يساعد على تصفية الجو الخارجي أيضاً فأوقف مجهود عرقلة الوحدة المنوى انشاؤها ، وبذلك اعتقد انه قد أفلح في ازالة خطر احتكاك الدولتين ببعضهما وفعلا صرح امام البرلمان بزوال الخطر وهكذا اعتقد كافة الساسة الاوروبيون

ولكن حدث بعد ذلك ان علم سفير فرنسا في مدريد ان الامير ليوبولد هو هنزولرن البروسي قد رشح للتاج الاسباني فابرق بذلك لحكومته فشعرت أوروبا من جديد بقرب هبوب العاصفة اذ قد اعترضت فرنسا على تتويجه وظهرت استعدادها لمنعه بأي واسطة كانت وكادت الحرب تقع بين الامتين لولا تنازل الامير عن الترشيح فبدأت العواصف تخفت ثانية

ولكن حدث بعد ذلك ان طلب نابليون الثالث من سفيره في المانيا - دون أن يستأنس برأي وزيره الاول - أخذ الموائيق على ملك بروسيا « أن لا يشجع في المستقبل أي أمير بروسى على محاولة التربع على عرش اسبانيا » فلما عرض السفير ذلك على الملك في مصيفه لم يعطه ذلك الوعد بل صرفه بالحسنى وبعد ذهاب السفير أمر الملك سكرتيره أن يبرق الى بسمارك التلغراف وهو يتناول الطعام مع القائد العام البروسى «مولتسكى» ومع وزير الحربية البروسية «روم» فاغتازوا عول على الاستقالة احتجاجا على «الاهانة» التي لحقت بوطنه وكذلك فعل ضيفاه عندما قرأ التلغراف لهما وبعد المداولة

وتثبت بسمرق من قوة الجيش البروسي واستعدادة للحرب ، وضع التلغراف في قلب عده الفرنسيون مهينا لكرامتهم فاعلنوا الحرب . وكذلك عده الالمان فاستعدوا لها واليك محتويات التلغراف كما وصلت لبسمرق وكما ابلتها للصحف ولسفراء بروسيا في الخارج

البلاغ	الاصل
بعد أن أعلنت مملكة اسبانيا الحكومة الفرنسية بتنازل الامير عن الترشيح للعرش قدم سفير فرنسا لجلالة الملك مطلباً مفاده أن يأذن له كي يبرق الى حكومته بان جلالة لن يقدم في المستقبل على تشجيع أى مرشح بروسيا لعرش اسبانيا . وعلى ذلك قرر جلالة أن لا يقابل السفير الفرنسي ثانية وأرسل اليه أركان الحرب صاحب النوبة يقول أن ليس لدى جلالة الملك ما يقوله للسفير .	كلفني جلالة الملك أن أعلم سعادتكم بما يأتي . خاطبني سفير فرنسا راجياً أن أكلفه كي يبرق في الحال لحكومته بما يفيد أنني متعهد باننى لا أشجع في المستقبل أى أمير بروسيا للترشيح لعرش اسبانيا فرفضت هذا بحزم إذ ليس في الامكان ولا من العدل القطع بذلك وأخبرته بأنه لم يصلني بعد خبر عن الموضوع وأن اكبر برهان على أن ليس ابروسيا يد في الموضوع (السفير) هو وقوفه على الخبر عن طريق فرنسا أو اسبانيا في حين أنني لم أعلم به حتى الآن . وقد استلم جلالة بعد انتهاء المقابلة خطاباً من الامير وقد اشرت على جلالاته انا ويوايرج بعد مقابلة السفير كما سبق ووعدته الا كتفاء بتكاليف احد أركان الحرب ليقول للسفير ان خطاباً قد ورد من الامير يحوى اخباراً فميزر أخبار باريس وليس لدى جلالاته ما يريد قوله ويترك جلالاته لسعادتكم فعل ما ترواه بخصوص إعلام الجرائد والسفير بما جرى أو عدمه .

ولما قرأ بسمارك مسودة البيان على رفيقيه، سرامنها جداً ورأيا فيها أوفى طريقة لغسل الالهانة التي لحقت بوطنهما فارسل البيان الى الجرائد وسفراء بروسيا في الخارج وطبع به ملحق وزع مع جرائد المساء في برلين والصق على الحيطان ووجهات المحال التجارية .

فاسقط من يد أوليفييه وشعر كأن الصاعقة قد هبطت عليه من عل ولما أفاق من ذهوله لم يعد يحلم بالسلم خصوصاً وقد هاج الباريسيون وملجوا فلم يكن هناك بد من الحرب .

وليس معنى ما سبق أن التلغراف هو السبب الوحيد لاندلاع هيب الحرب لانه لم يكن الا شرارة علقت بالهشيم فاندلعت منه السنة النار ولو أن الفرنسيين يدعون بأن بسمارك كان المسبب الوحيد لاضطرام لظاها وأنه كان الكل في الكل يمكننا الآن بعد مراجعة مذكرات أوليفييه أن نقف على حالة الساسة الفرنسيين الفكرية فقد كان يعد وزير فرنسا خطاباً يلتميه على الجمعية قبل أن تصدمه حادثة التلغراف ونجده يقول في الخطبة المذكورة ما يأتي « تأكدنا اليوم أنه سوف لا يتر بع أميراً جنبي على عرش اسبانيا وهكذا تم لنا نصر باهر دون أن نهرق قطرة دم وبما ان المرشح البروسي قد انسحب فلم يعد هناك داع لطاب معونتك فلو اتيت هذه الفقرة ضمن خطاب الوزير لكانت هي الشعلة التي تضرم الحرب

ويقول أوليفييه في مذكراته بعد ما تمت كتابة خطابي دخل الغرفة وزير الخارجية وهو يقول « انظروا امامك شخص مصفوع » فاستفسرت عن المعنى الذي يقصده فناواني صورة البيان قائلاً اقرأ هذا فذهلت بعد الانتهاء من قراءته ولما رجعت الى نفسي قلت ليس هناك شك في أنهم يرغموننا على اعلان الحرب وشعرت بالعرق يجري بارداً على جبهتي وبعد قليل استنفقت على صياح الشعب لتحيا الحرب . . الى برلين :

وكانت مقابلة السفير لملك بروسيا في ٢ يوليو وأعلنت الحرب في ١٥ منه وبعد مرور شهرين بالضبط على المقابلة انكسرت فرنسا في موقعة

سيدان الشهيرة وهكذا بحيث الامبراطورية من الوجود
ويختلف الناس في فعلة إسمارك فيقول البعض انه زور في التلغراف في
حين يقول البعض الآخر انه حرف فيه فقط ولاجل ان نعرف ما حدث يجب
أن نضع ملخص الاثنين امامنا للمقارنة

ملخص التلغراف	ملخص البيان
١ قدم سفير فرنسا طلباً بفضته بحزم	١ قدم سفير فرنسا مطلباً للملك
٢ ثم تسامت خبراً عن تنازل الامير	٢ لذلك رفض الملك مقاملته ثانية
٣ لذلك لم أجد داع لمقابلة السفير مرة أخرى	
٤ لك الخيار في نشر الخبر او حفظه	

هذا مثل من عدة أمثال لا تنهاز الساسة للفرص المناسبة الصالحة لبلادهم
فيشبهون الحرب.

عمر عنايت

نشوء الغريزة

« ان الاستقراء المنطقي يسوقنا الى أن نعزو حدوث الغرائز الى سنة عامة
تعمل على نشوء الكائنات العضوية وتهذيبها ، فتعاضى بالاقوياء الى التكاثر
والتغايير ، وبالضعفاء الى الزوال والافتراض - وان عقولنا تأبى ان تسلم بان هذه
الغرائز خائفت في الحيوانات خلقاً من العدم . على ان درس غرائز الحيوانات درساً
مدققاً ، لا يبلغ في التدليل على وجود هذه السنة التي تحدث تغاير الغرائز التدرجى ،
من كل الاستقرآت المنطقية . »

رأى دروين - الفصل الثامن من اصل الانواع

ذكري لبنان

عن ديوان رشيد ايوب المسمى بأغاني الدرويش وهو من امتع ما أخرج للناس
من آداب المهجر السوري في أمريكا الشمالية

* *

يا عيني دمي فاهوى متلفي
لعل ناراً في الحشا تنطفئ

* *

يا غرام
لا يلام
فالمقام
فاختف
فالو في
يملو لمثلي فيك فرط السقام
من يحفظ العهد ويرعى الذمام
مقام أرواح عليها السلام
يامدعي الحب ولم يدنف
من يبذل النفس ولم يكتف

* *

ها يعمود
أوتجود
كي نرود
فانصفي
واعطفي
عيش قطعناه بتملك الصرود
هذي الليالي بانهظام العقود
في سفح صنين مقر الجودود
أيتها الدنيا غريباً وفي
على فتي في الحب مستهدف

* *

لا براح
ما استراح
يارياح
من غربة أودت به وانتزاح
من يرصد الافلاك حتى الصباح
عودي اذا ما جئت تلك البطاح

سَمِعَ مِنْهُمْ حَدِثَتْ مِنْهُمْ صَفِي

رُوحِي بِمَعْنَاكَ اللَّذِيذِ الْخَفِيِّ

* *

أَنْ كَانَ قَلْبِي بِالْغَرَامِ أَكْتَوَى

ظَهَرِي وَرَثْتُ فِي الْمَشِيبِ الْقَوَى

بَسَاطَةِ آمَالِي وَرَبِّ الْهُوَى

لَا شَيْءَ عَنِ لَبْنَانٍ مُسْتَوْقِفِي

وَعَثِيرِهِ فِي الْأَرْضِ لَمْ أَصْطَفِ

شَفِي

تَشْتَفِ

يَا نَوَى

وَالْتَوَى

مَا انْطَوَى

فَا عَرَفِي

فَهُوَ فِي

الرجعي الوراثة

من أخبار « ويلسدن » بانجلترا ان مجلس الاوصياء في تلك المقاطعة قد اعجزتهم الحيل عن أن يجدوا طريقة يستطيعون بها أن يحكموا طفلة صغيرة تبلغ من العمر ثلاث سنوات ونصف عهد اليهم بها . فان هذه الطفلة عبارة عن حيوان جامع غير مستطاع تأليفه .

ويقول الذين درسوا حالة الطفلة أنها مثل للرجعي الى الحالة التي كان عليها اجداد النوع الانساني في العصور الجيو لوجية الأولى ، وأنها في كل تفاصيل حياتها وحركاتها عبارة عن حيوان كامل الصفات . أما شكها الظاهر فمثال الانسانية الكاملة من حيث الصحة وخفة الحركة ، غير أنها مع ذلك جموحة ضعيفة العقل كثيرة الاذى حتى اضطر أوصياؤها الى عزلها في مكان خاص وجهزوا لها محبسا هو عبارة عن قفص من الحديد ذي حواجز طويلة . ولقد وصفها احد الباحثين فقال ان منظرها يذكرني بحيوان مفترس يزجر انتظارا لوقت الطعام .

عن الاوبزرفر

هل اميريكا مفرطة الغنى

حتى في « أرض الذهب » يوجد خلاف فيما إذا كانت اميريكا مفرطة الغنى ، وهذا هو رأى الاغلبية ، أو أنها ليست كذلك ، وهذا هو رأى الاقلية الاضعف .

ليس هناك شك لدى الطرفين من أن الزارع الاميريكي مفرط الغنى أو بالاقل غنى وهذا هو الذى يقيس عليه الناس عند القاء أرائهم جزافا غير شاعرين بان الفلاح الاميريكي هو ثلث الامة فقط .

ان الصناعات وبوجه خاص تلك المختصة بالنسيج والتعدين قد أصبحت في بحر ان . وأما رقم العطلة فمن الميسور تفهمه اذا عرفنا أنه يوجد حول مليون عامل بلا عمل والسبب في ذلك هو ان حالة الشركات الصغرى بوجه عام سيئة والآن نتساءل هل حقيقة أن الامريكيين أغنياء ؟ يجب أن يكون الجواب على هذا السؤال اما بالنفى أو بالاثبات المطلقين . هناك من يجيب باجل بينما يجيب البعض الآخر بلا ، ولكن كلاهما متفقان على أن هناك اضرارا نتجت عن الفقر أو عن الغنى المفرطين . ويقول البعض أن لا ضرر ينتج عن الغنى وانما ينتج عن الغباوة التى يصرف بها المال والآن هل لنا أن نتساءل عما اذا كان غنى الامة الغنية يتناول الاغنياء والفقراء معاً ؟ والا يكون الجشع في هذه الحالة جائماً جنباً الى جنب مع حاجة الفقراء الى الغذاء الكامل والتعليم المجدي . وكذلك مع العمل المهدد بالشيخوخة ومصابها ؟

أجل ليست الثروة مصيبة في حد ذاتها ولكن الضرر الذى يعود من اساءة استعمالها قد يزيد عن شرور الفقر فالاميريكي القادر على انفاق ٤٠٠٠ دولار في السنة يبذل جهداً عظيماً كي يرفع دخله الى ٥٠٠٠ دولار واذا ما نجح في ذلك يجد أن رقم مصروفه قد ارتفع خلال تلك المدة الى ٦٠٠٠ دولار دون أن يشعر والسبب يعود الى رقى المصانع والمتاجر واجتهادها في اقتلاع كل درهم يحويه جيب الاميريكي .

وقد تمنن المنتجون في سبب المستهلك بطريقة البيع بالتقسيط للأفراد ومعنى هذا هو اجبار المشتري على العمل المذهب لتسديد ما عليه فبعد ما كان البائع تحت رحمة المستهلك وضع المستهلك تحت نظام التقسيط تحت رحمة الصانع وهذا النظام يسبب التفافاً مالياً فالبايع بالتقسيط يوصى على صفقات كبيرة مؤملاً تسديد أثمانها مما يدفعه المستهلك من الاقساط والمصانع تشتري كميات عظيمة على أمل دفع أثمانها من الدفعات التي يسدها التاجر بعد قبض أقساط المستهلكين وبالطبع ينتج عن ذلك أيضاً توسيع المصانع والمتاجر وبما أن المستهلك لا يقتصر على شراء ما هو في حاجة اليه بل يشترى بنظره الى تقليد من هم في مستوى أعلا من مستواه مستهيناً بالاقساط، فان اللازمة لا تلبث حتى تداهمه فاذا ما اشتد عليه الضغط اضطر الى الاختيار بين أمرين، فاما انهاء قواه بالعمل طلباً لرفع رقم دخله وإما أن يستسلم للأفلاس فتباعاً املاً به بانخس الأثمان .

وقد أصبح الاميريكي بفضل هذه الطريقة رقيقاً للتاجر الذي يلعب بسيف ذي حدين فهو يبتز آخر درهم يملكه المستهلك . هذا من جهة ومن جهة أخرى فانه يجبر الصانع على الرضوخ لما يملكه عليه من الشروط لان طلباته الكبيرة تغري أي صانع لمنافسة غيره في الأثمان ولان الصانع يحتاج الى ربح فلا مجال امامه الا الضغط على العمال كي يزيد ارباحه .

فالاميريكي ليس بالثري بل هو متظاهر فقط بالثراء يعيش على اكثر من دخله وهو دائماً مديون ولكن سياًتي « يوم التصفية » ان أجلاً أو عاجلاً وعند هانهد أساس كل هذا البناء المنتفخ .

ولكى أعطيك فكرة عن درجة بؤس الرجل الاميريكي أسرد لك القصة الآتية .

أراد سكان إحدى المدن الاميريكية الصغيرة الاحتجاج على ارتفاع رقم ضريبة ماء، فقصدهم بعضهم أحد متوسطي الثروة من رجال الاعمال طالبين الضمامه اليهم، فاجاب بان ما يدفعه من هذه الضريبة لا يتجاوز ٥٠ دولاراً

في السنة وهو ما يعادل دخل يوم فاذا ما انضم الى الجماعة سينفق اثني عشر يوماً بالاقبل في اجتماعات وانضمام الى وفود وفي اجابة علي أسئلة وخلافه ولذلك يجد أن من صالحه خسارة دخل يوم وتوفير دخل احدى عشر يوماً لنفسه .

وهل بعد ذلك لا يقال إن البرذعة قد أصبحت محتكمة في الحمار، وبمعنى آخر ينكرون ان العمل قد أصبح السائد حتى على حرية الاميريكي؟
ملخصة
حسين محمود

بين الدين والعلم

خطأنا بعض الكتاب يوم قلنا بأن الدين سوف ينادى العلم في المستقبل وقيل بأنه لا يقوم دليل على أن مواقع أخرى سوف تقع بين الدين والعلم . على أنى وقعت على قول للاستاذ جوليان هكسلي يؤيد مذهبنا اليه قال : « قد تقع علي كثيرين من حسنى النية يقولون لك بأن المراك بين العلم والدين قد انتهى أمدده وفات زمانه . والحقيقة على تقيض ذلك . فان تلك المعركة التي أطلق عليها تجاوزاً معركة الدين والعلم تكاد تبلغ في هذا الزمان شكها الفاصل . فان كل المواقع القديمة لم تكن سوى مناوشات بين الطلائع . وما حادثة غاليليو وحادثة داروين الا تصادمين بين طرفي المتخاصمين . أما الموقعة الكبرى فانا في انتظارها . وهى ولا شك سوف تتناول فكرة وجود خالق ، ولا شىء غير هذا » .

عن كتاب « الدين بلا وحى » للملازمة جوليان هكسلي

خطاب مفتوح

الى اصدقائي الاتقياء

ماخضة عن الانكارية

اي اصدقائي الاتقياء ، واقصدكم انتم رجال الدين وليس غيركم ، مغفرته وصفحا . بينا انا اعترف باخلاصكم المتناهي لما تمسكون به من المعتقدات لا تما لك من اظهار اذهاشي كلما افكر كيف تحاولون الجمع بين النقيضين فانكم تدعون بان لكل منكم عقلا ، في حين انكم تسامون بشيء ينفي حقيقتها كل من له ذرة ولو صغيرة من العقل

صدقوني انني لا اقصد ان اهيئكم كما واني لا ادعي الكمال لنفسي ولكن لم اصل بعد ، كونوا مطمئنين ، الى الجمع بين المتناقضات كما تفعلون انتم . واني مستعد تمام الاستعداد للاقتناع وترك كل ما تثبتون انه خطأ من افكاري ، فهل لكم بعض الشجاعة انتم ايضا لتصرحوا مثل هذا التصريح قبل ان نالج باب الجدال ؟

اننا لو فتحنا كتاب الطبيعة العظيمة لا يسعنا الا التسليم بوجود قوات متفرقة كانت السبب في الوجود كما وانه توجد قوات اخرى تسببت في العدم . نجد قوات مبدعة ونجد قوات مشوهة ، نجد قوات ناجحة وقوات غير ناجحة .

انتم تقولون ان كشكول هذه القوات المتناقضة المتعارضة اسمها الله وجدت خلائق لاعدادها منذ ازمان توغل في القدم الا امد لا يجد وقد فئت بعض هذه الخلائق ، فهل يصح لي الاستنتاج ان خلقها كان خطأ ؟ والا فلماذا اندثرت تلك الزخافات العظيمة الهائلة التي كان مجرد خلقها دليلا على عظمة الله ؟

ولماذا اندثر بمضها قبل ان يخلق الانسان بعدة آلاف من السنين مع انكم

تقولون بان خلق الحيوانات من اجل الانسان! اليس ادعاؤكم هذا خطأ فظيع؟
اهو الله الذى يوجد ويعنى؟ اذن هو يجري تجاربا في مختبره الطبيعي
العظيم فاذن هو يحاول الوصول الى الحقيقة التى لم يتوصل اليها بعد؟

وفي العالم ملايين من النباتات ومن الحيوانات ايضا ولكن الانسان لا يعرف
الا بضع مئات منها فكيف تثبتون ان الله قد خلق كل شىء من اجل الانسان؟
وكيف تدعون ايها السادة ان الله جبل اول انسان من الطين ثم نفخ فيه
من روحه، والعلم - الحفريات - يدلنا على ان الانسان احتاج لآلاف عديدة
من السنين - ان لم يكن مئات الآلاف من السنين ليصل الى ما هو عليه الآن
وبالرغم من مرور كل ذلك الزمن لا يزال الانسان محافظا على اعضاء اثرية
ورثها من اسلافه الحيوانات مثل الزائدة الدودية والاذن الاظافر

ايها السادة انكم تخيلتم الله على صورتكم ثم نسيتم هذه الحقيقة وادعيتم
انه صوركم على صورته وهذا ليس بالخطأ المهم فهو ينحصر من مبادلة بسيطة
بينكم وبين الله الذى ظننتموه رجلا كبيرا جدا يعمل الاعمال التى تعملونها
ويتصف بالصفات التى تتصفون بها وله رغبات كـرغباتكم ولكن هذه الاعمال
والصفات والرغبات هى في نظركم هائلة جدا

اذا كان الله يظهر آثاره للناس كي يعرفونه فلم حرم الاوائل من مشاهدة
آثاره وقد كانوا احوج منا لذلك؟ خبروني لماذا هبط من عرشه ليحكم موسى
وقومه واشغل وقته في مناضلة فرعون الى ان ضاق ذرعه فهرب بهم من مصر.
حقيقة انه هلك ابدان المصريين ولكن النتيجة كانت هروبه بتلك الشرذمة
القليلة بدلا من ان ينصرها فهل لم يكن في ميسوره اكتساب النصر؟

وحلت روح الآله في طفل يهودى لكى يثبت لقبيلة من القبائل بانه
آله موجود. ولكن هل خفى على الله ان اهل الهند والمكسيك وسيبيريا
والترنسفال لم يسمعوا بهذه الحادثة الا بعد فوات الوقت، وعندئذ صدقوها
فقط لتخليص اجسامهم من نار محاكم التفتيش الهائلة. بل ما قولكم ادامكم الله
في اناس لم يسمعوا بحلول الروح العزيزة في جسد ذلك الطفل اليهودى حتى

الوقت الحاضر. اظنكم ستبتهلون اليه تعالى كي يثبت لهؤلاء الجبهة صدق قصة
هبوطه بقوة المدافع والغازات الخائفة

ليس هذا هو الذي اوحى اليه بل ما يدهشني هو وجود ثمر من مدعي
العلم يعيشون وسط الثقافة والمدنية ومع ذلك يتمسكون اشد التمسك بصحة
هذه الخرافة فهل لم يخطر ببال أولئك السادة ان ينجسوا ولواطراف اصابعهم
بمس كتاب عن مبادئ علم الحياة ليعرفوا استحالة نشوء الجنين بدون لقاح
وكتاب مبادئ علم الفلك ليوقنوا ان الافلاك ليست ممسكة بخيط حتى يحركها
الناس لتقود قوهما الى داخل غار لتريهم اين ينام الطفل ابن الله وليس لدى
وقت ولا مكان لاستعراض مبادئ كافة العلوم الاخرى التي لا تفند بل تخطوا
فقط على السفاسف التي يسمونها معجزات دون أن تشعر بوجودها لان الطفل
المراهق له مقدرة عقلية كافية لنبد أمثال هذه الخزعبلات لولا . . . اجل
لولا الخوف من التقاب حول سيخ الشواء على نار جهنم القوية (يلاحظ اناء
عامنا من التجربة ان النار الهادئة افيد كثيرا في انضاج اللحم من النار القوية
التي تحرقه) وبمناسبة ذكر عملية الشواء الاخروية هل احسن آباء الكنيسة
صنعا عند ما سبقوا الباريء جل جلاله فقاموا في دنياهم بعمل كان ينتظر أن
يقوم به هو في الآخرة . فهل حرق الكنيسة للاحياء في عالم الدنيا كاف
لتطهيرهم ام هو تعد على حقوق الله ام هو اجراءات تسبق اجراءات الآخرة
وتكون لها بمثابة (ايراتيف) لتفتح نفس اللاحد كي يقبل على عذاب الآخرة
بشبهة جيدة

وما الذي يقصده الله من تدمير قرى الاولين وتشتيتهم بل ما الذي يقصده من
اثارة البراكين على بعض جهات من الارض دون غيرها لا فرق بين ما اذا كانت
متمثلة بوثنين او بمسيحيين، بل ما ذنب الاطباء الذين يصب الله جام غضبه
على ملاجئهم فيحرقهم فيها وهم احياء. لماذا هذه المحاباة بل لماذا يضحي الله
ببعض المؤمنين الانبياء ويترك حبل الكثيرين من الكفرة الاشقياء على غاربهم

وإذا كان الزواج مقدس فلم يرزق الله من لم يتزوجا زواجا مقدسا بابناء
والبنوة نعمة بل لماذا يكون بين ابناء الآخرين اصحاء وضعفاء كما هو الحال بين
نتاج كل زواج مقدس؟ واليس في وجود اولاد غير شرعيين اصحاء بينما نجد
اولاد غير شرعيين اصحاء بينما نجد اولاد شرعيين ضعفاء ، اثبات على ان الله قد
بارك نسل أولئك الجحدة ؟

هذا قليل من كثير اتقدم بكل خضوع اليكم راجيا بحشه
سأؤوا بارلو برازيل بندلي البيلوني

النتائج والمدرسة

الفرق بين المدنية القديمة والحديثة عظيم . على انك اذا اردت أن تعرف
الفرق الحقيقي مقيسا بالحالات الواقعة فامعن النظر في مايلي
« تمثل الشاعر دانتي المشهور انسانا وأفعى وقف احدهما بازاء الآخر . وما
لبشا أن يقفا حتى تولاهما انقلاب خلقي خطير . فانبطح الانسان على الأرض
واندمج ساعده في جنبه والتحمت ساقاه ، واخذ جسمه يستدق ويزداد استدارة
وامتداداً ، في حين أن الافعى انتصبت على ذنبها واخذ رأسها يتضخم ونبت
لها ساعدان ، وانفلق نصف جسمها الاسفل فكان ساقين ، ثم نظر كل من
الانسان المنقلب افعى والافعى التي انقلبت انسانا بعضها الى بعض برهة ثم مضى
كل منهما في سبيله . فلو أن دانتي أدرك هذه المدنية لما تمثل أن انسانا وقف
ازاء افعى ليأخذ كل منهما صورة صاحبه ، بل تخيل انسانا وقف أمامه آلة
ميكانيكية فنت ارادته في ارادتها ، فاصبح آلة ، واصبحت الآلة انسانا
من كتاب معضلات المدنية الحديثة

رباعيات الخيام

مترجمة بقلم فياسوف العراق

السيد جميل صدق الزهاوي

— ٣ —

في العظة والاضحى

— ٧٥ —

كان ليل من قبلنا ونهار ونجزم تلج بالدوران
رب أرض وطئتها هي كانت عين حسناء في قديم الزمان

— ٧٦ —

ذهب العمر مثل ماء بواد أو كزح مرت علي القلوات
لم أفكر في كل عمري في يوم مين يوم مضى ويوم يأتي

— ٧٧ —

ان وفي لي الغريب فهو قريبي أو جنائي الصديق فهو عدوي
رب سم فيه شغفائي ودرياق أرى الموت منه لي في دنو

— ٧٨ —

عامل الناس بالولاء جميعاً من يسء فهو بالملام خليق
فاذا كدت فالصديق عدو واذا جدت فالعدو صديق

— ٧٩ —

أيها القلب هب ربيعك قدزين — بزهر من نرجس وأقاحي
وتلى الزهر ليلة بت كالطل — وفارقت بوقت الصباح

— ٨٠ —

ما مضى فات والذي سوف يأتي مخفف في غياهب الشبهات
اغتم وقتك الذي أنت فيه ثم لا تحفل بماض وآت

— ٨١ —

أنا فوق الثرى أرى راقدين وأرى تحت وجهها مخفين
والى اللاوجود أرسل طرفي فأرى القادمين والذاهبين

— ٨٢ —

هي دنيا ما لها من ثبات فتمتع بالراح بين يديكا
أنها لو وفّت لما انتقات قط — من الآخرين يوماً إليك

— ٨٣ —

أنت في الواجبات قصر عمرأ أفلا تستحي من التقصير
هب جميع الدنيا غدا لك ملكا أتري غير تركها في الاخير

— ٨٤ —

هب جميع الدنيا أتت لك غمواً وأفادت وان نجمك سمد
وافترض أن قد عشت مائة عام وبلغت المني ! فماذا بعد

— ٨٥ —

يا يدي الما شطلت حسناء روداً مشبهاً وجهها من الحسن زهراً
الغبار اتفضيه عنها برفق فلقد كان وجه حسناء أخرى

— ٨٦ —

ان هذا الورد الذي قد تقيأ ت وقد جاء بالاربع يجود
قد بدا في هذا التراب كثيراً وكثيراً الى التراب يعود

— ٨٧ —

انما الناس أجمعين كما قد هلك الناس قبلهم يهلكونا
أمم قد أتت فما كان لبث ثم يأتون ثم لا يلبثونا

— ٨٨ —

كم الى اللون والروائح تصبو وتروم الاخبار والطيبات

أنت يوماً تغور مخفياً في الأرض حتى ان كنت ماء الحياة

— ٨٩ —

أيها القلب مضك الدهر غمّاً أنت في يوم ميت من عذابك
اتخذ مقعداً من العشب وانعم قبلما ينمو نابتاً من ترابك

— ٩٠ —

في عيون المحققين سواء أجنان مكانهم أم جحيم
حسن يسمعون أو قبيح وجميل يرونه أو ذميم

— ٩١ —

أن تحاول أن تستريح فاجمل كل من جامل المخاصم بهذا
سالم الناس ان أردت سلاماً ان من يؤذى غيره يتأذى

— ٩٢ —

افرض الشيء الذي هو موجود د ولما تفز به مفقوداً
وأحسب الشيء الذي هو مفقود د وقد رمت نيله موجوداً

— ٩٣ —

انما الديك قائل بصياح منه شبه النحيب قبل النهار
قد مضت ليلة من العمر أخرى في غشون الكرى وما أنت داري

— ٩٤ —

كان هذا الشقيق من قبل حين دم ملك في الأرض ذي سلطان
وكذا كانت البنفسجة الزر قاء خالا بوجه إحدي الحسان

— ٩٥ —

كن حماراً مع الاولى زعموا أن لهم في كل العلوم اقتداراً
من حمير يكفرون بجهل كل انسان لا يكون حماراً

— ٩٦ —

انما الرزق لا يزيد ولا ينقص مهما ذمته أو حمدتا
استرح من جميع ما لم تجده وتحرر من كل ما قد وجدتا

— ٩٧ —

ان هلكنا حثوا على الوجه منا من ترى كانت مثلنا انسانا
ثم يحثون بعد ما نحن نبلى من ثرائنا على وجود سوانا

*
*
*

في الحكمة والشك

— ٩٨ —

انما الهم والسرور وهذا — الخير والشر كل ذلك موعز
لا تحلها الى السماء بجهل انها الف مرة منك أعجز

— ٩٩ —

أنت لو كنت بالحياة خبيراً لعرفت الذي لدى الموت يجرى
أنت في هذا اليوم حي ولاتدري فتبلى فكيف ان مت تدري؟

— ١٠٠ —

ان اهل الدوم قدحوا بالهـ كبر زنداً فلم يخف الظلام
لم يروا مخرجاً من الليل ينجى ولقد قصوا قصة ثم ناموا

— ١٠١ —

اغتم فرصة الحياة وخذ باللهـ وأنعم فالعمر أن مر مرأ
لست ذاك الذي اذا حصوده مرة كالكرات ينبت أخرى

— ١٠٢ —

لعبوا بالتراب دهرًا الى أن جبلوا منه في النهاية طيني
أنا ما إن كون احسن مني فمن الكور هكذا أفرغوني

— ١٠٣ —

فئة في اليقين والشك هاموا وفريق بالدين راموا لو اذا
واذا صأح يقول مشيراً ليس ذا كم هو الطريق ولا ذا

— ١٠٤ —

ان خاف الستار عنك وعنى لحديناً على المسامع يلقى
فاذا ما انطوى الستار فلا أنت عليه تبقى ولا أنا أبقي

— ١٠٥ —

أنا لا أشتري الخيال بفلس وتبيع الدنيا باخراك أنا
قلت من بعد الموت أين ذهابي؟ هات خمر او اذهب الى حيث شئت

— ١٠٦ —

ما لهذا الوجود من اول أو آخر فافتكر به وتعجب
ليتني قد عامت من أين جئنا والى أين بعد حين سنذهب

— ١٠٧ —

ليس تدري العقول مبدأ هذا الكون والمنتهى فيا للعقول
من سماء فيها نجوم وأرض جمعت بين نوافه وجايل

— ١٠٨ —

أمم قد بادت وعادت وبادت ثم عادت لاتسأم التكرار
ن خلقا يحيون في الارض ما لم يمت الله يولدون مرارا

— ١٠٩ —

قال أهل الحجى رب قدير واطالوا في ذاته التفكير
ثم لم يعرفوا حقيقته بل هذروا أولا وناموا أخيرا

— ١١٠ —

انهم قد قالوا هناك جناز لك فيها خمر وحور عين
فاتخذ في دنياك خمرآ وحورآ مثما في اخراك سوف يكون

— ١١١ —

امر الناس باجتنب المعاصي وهو في الوقت نفسه يعزيم
ان هذا كمن يقول اقاب الكاس بأمري ولا ترق ما فيها

— ١١٢ —

ان ذاك النقش الذي وقعت عينك يوما بين النقوش عليه
ليس الا فقاعة ظهرت في وجه بحر طمان وآلت اليه

مِثَارُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ

مِرَاقِبَاتٌ وَمُخَيِّصٌ عَنْ أَهْلِ الْمُرُفَاتِ الْأُورُوبِيَّةِ

ابن الانساره

تأليف اميل لودفيج الاديب الالماني المعروف - وهو ترجمة عن حياة المسيح عيسى بن مريم على نمط جديد لم ينتجها كتاب التراجع من قبل - يقع في ٣٢٠ صحيفة من القطع الاوسط من اللغة الانجليزية .

The Son of Man : by Emil Ludwig : Translated from the german by Eden & Cedar Paul ,with eight illustrations after Rembrandt. pub ., Ernest Benn & co limited : London.

في الساعات الاولى من يوم الجمعة ٧ ابريل سنة ٣٠ بعد الميلاد ، على ما حققه المؤرخون بكثير من المرجحات ، خرجت من ثكنات « انتونيا » في اورشليم شذمة قليلة من الناس قاصدة الى خارج أسوار المدينة ، وعلى مقربة من طريق عام ، ومن فوق ربوة يكفي ارتفاعها لان يجعل ما يحدث فوقها ظاهراً للشاهدين وعابري السبيل ، انتهى مسير الشذمة لتباشر عملها . ثلاثة من « المفسدين » سوف يصلبون في تلك الساعة . أما أحدهم فقد اتهم بأنه يقوم بدعوة يحاول بها أن يقضى على النفوذ الروماني في أرض « يهوذا » وأن يعيد مملكة « اليهود » الى سالف عهدها ودارس عزها وسطوتها ، وأن يجعل نفسه بعد ذلك أميراً على تلك البلاد . ذلك عيسى بن مريم الناصري .

وكانت اورشليم في ذلك اليوم تعج بالقادمين والزائرين الذين أموها من أطراف الدنيا الاربعة ليحيوا فيها عيد الفصح ويحجوا الى بيت الله الحرام . وأقيمت الصلبان الثلاثة وعلى أحدها انبع من أخرجت الانسانية من

أبناءها البررة المصلحين ، وعلى الاثنين الباقيين مفسدين من مفسدى ذلك
العصر ومن قاطعي طرق بلاد يهوذا في عصر ما عرفت فيه السبل سلطنة القانون
ولا بطش الحكومات . وهكذا كان . اجتمع الصلاح والفساد في مكان
ليدل على أن الصفات الانسانية مهما تحورت ومهما سمت فلا بد من يختلط بها
أصل من أصولها الحيوانية المكونة من خليط من فاسد النزعات وصالحها
ومن عناصرها ، اذ ترى فيها سمو العواطف في الأمومة والابوة ، تقع فيها على
اسفاف حب الغلبة وحفظ الذات ، تلك الصفة التي كثيراً ما كانت سبباً في
اهراق الدماء وتصديق كل ما رأيت شرائع الآداب من صدوع الانسانية .



هذه صورة وجيزة يختتم بها الاستاذ « أميل لودفيج » كتابه « ابن
الانسان » الذي حاول به أن يصور عيسى بن مريم في صورة تقرب جهد القرب من
حقيقة ما حدث في تلك الازمان . ولمؤلف هذا الكتاب طريقة مبتكرة
في وضع التراجم اذ هو يحاول أن يتغلغل في روح العصر الذي عاش فيه
بطله الذي يترجم عن حياته ، ويستعمق في درس حوادثه حتى يخلق في ذهنه
جواً يقرب جهد القرب من الجو الذي عاش فيه بطله ، ثم يندمج فيه ، بعد
أن يستوعب كل ما يستطيع استيعابه من حالات العصر الذي يسبق ظهور
البطل مباشرة وحالات العصر الذي يعقب طيه في أكناف الزمان ، ليخلص
من جماع ذلك بصورة هي الى الفن التصويري أقرب منها الى الفن الادبي .
والحق أن الصورة التي تخلص بها من كتاب لودفيج بصورة ثابتة خالدة ،
والطابع الذي يدمغ به مخيلتك لن يزول .

قرأت عن الكتاب كثيراً من التلخيصات قبل أن أظالعه في الاصل
الانجليزي وقرأت في بعضها نقداً وفي بعضها مدحاً يفوق حد الاغراق .
أما النقد فخصه به رجال الكنيسة ، وفريق منهم في طليعة أدباء الانجليز
كلاسقف انج مثلاً ، وأما المدح وبالعن الوصف فصدر من أقلام فئة خست
اليوم بالتحكم في الادب الانجليزي ولها القدح المعلى في النقد وقوة الحكم

على حقائق الصور الادبية التي تصدر من أقلام الكتّاب . على أنى ظلمت بين هؤلاء وهؤلاء في شك وريبة حتى وقم لي الكتاب ، واذا بالاثر الذي يتركه في نفسي والصورة التي يطبعها في مخيلتي أعظم من أن تعبر عنها جمل التقريظ التي قرأتها من قبل في صحف الانجليز . الاثر بالغ والصورة جليلة واضحة . أما طابعها فثبت في الذهن يساورك أينما سمعت باسم « عيسى » أو اورشليم أو بيلاطس أو هيرودس أو هيروديا امرأته أو شالوم ابنتها أو يوحنا المعمدان أو مجري على لسانك ذكر الناصرة أو بذهنك صورة الجليل . على أنك لا تذكر هذه الاسماء أو الأماكن مفردة اذا ذكرتها الواحدة بعد الأخرى ، بل أن ذكر أى منها كاف لان يقيم في ذهنك الصورة التي برع لودفيج في طبعها في مخيلتك تامة كاملة .

وبعد كل هذا فانك لن تتهم ما يكتب لودفيج أو تستطيع أن تعرف ما رمى اليه في كتابه العظيم الا اذا ماشيته بعقل تحرر من التقاليد وفكر غير منفسد بالنقل ، وعرفت انه إنما يتكلم « في عيسى » لافي « المسيح » والفرق عظيم بين الحالتين .

اقرأ من إنجيل لوقا في الاصحاح الثاني

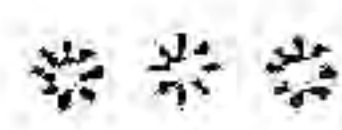
« وفي تلك الأيام صدر أمر من اوغسطس قيصر بان يكتب كل المسكونة . وهذا الاكتاب الاول جري اذ كان كيرينيوس والى سورية . فذهب الجميع ليكتبوا كل واحد الى مدينته . فصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داوود التي تدعى بيت لحم لكونه من بيت داوود وعشيرته ليكتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى . وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد . فولدت ابناً البكر وقطته واضجمته في المذود اذ لم يكن لها موضع في المنزل . »

وجاء في هذا الاصحاح نفسه .

« وكان أبواه يذهبان كل سنة الى اورشليم في عيد الفصح . ولما كانت

له اثنتا عشرة سنة صعدوا الى اورشليم كعادة العيد . وبعد ما اكملوا الايام
بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في اورشليم ويوسف وأمه لم يعاما . واذا
ظناه بين الرفقة ذهباً مسيرة يوم وكانا يطلبانه بين الاقرباء والمعارف . ولما
لم يجدها رجعا الى اورشليم يطلبانه . وبعد ثلاثة ايام وجداه في الهيكل
جالساً في وسط المعلمين يسمعون ويسألهم . وكل الذين سمعوه بهتوا . من
فهمه واجوبته . فلما أبصره اندهشا . وقالت له أمه يا بني لماذا فعلت بنا
هكذا . هو ذا أبوك وانا كنا نطلبك معذيين . »

اذن فقد كان أبوه يوسف وأمه مريم يكلاّنه برعايتهما . ومات أبوه
يوسف وبقي عيسى مع أمه في بيته بقرية الناصرة . أما لودفيج فيصنف
لك عيسى على باب منزله بالناصرة هادئاً ساكناً يرعى الطريق بعينين سوداوين
لامعتين تلوح من بينهما إمارات الذكاء النادر والقوة الروحية البالغة . ومن
حوله اخوته الصغار يقطعون عليه سيال تأملاته ويشوشون عليه تيار افكاره
فيقوم متثاقلاً من البيت الى تل قريب تكسوه الاشجار وتهب عليه الرياح
البليدة ، وهناك يستاقى تحت الظلال مستغرقاً في التأملات العميقة . وقد
يظل على حاله تلك ساعات طويلة يعود بعدها الى البيت منهوك القوي ولكن
على ما تعهد فيه من الرصانة وتوازن الخطو وشجوب الروح الفائضة بكل معاني
القوة والجمال .



في نهر الأردن يقف يوحنا المعمدان ليعمد الناس ويغسل خطاياهم فيأخذ
من ماء النهر ويصب على رأس من يريد التعميد . ومن ثم يتفوه بكلمات يقول
فيها « انا أعمدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن
أحل سيور حذائه . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار » .
(لوقا اصحاح ٣) .

وجميع الناس الى الأردن ذرافات ووجداناً . وسعى اليهود الى الأردن
ليتعمدوا ويتطهروا من خطاياهم وايرووا ذلك المبشر الذي يبشر لهم

ملكوت السماوات وانها قريبة منهم وان المسيح الذي بشر بظهوره انبياء
بنى اسرائيل قريب ظهوره



يوحنا المعمدان في الاردن

وفي سن المراهقة أو أزيد قليلاً يذهب عيسى الى يوحنا ليتلقى المعمودية على
يديه . « ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً واذ كان يصلي انفتحت
السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة مثل حمامة وكان صوت من
السماء قائلاً أنت ابني الحبيب بك سررت » .

(لوقا اصحاح ٣)

هنا يصور لك لودفيج صورة خالدة من صورة العظيمة . يوحنا في النهر
يغمر الماء الى ما فوق ركبتيه ويأخذ من ماء النهر ويصب على رأس من يتعمد .
وبجانب النهر قل عال ينحدر من فوقه الطريق الى حيث كان المعمدان ،
والحجاج ينزاحون الى النهر ليظهروا ارواحهم من أرتجاس الحياة الانسانية

ويستقبلون ملاكوت السموات التي يبشر لهم بها يوحنا ويسمعون كلماته التي يوحى اليهم فيها بان المسيح على الابواب وان زمانه قد قرب .
وينحدر عيسى من فوق الجبل ميمناً نحو النهر ثم يلتقي بالمعمدان فيطيل كلاهما النظر في الآخر ثم يأخذ في تعميده بسد أن يفرغ من كل الناس ، ولم يكذب يسمع عيسى كلمات المعمدان حتى تأخذه هزة عميقة فيخرج من النهر مسرعاً ويهيم في البرية شارد الفكر مضطرباً ثم لا يعود إلا وهو على اعتقاد بانه المسيح وأنه مخلص العالم الذي بشر بظهوره انبياء بني اسرائيل .
« وخرج عيسى من النهر بعد أن تطهر من الخطايا التي لم يرتكبها قط ، ولكن كان لا يزال مضطرباً لان كل الاشياء التي رآها في نهر الاردن حتى ذلك الوقت كانت بلا معنى يدركه . ولقد ارتج عليه الموقف بعد أن توالت أمام ناظره صور ماء النهر والمعمدان والجماهير المتراخمة من حوله ، فيخرج من غمر الجماهير ووقف وحده بعيداً مغمضاً عينيه ، محاولاً أن يلم أطراف نفسه المضطربة مرة ثانية ، وهنا يضيء أمام ناظره ظلام الوجود ، فيرى رؤياً ويسمع صوتاً . ويخيل اليه أن ابواب السماء قد فتحت وأن حمامة تطير ، كأنها تحمل اليه رسالة . فيسمع صوتاً غريباً منبعها من قلبه يقول له —
« انت ابني الحبيب بك سررت » .

« ما أهولها من برهة . وما أزعجها من لحظة . اهـ ذا صوت أبيه ؟
لقد سمعه من قبل مرات عديدة . في تدفق ماء النهر وفي غمزات الاضواء السماوية التي تبعث بها النجوم البراقة . وفي صرخ الاطفال اذ يلعبون . غير انه الآن بين جلي صرخ ، بل كلام في مقاطع مميزة فيدعوه ابنه » .
« وما كنه الروح فثر عيسى من غمر الجماهير ومن المعمدان ، متغافلاً في جوف الصحراء »

« وفي اليوم الثاني يشوب الي رشده وهو في جوف الصحراء . وتعاوده شيئاً بسد شيء ذكرى ما حدث في اليوم السالف . غير أن اضطرابه لم يذهب وروعه لم يثب . ولقد زادت انوحدة والاستيحاء إلى اضطراب نفسه » .
هذه هي الصورة التي يصور بها لودفيج تعميد المسيح . اما صومه

وفراره في البرية فاليك مايقوله لوقا من اصحاحه الرابع .
 « أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس وكان يقتاد بالروح
 في البرية أربعين يوماً يجرب إبليس . ولم يأكل شيئاً في تلك الأيام . ولما
 تمت جاع أخيراً . الخ

« ورجع يسوع بقوة الروح الى الجليل وخرج خبر عنه في جميع الكورة
 المحيطة . وكان يعلم في مجامعهم ممجداً من الجميع .
 بهذا اكتملت مقدمات رسالة عيسى ابن الله ، وبدأ يعلم الناس على
 القواعد التي أخذها من معلمي اليهود وزاد اليها رسالته التي بشر بها انبياء
 بني اسرائيل منذ ابد الازمان



قد تسأل من هو يوحنا المعمدان؟؟ وكيف ظهر فجأة بين يوم وليلة
 ليؤدى إلى بني اسرائيل رسالة طالما انتظروها بحرارة الخوف واشفاق
 الرعب والوجل .

انتشرت اشاعة بين بني اسرائيل بموصلها أن رجلاً ظهر عند منقطع
 العمران على مقربة من نهر الاردن يدعو الى التوبة ويحبوا الناس بالفقران .
 وانه بدلاً من الختان يطهرهم تعميداً بالماء الذي ينقى اجسامهم وأرواحهم معاً .
 وهو مسدل الشعر فوق الكتفين ، كما أن له لحية كثة طويلة ، ويكتسى بوبر
 الابل وان الصوم وطول التعبد قد فعلا في جسمه فاصبح نحيلاً ضئيلاً متهتلاً مشبوهة
 بالايمن مملوءة بالتقوى . وأنه يلقي الى الناس رسالة مؤداها التحذير من
 غضب الله ويزجرهم عن فعل الموبقات وارتكاب الخطايا والآثام .
 اما التمكرة العامة فكانت على ان هذا هو النبي « إيليا » الذي عاش من قبل
 فوق جبل الكرمل في كهف من كهوفه المنقطعة عن العمران وعن جلبة
 الناس ، والذي كان يظهر حيناً بعد حين ليتزوج ملوكاً ويخلع آخرين . اما
 الاساطير فتقول بان « إيليا » لم يمت أبداً وانه بقي حياً على طول الازمان
 وانه سوف يعود يوماً من الايام ليخلص بني اسرائيل . فيها هو قد ظهر

أخيرا . ظهر « إيليا » برسالة المخيفة المهيبة ، وها هو يوم الحساب قد آن .
كان يدعي يوحنا . وكان منذ نعومة اظفاره معروفا بعناده وشدة
مراسه . هكف على عيش الوحدة والانعزال والابتعاد عن الناس والانعطاع
في الوديان السحيقة القريبة من مكان مولده ، في تلك البقعة التي يتابع فيها
التل التل ، ويتلو فيها الوادي الوادي على تلاحق وإلا انقطاع .

ولقد تعلم يوحنا في اورشليم ونهل من حكمة اليهود القديمة ودرس
الشريعة وعكف على تفسير الكتب المقدسة ليكون كاهنا كأبيه . غير أنه
بعد زمان هرب من المدرسة ، إما لأن ما كان يتلقاه هناك أوسع عن عقله
المقاصر ، وإما لأنه كان أصغر من عقلة الكبير . ولكن الى أين يذهب ؟ الى
الوديان المنقطعة عن العمران والى الجبال والتلال المتلاحمة والى الكهوف التي
كانت مبعث أنبياء اسرائيل منذ أزمان بعيدة ، لا ليقضى هنالك طوال عمره
بل ليعود مبشرا برسالة وبالمسيح الذي ينتظره اليهود على احر من جمر الغضب
رهبة ورغبة ، حبا وإشفاقا ، أملا ويأسا . فلما ظهر يعمد بماء الاردن كان
هو « إيليا » وكان « أشعيا » وكان كل من تذكر من أنبياء ذلك العهد
على كثرتهم . ولكنه يعمد بالماء ، ثم يبشرهم بمن يعمدهم بالروح وبالنار

لم يمتن الكتاب الذين كتبوا في حياة المسيح الى حقيقة ذات بال محصلها
أن اليهود كانوا ينتظرون ظهور مخلص . من بين ظهرانيهم يفتح لهم ملكوت
السموات بعد أن يظهرهم من أرجاس الحياة يأخذ بيدهم الى العرش الاعلى .
اما هذه الحقيقة فقد فطن لها في النهاية كتاب الالمان الذين ترجعوا عن حياة عيسى ،
اولئك الكتاب الذين استطاعوا بقوة برهانهم وسبك عباراتهم التاريخية
وصوغ الخناث في قالب قصصي رائع ، أن يقتلعوا عقلية « رينان » ، اكبر مؤرخ
نصراني أنجبته فرنسا ، من أحضان الكنيسة ، ايلقوا به في بحر الشك
المضطرب المتلاطم الامواج .

كانت تثور في نفسية الشعب اليهودي الآمال والخاوف ، بل كانت
تلتهب في عقولهم نيران الانتظار لمن يخلصهم من نير الرومان ومن حكمهم

القاسى ويدهم الحديدية . كانوا ينتظرون المخلص وكانوا ينتظرون ملكوت الله . بل كان املهم قريب وايمانهم بظهور المسيح المخلص ثابت حتى لقد اعتقدوا بان احدا منهم لن يموت قبل أن يراه وقد رفع راية اسرائيل ونشر سلطته على اورشليم وأنه اصبح السيد المظاع في أرض يهوذا . ولا جرم أن شعبا يعيش عيش التطلع الى المستقبل ، ويبعث ليله ويقضى نهاره في توقع ظهور مخلصه وتوجس الشر من المستعمرين ، كما كان شأن اليهود في أول العصر النصراني ، لا بد من أن يكون قد فقد كل امل له في الحاضر ، والى بعينه يتطلع الى المستقبل القريب . لهذا كان ظهور عيسى في الاردن وتعميده خطوة ضرورية يعتقد بعدها شعب اسرائيل أن بن يوسف النجار هو المسيح المنتظر وأنه المخلص وأنه ابن الله .

وكانت النبوءات التي بشر بها انبياء بني اسرائيل تدل على أن المسيح لا بد من تتوفر فيه شروط خاصة منها أن يكون من نسل داود وان يولد حيث كان داود أى في بيت لحم . لهذا حاول كاتبو الانجيل أن يصلوا نسب يوسف النجار بنسب داود وحاول احدهم أن يجعل بيت لحم مستقط رأسه بدل الناصرة حتى لقد وقع كتاب الانجيل الكي يوافقوا بين هذه النبوءات وبين حقيقة عيسى في اخطاء تاريخية كثيرة . فقد اهل احدهم في سلسلة النسب التي حاول أن يربط بها بين يوسف النجار وبين داود ذكر ملوك أربعة . وذكر بعضهم وقوع التعداد الروماني في عصر مغاير للعصر الذي وقع فيه ، بل ذكر أن يوسف هاجر من بيت لحم الى الناصرة ليعد ضمن أهلها ، في حين أن الناصرة في ذلك العهد لم تكن تحت سلطة الرومان . وبعد أن أكثر متي ولوقا من ذكر ابيه يوسف وأمه مريم في جمل مفصلة وحوادث واقعة ، تجد ان احدهما قد اشار الى انه ابن الله وأن مريم كانت حاملا وهي مخطوبة يوسف وان الناس قد وهموا أن يوسف أباه الى غير ذلك ، ليقولوا بانه ابن الله وان الله أبوه .

على أن نسبة البشر الى الآلهة أو الى الله كانت في الازمان القديمة من المعتقدات الشائعة . فكثيرا ما نعت على أبطال آباؤهم آلهة وأمهاهم من البشر ،

ليعظم الناس من شأنهم ويرفعوا من مكانتهم . ولماذا نذهب بعيداً فان اسفار العهد القديم تنص على مواليد حوطوا بالعناية الالهية كمولد اسحاق وصموئيل . وفي التامود رواية عن موسى أنه ولد من أم عذراء . ويقول « فيلو » الاسكندراني أن صموئيل ولد من أم بشرية ، وانها حملت به بعد أن تلقت البذرة الالهية . وتقع على أمثال هذه الاساطير في تاريخ اليونان والهند وبابل واشور . ولم تكن بلاد يهوذا والجليل بعيدة عن التأثير اليوناني ، بل كانت تتنفس في جو مفعم بالاساطير والفكرات اليونانية .

لهذا تجر أن اليهود ، وقد ظلوا زماناً ينتظرون ظهور المسيح في شفقة على انفسهم وخوف من الرومان ، قد حوطوا عيسى بكل مايوفق بين مولده نشأته ، وبين النبوءات الكثيرة التي بشها انبياءهم في اسفار العهد القديم .



وقبض هيرودس على يوحنا المعمدان والقي به في غيابة السجن . والروايات في القبض على يوحنا المعمدان متضاربة ، غير أن المعقول من مجمل هذه الروايات هي خوف هيرودس ، حليف الرومان ، من قيام فتنة يحاول فيها اليهود نبذ السلطة الرومانية . ويقول البعض إن السبب الأكبر هو اعتراض يوحنا على هيرودس لدى زواجه من هيروديا زوجة أخيه فيلبس (١) بل يقولون بأن قتل المعمدان ، كما سنرويهِ لك بعد ، راجع الى حفيلة هيروديا على انه يعترض على زواج هيرودس منها .

ومضى عيسى يعلم ويشفي المرضى ويحیی الموتى « باذن الله » والتف الناس من حوله حتى خيل الى الكثيرين انه إنما يقوم بدعوة سياسية لا بتبشير ديني ، لماذ وجه كل همهم الى نصرته الضعيف على القوي ، وأوحى بمذهب الشيوعية في الأموال .

وأزهرت له الحياة وفتحت أمامه الابواب المغلقة واجتمع من حوله الحواريون . غير أن الزمان لم يلبث انه تنكر لابن الله وكانت أول الحوادث

(١) بهذا تقول الانجيل ولكن الحقيقة ان هيروديا لم تكن زوجة فيلبس بل زوجة

التي ألفت في ذهنه بأثر بالغ ، حادثة قتل يوحنا المعمدان

تأسي بشي المرضي



في الحصن الذي يسكنه هيرودس تقام حفلة زاهرة لأحياء ذكرى ميلاده،
وقد دعى إليها رؤساء الجند والأمراء وحكام الأقاليم في الجليل . كل هذه
وهيرودس غير عالم بما يدبر له من الخفاء

وكان كهنة أورشليم يحرضونه دائماً على قتل يوحنا المعمدان في سجنه .
 ذلك الرجل الذي ازداد نفوذاً بين الناس وقوة حتى بعد أن سجن وضمته في
 جوفها الجدران الصخرية . بل كانوا يحاولون قتل المعمدان ليشنوا بتأييده
 الناصري الذي ألف من حوله كل أتباع يوحنا . غير أن هيرودس كان يرفض
 كل هذا بقوة وحزم . لا شيء إلا لأنه كسياسي كان يعتقد أن دم « الشهيد »
 لا ينسى ، وأن ذكره وأثره في الأذهان أبلغ من نبي يعيش بين الناس .
 وكان كافيلاً سوف يتمتع بحديث المعمدان في بعض الاحايين . وكرجل ضعيف
 كان يجزع من قتل رجل هدمته السنون وزاده المشيب وقاراً وزوده الايمان
 بالهيبة والجلال ، في حين أن قتله كان على غير طائل ومن غير أن ينتفع به
 إنسان فوق الأرض .

أما هيروديا زوجته فكانت أكثر منه شجاعة واقداماً وأوسع منه نفوذاً
 وكانت تود أن تجيب في المعمدان طاب الكهنة . وكانت اعتراضات المعمدان
 على زواجها من هيرودس ، ولو أنها لا تؤثر في بقائها زوجة له ، إلا أنها كانت
 تحز في قلبها بسكين بآرة . وتمت المؤامرة بين هيروديا وابنتها شالوم
 فزينتها أجمل زينة وحملتها بأثمن الحلي . وبعد أن لعبت الحجر بالرؤوس رقصت
 شالوم ففتنت الرجال وبهرت هيرودس ، فضمها إلى صدره وطاب منها أن
 تسأله ما تريد فأنه لن يبخل به حتى ولو طلبت نصف ملكه ! ياهول الموقف !!!
 رأس المعمدان جواباً على كرم هيرودس ! وكيف ترجع كبرياء هيرودس
 عن وعد وعد به وهبة وهبها لابنة زوجته المحبوبة ؟ اذن يضحي بالمعمدان !
 وتحمل الرأس المهيبة الوقورة في طست الى وسط الحفل الجامع ، فتشيع
 شالوم بوجهها ، ويغطي هيرودس عينيه بكلا يديه ، ثم يأمر بالغناء الحفلة وينادر
 الحجرة ، مستسأماً الى تأملاته وأحزانه ومخاوفه .

ولا جرم أن قتل المعمدان كان بمثابة انذار خفي لعيسى ، فزنى ، بل اعتقد
 ان الخريف قد أدرك شجرته المورقة الخضراء ، وأن رأس المعمدان أول
 ورقة سقطت منها .



وكانت النهاية بعد طراد وفرار، فاجتمع عيسى مع تلاميذه للعشاء الأخير .
 وكان عيد النضج والمدينة في هرج والسكل يحاول أن يهوى لنفسه
 عشاء ليقيم بذلك شعائر بني إسرائيل . وكان عيسى قد اتخذ عادة أن يعظ
 ويعلم في الهيكل نهراً ويأوي ليلاً إلى جبل قريب يقال له جبل الزيتون .
 فقد كان يتوجس سرا وكان كهنة اليهود يهيمون من تحت قدميه تلك الهوة
 السحيقة التي اسامت به إلى الصليب . وكيف لا يبيتون له وقد كسر السبت
 وقال إنما السبت قد خلق من أجل الإنسان ولم يخلق الإنسان من
 أجل السبت ؟ .

« و بعد هذا كان عيد لليهود فصعد يسوع الى اورشليم . وفي اورشليم
 عند باب الضان بركة يقال لها بالعبرانية « بيت حنن » لها خمسة أروقة .
 في هذه كان مضطجماً جمهور كثير من مرضى وعمى وعرج وعسم يتوقعون
 تحريك الماء لان ملا كان ينزل احياناً في البركة ويحرك الماء . فمن نزل
 أولاً بعد تحريك الماء كان يبرأ من أى مرض اعتراه . وكان هناك انسان
 به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة . هذا راه يسوع مضطجماً وعلم أن له زماناً
 كثيراً ، فقال له أريد أن تبرأ . أجابه المريض ياسيد ليس لى انسان يلتقنى
 في البركة متى تحرك الماء . بل بينما أنا أت يتزل قدامى آخر . قال له يسوع قم .
 احمل سريرك وامش . فخالاً برىء الانسان وحمل سريرده ومشى . وكان في
 ذلك اليوم سبت » .

« فقال اليهود للذى شفى إنه سبت . لا يحل لك أن تحمل سريرك .
 اجابهم أن الذى أبرأنى هو قال لى احمل سريرك وامش . أما الذى شفى فلم
 يعلم من هو . لان يسوع اعتزل . إذ كان فى الموضع جمع . بعد ذلك وجده
 يسوع فى الهيكل وقال له ها أنت قد برئت . فلا تخطى أيضاً لئلا يكون
 لك اثر . فمضى الانسان وأخبر اليهود أن يسوع هو الذى أبرأه . ولهذا
 كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه لانه عمل هذا يوم سبت .
 فاجابهم يسوع أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل . فمن أجل هذا كان اليهود

يظلمون أكثر أن يقتلوه . لأنه لم ينتقض السبت فقط بل قال أيضاً إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله . »

هذاماتقرأ في انجيل يوحنا وفي ثبت الاصحاح الخامس منه . وكثيرا ما حاول اليهود أن يحيطوا بيسوع وحوارييه في المنزل الذي يجتمعون فيه ويقتلوه . غير أنهم كانوا يخشون شر الفتنة ويحسبون حسابا لماومة إثنى عشر رجلا وعلى رأسهم « الله » حالا في هيكل أنسان . ولقد تعذر عليهم أن يجدوا طريقاً ينتقمون به من عيسى أو يقتفون على وسيلة يهيئون بها طريقاً للاحاطة به وإيقاعه في شرك الشريعة اليهودية أو القانون الروماني . غير أنهم وجدوا في شك يهوذا الاسخريوطي ذلك الطريق وفي ربيته وقعوا على الوسيلة . اذن يشي الاسخريوطي بميسى ، فاذا وقع بين يدي اليهود وبيلاطس ، فعمل الله ما يشاء . وأعدت حجرة العشاء الأخير وصفت من حولها أربع وسادات يسمع كل وسادة منها ثلاثة واجتمع الحواريون الاثنى عشر ومعهم السيد ابن الله أو الله أو الخاص أو ماشئت فقل ، ليحيى الليلة الأخيرة من لياليه فوق الأرض . ولما أخذ كل منهم مجاسه أخذ يحدّثهم عيسى فقال .

« شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم . لاني أقول لكم اني لا آكل منه بحد حتى يكمل في ما كوت الله . (لوقا اصحاح ٢٢)
 « لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد وقال الحق الحق أقول لكم ان واحداً منكم سيساكني » (يوحنا اصحاح ١٣)

اذن هنا لك خائن كان يتم عن خيائه اضطراب في أصابعه الممتدة الى الاناء وهم يأكلون ، و بريق في عينيه لم يخف على عيسى ، ولم يستعص على نفسه القوية وبصيرته النافذة أن تدركا لماذا كان اضطرابه ولاي سبب ينبعث هذا البريق من عينيه . شيثان لم يشهدا في تلميذه « يهوذا سميان الاسخريوطي » من قبل . على أن شك يهوذا لم يكن ليخفي على عيسى ، ولا الريبة الآكلة في صدر الحوارى المزيف كانت لتظل مستخفية على مدارك الاستاذ العظيم . اذن فللخيانة مقدمات سبقت تمهد لها الطريق ، واضطراب الاعصاب المتجلى في بريق عيني الاسخريوطي ليلة الفصح كان دليلا كاملا عند روح عيسى

المشوبة الحائرة، علي أن الخيانة قد تمت وأنه سوف يضحى به ، فلم يخف
ماجال في نفسه وقال ان واحداً منكم سيخونني ويسامني لاعدائي . ولكن
لأى شيء . ليكمل ملكوت الله في الارض وليذهب الابن الى الآب لان
الرسالة قد تمت والعمل قد أنجز .

وظل عيسى يؤا كل الحواريين ومن بينهم يهوذا حتى قال في الخبر هذا
لحمي وفي الخمر هذا دمي . دم العهد الجديد . ذلك الدم الذي سيراق عما
قريب تخلصاً للأنسانية : فيالمظمة عيسى ، ويا لنبل الرسالة التي أداها
والتضحية التي ضعاها .



السما صافية الاديم والهواء يهب عليلاً بليلاً في ليل رخو جميل ،
وقد خرج عيسى من المدينة يتبعه مريدوه ميمما شطر جبل الزيتون .
ولكنه يشمر باضطراب ويشمر بأسف . وقد ملكت نفسه الحيرة والاسى .
ولكن لماذا ؟ لعله تفقد يهوذا الاسخريوطى فلم يجده ؟ وهكذا كان ، فان
يهوذا كان قد احتفى وذهب ليتم جريمته الشنعاء بعد أن حل في جسمه
الشیطان . شيطان الشك والارتياب .

وذهب الى حيث كان بستان في الجبل ، وبعد قليل التفت اليهم وقال
« كلاكتم تشكون في هذه الليلة لان مكتوب اني أضرب الراعى فتتبدد
خراف الرعية . ولكن بعد قيامي اسبقكم الى الجليل . فاجاب بطرس وقال
له وان شك فيك الجميع فانا لا أشك أبدا . قال له يسوع الحق اقول لك في
هذه الليلة قبل أن يصبح الديك تنكرني ثلاث مرات . قال له بطرس ولو
اضطرت ان اموت معك لا أنكر . هكذا قال ايضاً جميع التلاميذ » .
(متى اصحاح ٢٦)

أما الضيعة التي دخلها عيسى فكان يقال لها « جثسيماني » كما ذكر في
انجيل متى . واجلس تلاميذه وانتحى ناحية يصلي وينتظر خيانة الاسخريوطى ،
متي تهبط ثقيتها .

هنالك حركة وجند مقدمون ومشاعل تنير الطريق ، وفي المقدمة

يهوذا سمعان الاسخريوطي الشاك المتريب يتقدم نحو عيسى ويأخذ بتلابيه ثم يقبله . وكانت القبلة علامة على أنه السيد المراد اخذه في الاغلال . وهنا يقول له عيسى « يا يهوذا أبقية تسلم ابن الانسان؟ » . ويقضى الامر ويلقى القبض على عيسى العظيم . لينتدى بدمه الانسانية .



أما بيلاطس الحاكم الروماني فالروايات في شأنه متضاربة في الاناجيل فمنها ما يقول بانه عذب عيسى واهانه ثم أمر بصلبه . ومنها ما يقول بانه أراد تسليمه لليهود ليحاكم حسب شريعتهم . ومنها ما يقول بانه ضفر اكليلا من شوك البسه لعيسى بعد ان جالده بالسياط . اما الرواية التي يصدقها لود فيج فالتى تنص على أن بيلاطس قد سبلم أمر المسيح الى اليهود قائلاً انه ليس أكثر من فيلسوف وليس من شأنه أن يعاقبه على ذلك . ولكن اليهود يلحون ثم يلحون فيبيع لهم دمه ، فيساق الى الصليب مع اثنين من قطاع الطرق الآخرين .

وتقام الصلبان الثلاثة في صورة مثلث ويلح على المسيح العطش فيناوله احد الجنود اسفنجة مبللة يسد اذ يمصها ظمأه ببلولتها . حتى اذا ملكته سورة الألم وكاد الايمان يخونه صاح يقول « اكهي اكهي لم تركتني؟ » . ثم تعثره غيبوبة ثم يستفيق ظمأً ناعاً فيعطى اسفنجة قد بليت بالخل فيقول « قد اكمل ، ونكس رأسه وأسلم الروح » . علي رواية الاناجيل

اما الحواريون وعلى رأسهم بطرس فقد أنكروه حتاً قبل أن يصبح الديك وتفرقوا عنه بدءاً . على أن في نكران الحواريين لعيسى واتقضاضهم عنه في ساعة كان من الواجب ان يموتوا فيها معه لموضعاً للتأمل ومحلا لطول الاستبصار . فاذا كان الايمان لم يعلم الانسان كيف يضحى أو كيف يحب أو كيف يخاطب ، فأى شيء في هذه الدنيا في مستطاعة يهذب البشرية ؟ وكان اليوم يوم جمعة والسبت قادم ويجب أن يموت المصلوبون قبل أن تشرق شمس السبت . فيضطر الجند الى استصدار الامر من بيلاطس بان تكسر

سيقاتهم تعجلاً في موتهم . وتكسر سوق المجرمين . أما عيسى فكان قد
اسلم الروح . وهنا يغمره احد الجنود بحربة في جنبه فيسيل الدم فياضاً
إلى الارض . يسيل الدم الزكي ليخلص الانسانية !!! على انى لست أعلم من
أى شيء خلاصها؟ ذلك ما لا علم لى به حتى الآن .



فوق الصليب

وتنقل الجثة الى غار ويسد باب الغار بصخرة ضخمة لتدفن في اليوم
التالى . وفي اليوم الثانى تحضر أمه مريم ومريم المجدلية وجمع من النساء
والرجال ليدفنوا بن الانسان وبواروه التراب . ولكن أين الجثة . لقد اختفت .
ورفع بن الانسان الى السماء .

يقولون بان بيلاطس أمر بدفنها اثناء الليل سرّاً اتقاء لفتنة . ويقولون
بان اليهود أخفوها أنقاماً . ويقولون بان إسباني الضيعة أخفاها خوفاً على

زرعه أن يهلكه الناس صبيحة الغد بارجلهم. هذه هي الاحتمالات. أما الحقيقة،
فسر في جوف الزمان .

وهنا تقول بأنه لم يسدل بذلك الستر الأخير على رواية عيسى . بل
تقول إن اختفاء الجثة كأنه بمثابة ارتفاع الستار عن أول فصل من فصول أكبر
مأساة شهدتها التاريخ الانساني .

اسماعيل مظهر

العلم والصناعة

تلخيص خطاب الرئاسة الذي القاه السير وليم برايج في الاجتماع السنوي لجمعية تقدم العلوم البريطانية .

في الاجتماع السنوي السابع والتسعين لجمعية تقدم العلوم البريطانية التي السر وليم برايج المراجع العظيم في علم ذرات المادة خطاباً مخصصاً أكبره لا لبحث عويض المعنويات بل تناول فيه الموضوع العملي الحى وهو علاقة العلم بأسراع حركة إنعاش الصناعة . وأسهب الرئيس في العلاقة التي تربط العلم بمهارة الصانع التي حددها بأنها اتقان انتاج كل ما يؤدى الى زيادة رفاهة البشر واستنتاج من ذلك أن الشعوب تعيش بما تصنع أو تكسبه بكدها وجدها وان نجاحها وقف على اتقان صناعتها .

ثم تناول الكلام باعجاب حار بمجال مناذج الصناعة اليدوية القديمة بيد أنه إبان في استعراضه لأراحل الصناعة من المصنع القائم على صانع بمفرده الى المصنع الهائل الكبير الشغب - نتاج الصناعة الحديثة - ان هذا التحول مما لا مناص منه وان ليس في مقدور انسان ان يرجع عقارب الساعة عن المضى والسير . وان الصناعة الحديثة مع كل ما يترتب بها من صخب وضوضاء وبذاءة تطعمنا وتكسينا وتمدنا بالدفع وما يقوم بأودنا العقلي . وذلك للملايين كان نصيبهم الموت دونها .

ان أنشط الصناعات الحديثة هي القائمة على البحث العلمى الحديث واطهر هذه الصناعات الهندسة الكهربائية . وفي أمريكا شركات وجماعات تقوم بالصرف على معامل للبحث والتجارب مما يكافئها الملايين من الجنيهات كل سنة ومع ذلك فقد وجدت هذه الشركات ان الربح المادى يبرر بقاءها واستمرار الصرف على هذه المعامل . فصناعة المحركات الكهربائية - هذه الصناعات البالغة من النشاط مبلغاً واسماً

وصناعة الطائرات والصناعات الكيماوية كلها ، أمثلة هامة من الاعتماد على مسائل علمية عويصة وغاية في التعقيد والتشعب مما تتجه اليها البحوث العلمية بنشاط وعناية فائقة في المعامل .

الاتاج الواسع : ومن رأى السروايم براج أن الاتاج الواسع هو في نفسه شيء بديع ويقوم بضروريات ورغاهة الكثيرين . بيد أن اعتراضه على ذلك أنه متى بلغ هذا الاتاج أوجه من الوفرة تصبح عملياته غير متطلبة من الصناع الا القليل من الذكاء والادراك ويصير من السهل أن يقوم بذلك ويتوفر عليه العمال ذوي الأجور الرخيصة والادراك الضئيل فيجب التمهيد لذلك بأعداد تطبيقات مستحدثة للمعرفة العلمية وآراء جديدة وعمليات وآلات جديدة كذلك . وإذا وجب على مهارة الصانع لكي تقوم بواجب امداد الشعب بوسائل الرفاه والراحة ان نحسن عمليات الصناعة باستمرار متواصل ووجب كذلك على الأمة ان تطلع إلى النجاح ان تمتلك وسائل التحسين ويتوفر لديها مضاء العزيمة الذي يحفزها إلى ذلك .

ثم استطرد الي تبيان ان مواطنيه الصناع في مجموعهم حائزون لصفات الجدارة والذكاء والمهارة والدقة مما يسمح بتحقيق كل تحسين . وتساءل أليس من الواجب ان نستفيد من هذه الصفات بالسعى وراء إيجاد صناعات جديدة بجهد متواصل وسعى لا يثنى أو التحوير في الصناعات القديمة لتلائم مع حاجتنا المستحدثة . ويجب أن لا نستمسك بمغالات في الاعمال والجهود القديمة متى وصلت إلى مرحلة صار في مقدور الكثيرين عندها أن يواصلوها والاتيان بمثلها بنفس الاتقان . ومتى صار في المستطاع لدينا أن نقوم بالجديد منها والاصعب ممارسته اذا لزم الأمر . انه في الامكان دائما أن نشد أزر الصناعات القديمة بالوسائل السياسية واست أرغب في التشديد بهذه الطرق وتسنية الحكمة في تطبيقها . بيد ان الحق البين لا يعدو الرأي القائل أن خير الحماية كلها للصناعة هي المعرفة والمهارة اللذين يستطيع لنا بهما انتاج ما يتحتم أن يطلبه الغير منا لان ليس في مقدوره أن يأتي بمثلها .

ان تحسين الاتقان الصناعي واخراج مصنوعات قيمة متوقف لدرجة كبيرة على تشرب الاستكشاف العلمى وتمثيله واستخدامه وتحويله لخدمة الصناعة. فى حين أنه من الضرورى أن ندرك ان المعرفة العامة والخبرة كى يؤدى ان لنا القسط الاوفر من الخدمات يجب ان يتصلا اتصالا مباشرا بالمسألة المفروض علينا حلها. فهناك صنف جديد من العمال بدأ فى الظهور والتكوين يشمل المشتغلين بين جماعات الابحاث ومعامل الابحاث الصناعية فهو لاء يجب أن تقدر خدماتهم التقدير السامى خصوصا وهم الصلة المباشرة بين صاحب العمل وزملائه العمال فى المصانع وفوق ذلك فهم على اتصال شخصى باصحاب رؤوس المال والعمال على السواء. وقد يتمكنون من التغلب على التفرقة الضارة التى سادت بين العامل اليدوي فى المصنع من جهة ومصمم الرسومات فى مكتب التصميم. ومن جهة أخرى بين ادارة المصنع والمعرفة العامة وللاّن لم يقدر أحد التقدير الكافى لمصلحة المشتغل فى الابحاث العامة والتفكير فى مكافأته مع أنه يظهر هذا الصنف الجديد من العمال سيقدر القوم التقدير الاوفى للخدمات الجليلة التى فى مقدوره القيام بها.

نظرية المجتمع الآلية :

ثم قال الرئيس فى ختام خطابه

ان البحث العلمى فى المعمل قائم على العلاقات البسيطة بين السبب والنتيجة فى عالم الطبيعة وقد اتخذت هذه فى بعض الأحيان كالقاعدة الأساسية لنظرية آليه لتفهم الكون فهذه العلاقة صحيحة فى عملنا التجريبي وما دامت ثابتة الصلاحية فلا مناص من الاستفادة منها حقا وضرورة غير ان استخدام النظرية الآلية فى المعمل لا يعنى حتما أنها تمثل ما يدركه العقل أو يستخدمه فى مواطن أخرى فى الحال أو الاستقبال.

ان الاستخدام الصحيح للبحث العلمى من الضرورى لرفاهيتنا بحيث أنه ليس فى وسعنا أن نحورطه بغيوم من سوء الفهم والادراك تعوق سيره وتقدمه.

واسوأ المساويء ذاك الضرب من خطئ الرأي الذي يفترض أنه مناف
لأسمى الغايات فالعلم كما أفضى الى حديثاً أحد الشبان الباحثين لا يرمى في
مهمته الى القضاء على روح الأمة بل الى بقاء الروح والجسم متلازمين

واذا اتجه تفكيرى الى العلم و علاقته باتقان الصنائع فذلك لتبيان الاهمية
الكبرى لمراميها واغراضها ولم يغيب عن بالى أن هناك أوجه أخرى للبحث
فى حقائق الطبيعة ولا يمكن تحديد فارق محدد بين العلم والبحث والعلم التطبيقى
فهما مرحلتان للتقدم ووجهان يندمجان فى بعضهما وكلاهما يخسر الميزات التى
ينطوى هو عليها اذا انقطعت صلته بالآخر

فهذه العلاقة الثنائية شائعة فى نواحي كثيرة للنشاط الانسانى وقد عبر
عنها بطرق شتى وقديماً كان ذلك فى العبارة الشاملة التى تجمع كل مظاهر
وآمال الباحث عن الحقيقة والمعرفة « سوف تحب الآله بكل قلبك وبكل
روحك وبكل عزيمتك »

وسوف تحب جارك بقدر حبك لنفسك. وفى القصص القديم سمع كل
البشر هذه العبارة كل باللسان الذى يتكلم به من أيام الميديين والافريق والعرب
فكل قول عظيم حكيم قد تداولته ألسنة البشر ولهجاتهم ومعنى هذان كلمات
لطالب العلم انه يجب عليه ان يتجه بكل قلبه نحو القيام بمهمته والاضطلاع
بخدمة العلم تحذوه العقيدة وتحفزده. ان ذلك من أجدر الإلهام ولو أنه ربما لا
يدرك مبعث ذلك ادراكاً تاماً وان كل سعى للانسان فى تفهم الوسط الذى
يعيش فيه لسعى محمود وفى سبيل الحق. وفوق ذلك فإنه بهذه الطريقة
تتمكنه ان يكون نافعا لبلدى جنسه .

هل تسود المرأة العالم

نتج تحول الانسان من عصر الى آخر عن جهود المرأة وليس الرجل فالمرأة هي التي فكرت في عهد الصيد والقنص في الاحتفاظ ببعض الحيوانات لتغذية صغارها بهم وقت الحاجة وهي التي فكرت في زراعة الارض حين كان الرجل يهيم في عصر الرعي خلف قطعانه وهي التي انهكت في الصناعة عندما كان الرجل يفلح الارض فهي دائماً التي كانت تمهد السبيل أمام الانسانية للانتقال من طور الى طور

لننظر الآن فيما كان يفعله الرجل فهو في عصر القنص كان يهيم على وجهه في الآجام والغابات فلما وجد المرأة قد اتبعت عملية تربية المواشى التصق بها مؤثراً حراسة الماشية عن القاء ذاته في المجاهل عرضة لانياب الوحوش واستخلص لنفسه ما كانت تمتلكه المرأة بقوة الذراع فاصبح صاحب قطع من النساء اللاتي يملكن بدورهن جماعة من الصغار وقطعاناً من الماشية. فلما صارت له الكلمة العليا أخذ يرعى القطعان جملة ليس تلبية لضرورة كما كانت تعمل المرأة بل جرياً وراء التملك فكان ينهب ما يمتلكه الغير من القطعان وكان يسي النساء بقطعانهن وأولادهن

ولما تحولت المرأة الى الزراعة التفت هو الى امتلاك الارض فصار يغير على جيرانه يقطع ما يمتلكونه من الارضين والعبيد ليزيد ما يمتلكه تاركاً فلاحه الارض للعبيد يسخرهم لخدمتها وخدمته .

فتحولت المرأة الى الصناعة وكانت منزلية في بادىء الامر فاستبد الرجل بما كانت تصنعه واخذ يقوم بعملية المقايضة او البيع والشراء بما لم يكن يمتلكه وجره حب المغامرة الى ركوب البحار دون المرأة فاقبض من البلدان الاخرى بعض صناعات جديدة ادخلها الى حيث يقطن من أجل الربح فالرجل في جميع هذه الاطوار كان يأخذ عن المرأة وكان يغامر وكان

يرمي الى التوسع والامتلاك وكان يترك العمل الجدى للنساء وكان يجبر من يستند له من الرجال على عمل ما كانت تعمله المرأة وهذا من باب الاذلال لهؤلاء العبيد

يجوز ان يكون متوسط عقل الرجل ارقى من متوسط عقل المرأة ولكن يجب ان لا يفهم من هذا ان امثل الرجال عقلا يفوق عن أكثر النساء عقلا اعنى انه اذا كانت درجة عقل الرجل تتفاوت بين ١٠ و ٩ و ٨ و ٧ و ٦ و ٥ و ٤ و ٣ و ٢ فان درجة عقل المرأة تتفاوت بين ٩ و ٨ و ٧ و ٦ و ٥ و ٤ و ٣ و ٢ و ١ وليس كما يظن البعض ان عقل الرجل يتفاوت ما بين ٦ و ١٠ في حين ان عقل المرأة يتفاوت بين ١ و ٥ فما دام ما يراه البعض من ان عقل اسخف رجل يفوق عقل ارقى امرأة ليس معقولا بالمرّة، فاذاً يجب أن تقول بان السواد الاعظم من النساء ومن الرجال - على فرض ان متوسط عقل الرجل ارقى من متوسط عقل المرأة تكاد عقليتهم تكون متشابهة

هنا يتحتم على مواجهة قول البعض من ان نسبة الانداز من النساء الى الرجال تكاد تكون معدومة وقائل هذا القول يتجاهل أولاً ان مجال العمل المسموح للمرأة اظهار نفسها فيه ثانوي وبعيد عن الابتكار وثانياً ان الحجر على تفكير المرأة وعلى حريتها قد أثر فيها تأثيراً سيئاً وانما لو دققنا في النتائج التي توصل اليها بعض الشاذات من النساء لعلمنا انه لو اتاحت لمن فرصة لغمره بنصيب كبير مما يقوم به الرجال في الوقت الحاضر وثالثاً اننا نحاول ابداً الاقلال من أهمية ما توصل اليه المرأة بمجهودها والاكبار مما يتوصل اليه الرجل أما لا تالانهم ما تفعله لانه خارج عن أعمالنا أو لا تالاننا نتمدد ذلك

الرجل بطبيعته اناني ميال للآثرة وهو المسبب لكل الاضطرابات التي تضح منها البشرية في حين ان المرأة بطبيعتها غيرية ميالة الى السلام . حقيقة قد نتج عن ميل الرجل الى المشاكسة والتعدى امتزاج الامم بعضها ببعض

وهو الامر الذي لم يكن من المنتظر حدوثه في حى المرأة المسالمة الغير نزاعة الى المغامرة

ولكن اليوم غير الامس والمستقبل غير اليوم أيضاً فان انتشار الآلات قد خفف من غلواء الرجل ذي العضلات الحديدية ولم يجعل قيمة للمجازفات فان المخترعات والاكتشافات اصبحت كافية لحماية اضعف مخلوق في حله وترحاله فميزة الرجل الوحيدة على المرأة قد اصبحت بلا قيمة

كذلك جنوح المرأة الى الاستقلال الاقتصادى واندفاعها نحو الاخذ بالنظريات العامة سيثبت للعالم انها ولا شك لا تقل في قواها العقلية عن الرجل والمرأة قد بدأت تعمل فهى لم تبجد قواها بعد ولم يتسلط عليها المالى ولم يركبها الغرور مثل الرجل فهى تشعر بانها في اول مرحلة من تاريخها الطويل في حين أن الرجل يكاد يلقي بنفسه إلى الارض طلباً للراحة متدمراً لا عناً ساخطاً

فهل سيأتى الوقت الذى تتحكم فيه المرأة فى العالم وعندئذ نرى أن لفائدة لها من الرجل فتبقى منه الضروري لادامة النسل فقط . أظن أن مسألة ابقاء الرجل مستعبداً للمرأة تستشعره كما كان يستشعرها فى عهده الذهبى بعيدة عن العقل فان الآلات ستصبح للمرأة افضل وأطوع من الرجل المستعبد فاذن لن توجد المرأة بدءاً من بحق الرجل بعد استثناء من هو اصلح من غيره للقاح ولاجل أن نأخذ ما سبق نقول

ان المرأة هى التى تسببت فى انتقال الانسانية من طور الى طور ارقى وان عمل الرجل كان دائماً استخلاص ما توصلت اليه المرأة لذاته والاندفاع للاستزادة منه

وان معنى متوسط عقل الرجل ارقى من متوسط عقل المرأة لايمنى أن أي رجل له عقل احسن من أذكى امرأة
ان استقلال المرأة الاقتصادى عن الرجل وفتح المجال امامها واسعه للدرس والعمل سيجعلها غير ما كانت

المرأة بدأت أن تخط أول سطر في تاريخها الحديث وهي ممثلة املاوقوة
 في حين أن الرجل أخذ ينوء تحت تاريخه القديم مستسلماً لليأس والتبرم
 لم تعد هناك قيمة لقوة عضلات الرجل وميله الى المفاخرة وهكذا يمكن للمرأة
 الضعيفة أن تصل الى ما تريده بواسطة المخترعات والاكتشافات
 لا يمكن أن يمثل شيئان نفس الفراغ في ذات الوقت ومن المشكوك
 فيه أن يحافظ الرجل على سيادته ومن المستحيل أن يتقاسمها مع المرأة.
 لم يعد لكثرة العدد قيمة كما كانت في الماضي واذا انهدت ارادة الرجل
 فلا شك في ان المرأة ستستغنى عنه بالارة انهم الا يضع رجال تحتفظ بهم
 لمدومة النسل .

ع.ع



عيناك

عيناك والسحر الذي فيهما	صيرتاني شاعرا ساحرا
علمتني الحب وعلمته	بدر الدجى والغصن والطائر
ان غبت عن عيني وجن الدجى	سألت عنك القمر الزاهرا
وأطرق الروضة عند الضحى	كيما أناجى البابل الشاعرا
وأنشق الوردة في كمها	لان فيها أرجا عاطرا
يدكر الصب بذاك الشذى	هل تذكرين العاشق الذاكرا
كم نائم في وكره هانىء	نبهته من وكره باكرا
اصبح مثلى قائما حائرا	لما رأيتني في الربى حائرا
وراح يشكو لى واشكوا له	بطش الهوى والهجر والهاجرا
وكوكب سمعته زفرتى	فبات مثلى ساهيا ساهرا
زجرت حتى النوم عن مقاتي	ولم أبال اللائم الزاجرا
يا ليت انى مثل سائر	كيما تقولى المثل السائرا

إيليا أبو ماضي

جوزف ارنست رينان

١٨٢٣ - ١٨٩٢

كان «الآنسة رينان» ، كما لقبه رفقاء الصبا ، كثير الحياء ، ميالا الى الانزواء ، ميالا الى الدرس . وكان رقيق الحال والجسم مسالما ، وكثير الايمان ايضا . ظل حتى آخر ايامه كايما لجراح لسانه ، فلم يذكر عنه انه سب مناظرا او انه تراف الى عظيم في عهدي الامبراطورية والجمهورية طالبا للمناصب . وحتى فرنسا التي كان يعيدها لم يسرف في مدحها كما لم يتطرق في انتقاداتها ، بل كان يزن دائما المآخذ ولا يلقى الكلام جذافا على عواهنه . لذلك حمل الفرنسيون وغيرهم انتقاداته على خير محمل ووارود التراب باحتفال نفخ . وقد ذكر صديق له انه كان مخلوقا «بعقل رجل وعواطف امرأة وميول طفل» .

وقد يعترض على قارئ قاذلا ومن هو هذا الذي تريد أن تكتب لنا ترجمة حياته ؟ فهل كان أكثر من قس تنازع الايمان والكفر قلبه ولم تكن له آراء مسلسلة ، كثير المناقضة لنفسه ، ينفي اليوم ما أثبتته بالأمس ويثبت يوما ما ينفيه يوما آخر ؟ ومع أني اوافق على هذا الاعتراض إلا أنني أجد عبرة في حياة رجل أعده كامل الايمان بالرغم من اتفاق عامة المؤمنين في عصره على تكفيره . وليس هذا فقط بل وبالرغم أيضا من أنه نفسه كان يشك فيما إذا كان هو مؤمنا أم لا ولم يدع رينان بان له فلسفة بل اعترف بانه ليس أكثر من ذلك . فإذا ما نقض نفسه بنفسه فذلك «لأن الفكرة الواحدة لا تملأ إلا حزنا محدودا من لغافات الدماغ دون أن تتأثر بقيمة التلايف بذلك» و «ان الواجب على المفكر ان يبحث عن الحقيقة متى وأين وجدها دون ان يخشى الوصول الى ما يخالف اعتقاده» نشأ رينان ليكون قسيدا وكان بالفعل الى آخر ايامه كذلك بالرغم من انه لم ينتم اسلك رهبنة مخصوصه اذ ابى ضميره عليه الا ندماج في سلك الرهبان الكاثوليك

بعد ما حصل على اجازة في اللاهوت . والدافع له على ذلك لم يكن غير شعوره
بانه لم يعد مؤمنا . وقد اكتشف هذه الحقيقة بعد أمد طويل . وكم بكى عندما
صارحه أحد مدرسيه بحقيقة الحال ولم يفده محاولة المدرس تخفيف وقع
المسألة عليه بقوله ان للسن دخل في هذا الجموح وأنه سوف ينظم أفكاره
ويبدأ الى الايمان عند ما يسمح قسا . ولكن لما لم يجد المترجم وسيلة لارجوع
الى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية قال « ليس الانسان مخيراً في انتقاء الطريق
الواجب عليه اتباعه فإله ممسك بيدنا يقودنا الى حيث قدر لنا ان نسير »
وكم ود رينان لو ترك الله الانسان يختار ما يظنه لازم الاتباع والا فكان
الاولى به أن يحرمه من الاختيار تماماً فكان يخلقه لا يعقل كالشجرة مثلاً
ليكون عندئذ اقل تعاسة مما هو الآن . واول احتياجا الى شفقة الغير . وينهى
سلسلة أفكاره قائلاً « اهل الهى لماذا عنى تخليت هكذا ؟ » وفي مكان اخر
يقول « لو كان الله يقضى على ما بي من قوة التفكير لكنت أنذر نفسي حياة
بسيطة موحشة . وكم اود لو كنت املك القدرة على ان اعتقد اولا اعتقد
شيئاً مخصوصاً بل كم ارجب في قتل رغبة البحث قصد استجلاء الحقيقة التي
ما كنت كل قلبي . . . آه ما أسعد الاطفال الذين لا يعرفون الا النوم
والاحلام . بل لماذا لا اكون مثل أولئك المؤمنين البسطاء الذين اعيش
بينهم ، أولئك الذين افلحت المسيحية في سكب الطمانينة في قلوبهم »

وكانت أخته من أكبر المؤثرات عليه للابتعاد عن الايمان فهي التي
عقدت صلة التعارف بينه وبين الفلسفة الالمانية . فمارتوى من آراء فلاسفة
الامان ود لو خلق المانيا بروتستانتيا حتى كان يمكنه أن يفكر بحرية دون
أن يلحد فهو كافر نسي كاثوليكي مجبر على أن يسلم تسليماً أعمى بصحة هذيان
لا يمكن أن يقبله العقل . وكانت أخته تده بالكتب الفلسفية الالمانية كلما
سمح لها مرتبها بذلك . في حين كانت أمه بالعكس تتألم جد الألم اذا بدرت
منه أشياء تناقض تعاليم الكنيسة الحققة . فكانت أمه المحبوبة اذن سبباً قوياً
في جريه وراء الايمان لرغبته في رضائها . وكانت أخته المحبوبة أكبر مشجع

له على الخروج من حظيرة الايمان. ولم يكن يري في الفكر الالماني الا « تنمة
للفكرة المسيحية الحرة... إنك لا تجد أثراً للمسيح في فرنسا التي يستمد
أبناءها روح المخاض من فلاسفة الالمان »

والذي اعتقده ان رينان لم يكن ولم يحاول أن يكون ملحداً أو غير
مسيحي بالأقل، وكل ما في الأمر أنه انتقد المسيحية انتقاداً علمياً بدأه عندما
ألم بمبادئ العلوم الطبيعية . فمن الخطأ اذن المقارنة بينه وبين فولتير الذي
كان كثير المطامع مقداما دنيوياً محباً للشهرة ، لان رينان لم يكن غير زاهد
متواضع لا يميل الى الظهور، يبحث رغبة للوصول الى الحقيقة . وقد مات
رينان متأثراً بالتعاليم النصرانية ولم يحاول قط أن يقول بأنها لم تكن ذات
مباديء راقية، وانحصر همه في اصلاح ما ظنه خطأ منها، ذلك بمكس فولتير
الذي أدار للمسيحية ظهره ولم تحرك تعاليمها عواطفه فكرهها واحتقره
وثار ضدها وأوسعها تهكماً مرأ

قال أحد المتدينين المكبرين فولتير ان عدم انتقاده للمسيحية يهدو
نتج عن الاضطهاد الذي واجهه فقد شرد وسجن لانه قال بادية الأمر ما
يعد شيئاً اذا قورن بما قاله رينان فنتج عن ذلك رد فعل أفقده رغبة النق
الصحيح، هذا بعكس رينان الذي لم يواجه الا بعض حملات كتابية تسه
اراءه لا أكثر. ومن الغريب انه ظل صديقاً لرجال الدين الى آخر أيامه

يقول رينان إنه تذوق لذة الايمان الخالص في مستقبل عمره ولكن هذ
اللذة لاتعد شيئاً مذكوراً اذا قورنت باللذة التي تذوقها وهو يبحر
وراء الحقيقة

اشتغل رينان لغير الدين أيضاً . وقد كون لنفسه رأياً أراه غريباً ،
« ليست اللغات هبة من الله كما يزعم البعض ولم تتطور عن اشارات وأصوات
كما يزعم البعض الآخر لسكنها وجدت منذ وجد البشر » وليس قصده أ
يقول أن اللغات الحالية لم تتعرض للتطور بل قصده يقول إن البشر كانوا
منذ البداية يتفاهمون بالفاظ وجل . والاغرب من ذلك أنني قرأت لاح

تقاده ما يأتي « أنا ما دمنا نجعل ما كان عليه الرجل البدائي لا يمكننا نقض
أو تعزيز رأي رينان هذا »

حاز درجة الدكتوراه في الادب بعد ان قدم رسالتين أحدها لاتينية
والأخرى فرنسية . وكان موضوع الثانية « ابن رشد ومدرسته » وابن رشد
في اعتقاده ليس أكثر من قنطرة انتقلت عليها تعاليم أرسطو من عصر الى
عصر . وهو يرمى ابن رشد بتهمة زج آرائه الشخصية ضمن الآراء التي تقلها ،
لكنه يعترف بالاثار المحسوس الذي كان لمدرسته في إنقلاب الفكر الاوربي
وله رأي فذ عن امريكا اذ يقول انها تعيش متطفلة على أوروبا فتأخذ منها
فنونها وعلومها دون أن تنتج بذاتها شيئاً من ذلك

يقرأ في الشاهنامة حنين الفردوسي الى عهد الزرادشتية وأما الف ليلة فهي
فكرة تقرب الى فكرك ما كان عليه عهد الرشيد من الميل الى الخلاعة

أما ابن بطوطة فلم يأت بشيء يستحق الذكر لان رحلته كان من السهل
جداً القيام بها في وقت كان التسول فيه من أسهل السبل ، لتيسر مشقة الانتقال
بين أمم لغتها العربية ودينها لا يفرق بين الاقوام الذين يعتنقونه . ولا أجل
أن تكتب مثل رحلة ابن بطوطة الآن ما عليك الا أن تسير في مجاهل السودان
الاسلامي ثم تقيّد ما تراه

ظهر العنصر الآري قبل ٤٠٠٠ عام في أواسط أفغانستان والعنصر السامي
في أواسط بلاد العرب فكان لكل منهما لغة وعقلية مخصوصة . ومن مميزات
الآريين الاشراك والساميين التوحيد ولم يتوصل الساميون الى التوحيد
عن طريق العقل بل عن طريق الغريزة فقط ، فللآري الاغريق آله للبحر
وآخر للحاصلات وآله للحرب . وأما السامي فجمع الاختصاصات كلها في
شخصية فردة أسماها « ايلوهيم » أو الآلهة ومفردها « ايلوه » الله وبالتدريج
تعود على أن ينطق الاسم المفرد ليدل على الجمع وليس معنى ايلوه غير الرب
والسيد والملك وقالوا عنه أيضاً بعل ومولوخ وكل هذه المترادفات لها معنى
واحد . رأى الآريون الله في الطبيعة . وأما الساميون فقد فصلوه عنها وما

عليك الا قراءة أول سطر في سطر التكوين لتتحقق من ذلك « في البدء خلق الله السموات والارض » والساميون أبعد الناس عن وضع الاساطير. وان من لوازم عقلية الاساطير التفلسف وهذا ما نري له أثراً عند الهنود واليونان ولا ليس عند الساميين. وللحياة البدوية المسيرة بزعامة واحدة ، والغير قادرة على اشادة المعابد العاجزة عن القراءة والكتابة دخل في ذلك. لان الاقتضاب كان لازماً في كل شيء ففكرة الله يجب أن تكون بسيطة والمبادئ الدينية كذلك أيضاً. فمال السامي المحب للبساطة ومال البحث وراء نظريات عويصة بل ماله ومال النقش والتصوير. فذاكرته لا تحمل كل هذا. أليس تراه قد غلبت أساطير بابل ليسهل عليه حفظها في ذاكرته وهو ينتقل من مكان لا آخر ؟



الفلسفة تجبر محبها على التسليم بعدم وجود ما يمكن تأكيده والبحث عما وراء القبر هو بحث عما هو غير موجود (واكن في مكان آخر يقول) يجوز أن يكون وراء القبر جزاء للروح تناله بقدر التضحية التي تقدمها أرواحنا

أما مرمى الطبيعة فكان ظنه عنه أولاً طيباً ولكنه لم يلبث حتى شك فيما إذا كان للطبيعة مرمى لان العالم رواية خص كل منا بدور يتقن تمثيله دون أن يشعر بأنه يفعل ذلك (ثم يعود ويقول) ان هم الطبيعة هو ايجاد التناسق والتوحيد

ان من المستحيل علينا معرفة المسبب الأول ومعرفة نهاية الانسان . ومع ذلك لا نمتأ تكلم عنهما كثيراً بسبب وبغير سبب

الحق والطبيعة والجمال ثالث يستحق العبادة لانه يؤدي الى السعادة يجب ان نعمل الواجب دون ان نتنظر من وراء ذلك أى جزاء عليه يشكر الاب السماوى لانه لم يختار ان يجاوب جواباً شافياً على شكوكه حتى لا يكون الايمان الصحيح بلا جزاء ولا تصبح الفضيلة أمراً تخمينياً ولو كان الأمر الهاماً فقط لأمتلأت القلوب طامها ونجسها بالايمان على حد

سواء. ومعنى هذا انعدام حرية انتقاء الخير من الشر. فكيف اذن يبلو الله السرائر و يمنحنا الانفس ؟

كان في شبابه متفائلاً ثم انتاب متشائماً ومع ذلك تجده بحث « الازكياء » على محاولة ان يكونوا متفائلين حتى يشاطروا بقية الناس ما يتعمدون به من السعادة

واليك مثل من تقدمه العالي

انجيل يوحنا يحوي حقائق تاريخية عن حياة المسيح . اما ما يعزى فيه الى المسيح من الفاظ فيظن رينان انها لا تختلف كثيراً عما يعزونه لسقراط وافلاطون ومن رآيه ان يوحنا لم يكتب الانجيل المعزوا اليه . وفي انجيل يوحنا اختلفت وجهة النظر الى المسيح تماماً. فلم يظهره الكاتب بالصورة التي تحاول اظهاره بها الانجيل الاخرى، ففيه لم يصور المسيح بصورة انسان تعرض للتجربة والخطيئة بل كجوهر الهى حل جسم انسان ولم يمل نحو الخطيئة ابداً

كذلك لم يحاول كاتب انجيل يوحنا أن يثبت ان المسيح هو من كان ينتظرة اليهود بل صوره كصاحب شريعة تناقض شريعة « ياهوا » اله اسرائيل . ولم يذكر فيه أيضاً ان المسيح ولد وان له شجرة نسب وأنه تألم . أما الذى كتب سفر ايوب فلم يسلم بنظرية « القضاة » القائلين بان الفلاح الدنيوى يلازم السيرة الحسنة والعكس من ذلك عدم النجاح فى الدنيا فانه يلازم السيرة الفاسدة

يقول ان أسس المسيحية واليهودية وضعها الناس

ان هدم بيت المقدس من أقوى الأسباب التي أظهرت المسيحية كدين مستقل فبعد وقوعه انقطعت الصلة بينهم وبين اليهود فسنحت الفرصة بعدئذ لالتقاء المسيحية بذاتها فى حضن الدولة الرومانية

كان ملوك مصر الرعاة ساميين فاعادوا طردوا وجلس على العرش مصريون استعبدوا بقايا الساميين خصوصاً فى عهد رمسيس الثانى (لويس الرابع عشر

المصري) ولكن لما ضعف خلفاؤه أفاح أولئك العبيد في الخروج من مصر . ومع ان رينان لا يجزم بوجود شخص اسمه موسى الا أنه يفترض وجود من يشبه عبد القادر الجزائري على رأس أوائك القوم . واحتفظ الساميون مدة وجودهم في مصر بسبعة معتقداتهم والصقوها بالعجل الذهبي والحية المقدسة وغيرهما من آلهة المصريين وكان لهم آلهة أسموها « يهوا » وهنالا يتمالك رينان من أظهار امتعاضه للدرك الذي هبط اليه اليهود عند ما فكروا في جعل يهوا آلهة وطينا لهم دون آلهة المصريين . ذلك لانهم صوروه شريراً وجعلوا تعاليمه تحت على الانانية الغدر والتوحش ثم يقول ولكن من حسن الحظ أنه لما استقر بهم النوي صرعت آلهة فلسطين الاخرى ذلك الآلهة السيئة فخل مكانه « ايلوه » الواحد الأحد الذي اكتسب فيما بعد أحسن الصفات

انك تنهم حقيقة الملك سليمان عندما تقرأ أناشيده فملكته نسخة قديمة لملكمة لويس الرابع عشر الفرنسي لا أكثر

كان أنبياء بني اسرائيل أول من طالب المستبدين جهاراً بحقوق الناس هذه تتف من آراء المترجم بسطتها وأنا أعتقد بأنني أعطى القارئ فكرة عامة عنه

مات رينان وهو يؤكد لمن حوله بأنه سيموت سعيداً وأن ليس في الموت ما يخافه وودع امرأته قائلاً إنه لا مناص للاستسلام لحكم الطبيعة الذي يسري على كافة المخلوقات

تأملات في الحياة والموت

تلخيص محاضرة الاستاذ دونان في المجمع البريطاني لترقية العلوم
التي الاستاذ دونان خطاباً عنوانه « سر الحياة الخفي » بدأه بالقول أن قدم
للأرض تكوين قشرة صخرية منذ ألف مليون سنة ونيف. ظهرت فيها
كائنات حية من نباتات وحيوان تطورت بالرقى شيئاً فشيئاً عن أسلافها
البسيطة الضئيلة. وإن نتاج هذا الرقى هو عقل الانسان. وقد كانت الحياة
حقاً هي السر الخفي الاعظم ودراستها أكبر الدراسات جمعاء. وأن تفهم
ظاهرة الحياة سيكون حتماً الفخار الذي يتوج هامة العلم وفي هذا السبيل فكل
دراستنا ومعارفنا الكيميائية والطبيعية ما هي الا الخطوات التمهيدية فهل هذا
الشيء الذي نمنعه بالحياة طفيلي ساحر غريب منبع عمل منبعث بذاته وخارج
عن حظيرة القانون أو ملاك هابط من كون مجهول لا سبيل لنا الى تفقه كنهه؟
وفي زماننا هذا أصبح علم الفسيولوجيا العام (علم وظائف الاعضاء)
العلم الاساسي للحياة في تطبيقاته لعلوم الطبيعة والكيمياء البحتة والطبيعية
واننا بمتابعتنا أبحاثها ودراساتها وسعيننا المتواصل واصلون شيئاً فشيئاً الى
حل معقدات هذا السر الخفي. فأكبر علماء الفسيولوجيا العامة شأننا يحاولون
بالتطبيق الدائب الدقيق الكمي الوصول تدريجاً الى تكوين عامل شامل
لمجموع هذا العلم

ورغماً من الاستكشافات الهائلة الخاصة بالمجموع العصبي وفائدة الغدد
اللاقنوية (Ductless Glands) والهرمونات (Hormones) فبتفهم العلاقة المتبادلة
الديناميكية المتألفة بين مختلف الاعضاء وأنسجة الكائنات الحية مازال يواجهنا
ويعترضنا كأحدى أسرار الحياة الخفية. ففي نظام طبيعي كيميائي لا يختص
بالاحياء بلغ بنا التفكير أنه لو عرفنا طرق العمل والعلاقات المتبادلة بين الأجزاء

المكونة لمجموعها وأحوالها واصلنا الى تكوين كامل شامل لهذا المجموع فهل الوحدة المنظمة الديناميكية لكائن حي شيء مستحدث ومخالف لذلك اختلافاً جوهرياً؟ فربما لو استطعنا أن نشاهد مشاهدة حقيقية وتتابع الحركات المختلفة ووجوه نشاط ذرة كيميائية مفردة مركبة تعمل في وسيط موجب قد يؤدي بنا البحث الى كشف شيء قد لا يكون مبايناً كثيراً لكثير ذلك الكائن الحي. بيد أنه ما كان الأمر لا بد لنا من التأكد من هذا الشيء وهو أن الحقيقة متى تبينت لنا سوف تنحصر في شيء قابل للقياس والتعبير الدقيق في قالب رياضي. ولو أنه لهذا الغرض الأخير قد يستلزم الأمر اختراع نوع جديد من الرياضيات الخلوية الحية ما الذي يحويه غشاء خلية حية؟

هذا مكنون هيكل سر الحياة الخفي. فلو اتيج لنا ان نحالم ذلك ونفقهه لا مكننا ان نحل المسألة الاولى الهامة (وهي المسألة الحقيقية الوحيدة) في علم الفسيولوجيا العام. فدراسة طبيعة الخلية الحية ونشاطها والكائنات ذات الخلية الواحدة هو ميدان علم الحياة الحقيقي في يومنا هذا. فالخلية الحية تحوى نظاما يعرف بالبروتوبلازما ولو انه لم يتوصل انسان الى تعريفها بعد. فكل شكل من أشكال الخلايا في أنواع الكائنات يحوى بروتينا واحدا او اثنين خاصين به. والعناصر المكونة الأخرى هي الماء والكلوريدات والبيكاربونات وفوسفات الصوديوم والبوتاس والكالسيوم بخلاف بعض المواد الأخرى خصوصا تلك الاجسام الخفية المعروفة بالانزيمات التي تزيد التفاعلات الكيميائية داخل الخلايا نشاطا ومن الغريب أن التفاعلات الخلوية الحية تحوى داخلها بذور الموت وهي هذه الانزيمات التي يقال عليها Autolytic (أو اللاقطة القادرة على تكسير المركبات البروتينية وتحليلها بواسطة الهدروجين فأشباح الموت كامنة في كل وحدة من أجسامنا الحية بيد أنه ما دامت الحياة يقظة. فاجتحتها مشدود وثاقها وأفواهاها الفاعرة المتأهمة مسدودة مغلفة

وهناك شيء على جانب عظيم من الأهمية والدلالة في المحلول الغروي

(Colloid) للنظام البروتوبلازمي مما لم يصل أحد الى كشف حقيقته ولا مناص معه من وجود بناء داخلي تعطف فيه الذرات البروتينية كحلقات طويلة متحركة وجحافل مستعدة للعمل السريع المنظم. وفي حالة من النشاط المستمر وما زالت وظائف التأكد والتمثيل وطراد الفضلات قائمة بعملها بينما الخلية الحية تتبادل الجهود والمواد بينها وبين الوسط الذي تعيش فيه والتوازن الذي يظهر ثابتاً لا حراك به هو في الحقيقة توازن ديناميكي او نشيط عامل .

الا ان معضلة تواجهنا هنا وهو انه اذا تفقد البنزين في سيارتك وقف محركها. بيد أن الآلة نفسها لم تمت ولم تتفكك اجزائها مباشرة . ولو حرمت الخلية الحية من الاوكسوجين او الطعام ماتت وتحملت اجزاؤها فما السر في ذلك وما هو الموت الخلي به ؟ فاذرات والجزئيات والايونات ما زالت موجودة. وقد أبان لنا العالم ما «يرهوف» ان كمية الطاقة الموجودة في البروتين الحي ليست بأكثر منها في البروتين الميت. فهل تسرب دافع حي او قوة من قوى الاشباح وغاب عن أعيننا خفية

وهنا وفي هذه النقطة تقسمها على الباب الذي يفصل ما بين الحياة والموت كان الفزيولوجي الانجليزي الكبير الاستاذ «هل» على وشك اكتشاف ذي اهمية قصوى إذا لم يكن قد توصل اليه بمد بالفعل. فقد ظهر من البحوث في الخلايا العصبية التي لا قاعدة لها وفي العضلات ان التركيب المنظم لهذه الخلايا هو تركيب يجمع بين الكيميائي والديناميكي يقوم بامداد هذه الخلايا بالاوكسجين (أي بالاوكسيد) لحفظ كيائها. وهذا النظام أو التركيب الذي من شأنه الميل الى التناقص والاقتراب من الفوضى الحيوية الكيميائية وانهميار النظام. ويتطلب الأمر تأكسداً مستمراً لحفظ هذا النظام الخاص أو التركيب الذي المنظم لحياة خلية حية. ولذا فالآلة الحيوية تخالف تماماً كل الآلات الميكانيكية العادية وكما أنه قد يكون من التسرع القول الى أي مدى تسفر هذه النتائج عن أن تكون عامة بيد أن المحاضر يعتقد بمظيم

أهميتها وعموميتها. وانا قد بدءنا ندرك ولو ببعض الغموض لأول وهلة
الفرق بين الحياة والموت. اى لب معنى الحياة نفسها وذلك لأول مرة فى
تاريخ العلوم .

أصل الحياة : واختتم الاستاذ دونان محاضراته بالقول ان هناك مدرستان
من التفكير فى أصل الحياة. احدهما تقول بأن الجراثيم الحية وصلت الى سيارتنا
(الارض) بالصدفة تماما. والاخرى تعتقد أن الحياة نمت من مادة غير حية
وذلك فى ظروف وأحوال خاصة

وقد قام الاستاذ بالى من جامعة لفربول على سبيل المثال بتجارب عدة
وأنتج مواد مركبة مصنوعة من عناصر. ولو توصلنا الى تواصل تام واستدامة
فى الاحجام والنسب بين كل ما هو حي وما هو غير حي فهل هناك حقيقة
نقطة يمكننا أن نقول عندها « هنا حياة » « وهناك لا حياة » بين أن ذلك
سيكون من الاشياء التى ينطوى التصريح بها على الخطر والمجازفة فى
الوقت الحاضر. الا انه متى توفر الأمل نوفر مع احتمال البحث العلمى. ومن
ذا الذى يحد من اتساع مدى الاستكشافات التى فى مقدور العلم الاتيان بها
فى مستقبل الأيام !

لما قرأت نيتشة

للقائد الفرزدق : اميل فاجيه

من أعضاء الاكاديمية الفرنسية

يتفق غالباً أن يشرح الفيلسوف خلقه حين يبسط آراءه . ويتفق أيضاً أن يجعل الفيلسوف من عواطفه نقطة ارتكاز يستقي منها أفكاره . ولما كان موهوباً « بملكة تبديل تلك العواطف الى أفكار فهو يجمل من جماع تلك الأفكار مذهباً » . وما المذهب الا الفكرة العامة للفيلسوف .

فاذا أحال الفيلسوف عواطفه الى فكرة عامة نظر الى ما حوله وتناول بالنقد كل ما يعترض تلك الفكرة . ويتناولها بالنقد الدقيق وبشدة لان مذهبه ليس في الواقع سوى عاطفة مستبدة به . وهو في غضون ذلك النقد يهتدى الى آراء مؤيدة لفكرته العامة

وتلك هي خطة السير التي اتبعها نيتشة في تكوين مذهبه . وهي خطتنا أيضاً في تعرفه ودراسته . وانما قرأت نيتشة بطريقة رسمتها لنفسى . وسواء أكانت هذه الطريقة صالحة أو غير صالحة فلم يكن لى غنى عنها لقراءته حتى النهاية . وأريد أن أقول قراءته ودرسه .

أظهر صفات نيتشة الخلقية أنه كان مخلصاً ومتكبراً وشديد الوطأة على خصومه . كان مخلصاً صادقاً يمت الخبث وذلك الضمير غير المستقيم الذى هو ضرب من الخبث والمكر . كان مبتغاه أن ينظر في أعماق الآخرين بوضوح وبذلك الوضوح المطلق ينظر في نفسه أيضاً وفي المفكرات والمذاهب . وهو ما حمله على السخر من المانيا التي تعد الغموض فضيلة . وكان من شأن هذه الصراحة الفكرية أنها حضته على أن يرفع النقاب دائماً عن كل شئ . وان يتسائل على الدوام « ماذا وراء هذه الفكرة ؟ وماذا يخفى ذلك المبدأ » .

ولم يكن لديه شيء أهم من كشف العاطفة الداخلية وإظهارها مجردة .
ولقد افضت به صراحته الى ان يكتب ويقول اشياء مناقضة لفكرته
العامة بل ان تلك الصراحة قد صبغت كل ما كتبه بصيغة الاعتراف والاقرار
كان متكبرا الى أقصى حدود الكبرياء مقتنعا كل الاقتناع بتفوقه الفكري .
وكان يعتقد انه اسمى تفكيرا من الجميع وتملكه هذا الاعتقاد الى حد انه كان
يرى ان كل ما كتبه انما كتب للمرة الاولى وان سائر الافكار التي اخرجت
للناس لا قيمة لها البتة . ولقد اعتقد ايضا ان الرأي المستغرب (المناقض
للمألوف) سبيل الى الحقيقة .

وانما تأتي تعطشه الدائم الى الاستقلال من تلك الكبرياء . لم يكن يطيق
اي نير او اي قيد لا من الناس ولا من الاشياء ولا من العادات المتبعة أيضا
وقد اعترف بان طبيعته لم تخلق الا بحيث لا تطيق سوى العادات المتقلبة
حتى فيما يخص بحاجات الصحة الطبيعية .

وأخيراً تولد من صراحته وكبريائه نوع من الجرأة المحمودة والحرية
المقرونة بالشجاعة الادبية والاقدام على الجهر بالرأي جعله مشاكسا ميالا الى
الى العراك والكفاح . كان الرجل الذي يقول لك « اخطأت » من قبل أن
تحدثه . ويقول لك من بعد ان تحدثه « انا واثق من رأيي كل الثقة » .
ومن هنا تأتت كل مناقشات « نيتشه » . كان يتصف بالكثير من خلق
الفيلسوف « جوزيف دي ميتر »

كذلك كونت الطبيعة « نيتشه » فقد ولد ألمانيا دون ان يطلب ذلك
وألقي به بادىء الامر في أحضان الرومانتيسم ومدرسة الشاؤم وفي
مذهب « فخر » . وقد عبد كل ذلك من قبل ان يتنبه لنفسه . كان « جوته »
« وشونبهور » و « فخر » اساتذته الاول بل معبوداته . ولقد تأثر
في البداية كل التأثر من الرومانتيسم الالماني الذي يختلف كل الاختلاف
عن الرومانتيسم عامة ولا أقول خيراً ولا أسوأ منه . وانما أقول انه مزيج من
الاحساس الرقيق والعاطفة الحارة ومن الحلم الحزين الحلو . ويغلب الشعور

على الخيال في الرومانتيسم الألماني . وانغمس نيتشة في التشاؤم الذي هو نتيجة طبيعية لذلك الرومانتيسم الذي طال مدى اعتناقه واستعماله والذي غمره ذلك الشعور ببؤس الأشياء الدوي .

وبقي فردريك نيتشة زمناً طويلاً متحمساً لموسيقى « فخر » التي هي في الحقيقة موسيقى حية تصور الحياة بما فيها من تهيج وثورة وكل . وتصورها على الأخص في طموحها إلى الراحة .

وبالاختصار كان نيتشة رومانتيكياً كملت فيه كل عناصر المذهب . وقد لا يستطيع الفرنسي أن يتصور بوضوح معنى استكمال عناصر المذهب في الفكر . ونحن كلما بمدنا عن الرومانتيسم الفرنسي كان أظهر وأوضح . وازداد اقتناعاً بتلك الحقيقة . وهي ان الرومانتيسم الفرنسي أشد وضوحاً ونظاماً وحياة وحرارة . وان أكبر ممثليه قد اشتركوا في تكوينه . وانه جد متفائل عند زعيميه الكبيرين اللذين رفعوا رايته . ومتشائم من ناحية ثورته لا غير . ولم يكن هناك فلاسفة يعربون عن القليل من التشاؤم الذي انطوى عليه . وما كان « كونت » ولا « رنان » ولا « تين » متشائمين وأخيراً لم تكن ثمة موسيقى رومانتيكية فرنسية بالمعنى الصحيح . وعلى هذا الاعتبار اذا اتخذنا الرومانتيسم الفرنسي مثلاً لوجب علينا أن نطلق على الرومانتيسم الألماني اسماً آخر . ولو اننا اتخذنا الرومانتيسم في القرن التاسع عشر مثلاً للرومانتيسم الألماني لا حوجنا ذلك الى أن نطلق على الرومانتيسم الفرنسي اسماً آخر .

ولست لدينا في فرنسا فكرة عما كان عليه الشاب الألماني الرومانتيكي حوالي سنة ١٨٧٠ ذلك الشاب الذي غمره الرومانتيسم من كل نواحيه وبكل تأثيراته يتلقاه في الشعر وفي القصة والفلسفة وفي الموسيقى وفي الحديث والوطنية ويسره أن يرى الرومانتيسم شيئاً ألمانيا في جوهره وأنه جزء من الذخر الوطني ومجد ألمانيا القومي . وكذلك كان فردريك نيتشة قبيل سنة ١٨٧٠ .

ولم يكن ذلك في مزاجه . بل ربما كان ذلك في مزاجه إلى حد ما .

فقد كان ممرضاً سهلاً الانقياد الى الحزن كثير الغلو سريع التأثير بكل ما هو جليل وهائل . وهو الى ذلك مشته لم يوفق الا بصعوبة الى ترتيب أفكاره ترتيباً مادياً . وهو ذاتي الى حد الشطط . شديد الميل الى الادب الذي يكون اقراراً واعترافاً .

على ان نيتشة لم يكن رومانتيكياً في كل ما فكر وكتب الا نسبياً . بل لقد كان في بعض أقواله مناقضاً للرومانتيكية . كان ذا فكر إيجازي . سيال الى القاعدة . وهو بكبريائه أريستوقراطي . واذا كان الفن مافتيء أريستوقراطياً فان الفن الرومانتيكي أكثر شيوعاً وهو يوجه الى العاطفة لا إلى الآراء . وقد كان نيتشة مستقلاً ومهاجماً . وبينما كانت المانيا كلها رومانتيكية اتخذ ذلك حجة للتحويل إلى مذهب آخر . فتهحرر من التقيد بالجماعة . وقد ذكرنا انه بمقت كل قيد .

تهحرر من تأثير فرنسا باديء الأمر ثم تهحرر من تأثير اليونان . أما من جهة التأثير الفرنسي فقد قاده اليه « جوته » الذي كان يحبه حباً جماً . وليس من الممكن مع ذلك المبالغة في تأثير « جوته » على « نيتشة »

وانا لنتبين « جوته » في كل مناحي « نيتشة » وفي أدوار تطوره الرئيسية . وتلمح شبح « جوته » المضيء يفيض دائماً على الفيلسوف الحديث . ولقد كان نيتشه دائماً التجوال في افياء « جوته » محاولاً بنجاح أخيراً الى تخطي تلك الافياء .

ومهما يكن من تهحرره من التأثير الفرنسي فقد قرأ « مونتاني » الذي امتدح مزاياه وطريقته في معالجة الشيء بعينه بأسلوب جديد أكثر من مرة . وقرأ « باسكال » الذي استشهد به كثيراً و« لاروشفوكول » الذي تولى بنفسه طبع « عظاته » بتعليقات مستفيضة . وقرأ « كورني » الذي تعمق في فهمه كل التعمق . و« فولتير » و« فوفنارج » و« لابرويير » و« شالفور » و« فونتينيل » و« ستندهال » . وقد فتنه أولئك المؤلفون وارشدوه الى طبيعة فكرته الحقيقية . ولذلك نستطيع أن نقول ان نيتشة كان كلاسيكياً .

فقد جرت يراعتة بصيغ الفن الكلاسيكي فقال انه ليس ثمة أدب ذاتي وانه متى تكلم التأليف فما على المؤلف إلا أن يسكت. كان من انصار الحقيقي . ولكن ليس كل الحقيقي : فان النثر المجيد لا يستعمل الا ألفاظاً من لغة الحديث ولكنه يحاذر أن يستعمل كل الفاظ تلك اللغة، وكذلك يتألف الأبناء البليغ — ولعل شاعر المستقبل لا يندشذ الناس الا اشياء حقيقية ويهمل مادون ذلك من الاوهام واشباه الحقائق . وهو مايجات فيه قوة الشعر القديم . والحقيقة المرغوب فيها انما هي الحقيقة المختارة . ولقد نثر على نظرية كاملة للفن الكلاسيكي الفرنسي مبعثرة الاجزاء في تأليف نيتشة وهو منذ ان وثق من ان الموضوع والترتيب والاختيار — من قواعد الكلاسيك — قد كان شبه وحى انزل عليه ففنته واستأثر بلبه فعبد طريقة القدماء . وآلى على نفسه ألا يحترم طريقة أخرى .

تري هل فرنسا هي التي قادته الى اليونان أو أن اليونان هي التي اعادته فيما بعد الى فرنسا ؟ الظاهر أن نيتشة درس الاغريق والفرنسيين في وقت واحد . قال اننا حين نقرأ « موتانية » و « لاروشفوكول » و « فونتينيل » وعلى الاخص كتابه « محاورات الموتى » « وفوفنارج » « وشامفور » نصير اقرب الى التقدم منا لو اننا قرأنا ستة مؤلفين آخرين من شعب آخر . فان أولئك الكتاب الفرنسيين قد أحيوا بتأليفهم روح القرون الاخيرة للعهد القديم . وان اجتماعهم ليؤلف حلقة هامة في سلسلة النهضة « رينسانس » العظيمة المتصلة . فقد ارتفعت تأليفهم فوق كل تغيير طارأ على الذوق الوطني وفوق الالوان الفلسفية . انها تحتوي على أفكار حقيقية تفوق كل ما احتوته كتب الفلسفة الالمانية مجتمعة ولو اني أردت أن أصيغ لها مديحاً قريباً الى الفهم لقلت انها لو كتبت باليونانية لكانت مفهومة من اليونانيين . » وبمقدار ما اثني « نيتشة » على وضوح الفرنسيين انتقد بمرارة غموض المفكرين الالمان ومبالغتهم وخشونتهم . وخص بنقده « جوته » و « شوبنهاور » . ويبدو من ذلك ان تأثر نيتشة بالفرنسيين نباهه عن الرومانتيسم الالمانى بل لقد ابعده عن الممانيا نفسها .

منذ ذلك الوقت جعل نيتشة يتساءل عما إذا كان لدى المانيا كتاب
كلاسيك اعنى كتاباً عباقرة غير محدودى الفكر ذوى آراء عامة لاصلة لها
بمعصر ولا يمكن. وقد سيطروا على المستقبل بسمو افكارهم وقوة تعابيرهم لكي
يبقوا على الدهر. ولكي يظلوا عظماء لا تختفي انوارهم من بعد خمسين سنة من
موتهم. ومن الممكن ان يكون « نيتشة » قد ابتداءً ينكر وجود اولئك
العباقرة. وفي رأى له جاء فى كتابه « انسانى جد انسانى » للآداب الالمانية
سته اجداد عظماء قد شاخ من بينهم خمسة حتى لا مرد لشبابهم. واستثنى
منهم « جوته » ولكن ماذا أقول عن الخمسة الآخرين ؟ لقد شاخ
« كلوبستوك » فى حياته. ولم يعد احد يقدر اى قيمة جديدة لكتاب حياته
التفكيرية « جمهورية العلماء ». وكان من سوء حظ « هرذر » انه كتب
تأليف جديدة لم تلبث ان طوتها الشيخوخة. واما « فيلاند » الذى بدت
الادب الالمانى بعثا جديداً، فقد خبا تأثيره بموته. وما زال « ليسينج »
حيا الى اليوم. ولكن بين شباب العلماء فحسب. وقد خرجت تأليف « شيلر »
من ايدي الشباب لكي تسقط بين ايدي صفار الصبية الالمان الخ »

وكذلك كان يزداد نبو « نيتشة » عن المانيا بل عن الثقافة الجيرمانية
وصار يشعر بالانقياد الى مواطن الوضع واجواء الحرية. فى ذلك الوقت
حوالى سنة ١٨٧٠ - اهتدى الى اليونان. ترى هل كان حدث لديه
الميل الى الثقافة الاغريقية « ايلينيسم » وهو بعد طالب فى الجامعة ؟ انه
ليهمنا ان نقف على حقيقة ذلك. على ان التربية الفكرية الوحيدة ذات القيمة
انما هي التربية الثانية التى يعطيها المفكر لنفسه. وان الميول الحقيقية، الميول
العميقة التى تبقى مدى الحياة هى التى تتكون من سن العشرين الى الثلاثين
وقد ذكر نيتشة فى مقدمة كتابه « اصول التراغوديا اليونانية » انه تعشق
الثقافة الاغريقية حوالى سنة ١٨٧٠. وان تعشقه العميق لها بلغ حد العبادة
وكان ذلك بالنسبة اليه مطلع فجر جديد. بل لقد كان اطلاع على الادب
الاغريقى بدؤ الازمة الفكرية والادبية العظيمة التى اتت به.

ولقد أراد « نيتشة » ان يقف على الاصول العميقة لفن انتراغوديا عند
الاثنين . الاصول السيكولوجية لذلك الفن والحالة النفسية التي يوجدها
عند الذين يعالجونه مؤلفين كانوا أو ممثلين . فاستطاع أن يكون فكرة —
غير صحيحة في نظري — ولكنها مبتدعة وهامة وجزيرة النتائج عن الروح
الاغريقي . وثل بهذه الفكرة وفتن بها وجعل منها مذهباً فلسفياً واجتماعياً
وخفياً . وفي الحقيقة ان « نيتشة » كله في كتابه « أصول انتراغوديا
الاغريقية » .

أما الفكرة التي كونها « نيتشة » بسد محاولات وغموض غير قليل عن
الفن التراجيقي والاغريقي والروح الاغريقي فأنها تتأخر فيما يلي :

كان هناك عنصر بشري لم يحب غير الجمال والحياة . وقد أحب على الاخص
الحياة . الحياة القوية المرحية المتجسمة المقرونة بالظفر والمجد . وهو ما يطلق
عليه اسم الروح الاغريقي . الا أن ذلك العنصر أحب ايضاً الجمال والبراءة ونبل
الموقف والاباء والشهم وهدوء النظر . وهو ما يطلق عليه اسم الروح الابولينية
(نسبة إلى ابولو) . وتجتمع هاتان الحالتان في المخلوق الاولمبي . والاوليب
هو مقر المخلوقات السامية . الاحياء الذين أوتوا غاية القوة ومنتهي الجمال .
والذين أوتوا النعيم المقيم . خالدين مرفهين بكل ملاذ الحياة الابدية . فالاولمبي
هو المخلوق السامي الذي اجتمع له الجمال والنبل والعظمة والخلود . هو نموذج
اليوناني وقد توخى اليوناني في حياته وفي فنه الاقتراب من ذلك المثل الاعلى .
وعمل على ان تجتمع في الطراغوديا حالتا العنصر الوسط والعنصر الاولمبي .
وقد وضع الحالة الاولى في الاناشيد والحالة الاخرى (الابولونية) في
الاشخاص . وعلى كل حال فقد توخى قالباً من قوالب الفن اجتمعت فيه الحياة
والجمال واتحاداً عميقاً . وحيث تبدي الجمال حياً متحركاً عاملاً
وحيث تجت الحياة في الجمال . وفي الجمال دائماً وفي كل ضروب الجمال .
الموسيقى والشعر ونبل المواقف اتحاد صميم للحياة والجمال في الطراغوديا
اقترب به الاثينيون إلى المثل الاعلى الاولمبي .

وحتى في حياتهم بالذات سعى الاغريق في تحقيق ذلك الاتحاد الذي كان منيهم . حققوه في عملهم الحربي (الفتوحات) وعملهم السياسي والاستعماري وعملهم الاداري . وكانوا يحملون مع كل ذلك الفن دائماً . فن الشعراء . وفن الحفارين . والمهندسين . وفن المصورين . ولقد تمتعت اليونان حياتها وفنهم على العالم ، وكانت ترى العيش في الجمال الغرض الاسمي . وأرادت ان يعيش العالم على مثالها . يعيش في الجمال . ذلك كان شغافها وإرادتها الدائمة .

ومن الممكن ان نعد انتراغوديا الاثينية الواسطة الى ذلك . بل لقد كانت الصلة بين سماء اليونان وارضها . وكانت انتراغوديا الاولمبية تقول للناس . كونوا اولمبيين . لتكن الحياة والجمال على الارض كما هما في السماء (الاوليمبي) . الحياة والجمال السماوي ترشد اليهما انتراغوديا على الارض .

— ولكن ألم نوضع في انتراغوديا اليونانية اشياء كثيرة . أولم يسع الاثينيون إلى شيء آخر في انتراغوديا غير استمطار الدموع الغزار كما قال « هوميروس » وارضاء حساسيتهم ؟

قال « نيتشة » : كلا . حسبك ان تقرأ « أفلاطون » و « ارسطو » لكي ترى كيف كان الاغريق يفهمون الطراغوديا في جوهرها حتى في حالة عدم اتفاقهما فلقد نفى افلاطون الشعراء من جمهوريته خشية ان يترى التخنث العنصر اليوناني القوى الممراح . خشى علي اليونانيين من تأثير مبالغة الشعراء في التباكي والعويل المصطنع . ولكن جاء ارسطو على تقيض أفلاطون دائماً ودافع عن انتراغوديا مؤكداً أن التأثير في الناس باشياء مصطنعة يطهرهم من تلك الحساسية الكاذبة التي يصطنعها الشعراء . ويرجعهم إلى الحياة القوية المرحية . ويتبين من هذين الرأيين أن الحكيمين إنما ارادا عنصراً قوياً عاشتاً للحياة وكلاهما أراد أن لا يكون للفن تأثير معاكس فيضعف ويخمله .

واضاف « نيتشة » إلى ماتقدم أن ذلك الذوق في العنصر اليوناني إلى الفن الاوليني إنما هو ذوق منفعهم بالتأثير الحزين المروع مظهر للبؤس

الانسانى . دال على أن لا خوف من وطأة ذلك البؤس والألم على العنصر اليونانى القوى .

وأنه لا يتطلب خواتيم مفرحة . ولا أكاذيب متفائلة . وأنه عنصر واثق من نفسه كل الثقة بحيث يرى البؤس الانسانى ويجد فيه مسرة تنطوى على الجمال الغنى لا تؤثر فيه اى تأثير موهن . وأنه من الممكن ان يسر برؤية البؤس الانسانى سرورا يتفق مع رجولته وقوته . تأثير صحى يتخطى به « المقابر الى الامام » حسب تعبير « جوث » . ولم يكن العنصر اليونانى يتطلب من الفن عزاء ولا مخدر انما كان كسائر العناصر القوية يستسيغه على انه علاج مر ومطهر .

تلك هي الفكرة التى ظفر بها « نيتشة » عن الفن الاغريقى . وهى التى تأملها فزعزعت عقيدته فى كل ما حصل عليه من المعلومات . فلقد علموه الرومانتيسم الالمانى اى فن الاسى والعيويل . فاما اهتدى الى التراغوديا اليونانية رأى عنصرا قويا وفنا للجمال بعيد الغور شديد الاتصال بالحياة القوية المنبعثة . وهو ما يناقض الرومانتيسم وقد علموه التشاؤم اى الاعتقاد بان الحياة شر . فلما اطلع على ثقافة الاغريق رأى فنا وعنصرا ثملا بحب الحياة . فنا وعنصرا متشبعين بالتفاؤل

علموه موسيقى فتن بها فى اول الامر ولكنه صار الآن يمجها لضعفها وانزعتها . وقد اطلع على فن وعنصر حيث يستشعر من الموسيقى روح الحياة المتحمسة الشديدة وحيث تقترن بضروب من الرقص الدالة على الرجولة والفرح والبطولة فاحس نيتشة بان عقيدته فى معلوماته الاولى قد تزعزعت وانهد ركنها .

ولم يكن ذلك بلا اسف احس به « نيتشة » حين ارجع البصر كرة الى الوراء . صار فى حالة ازمة . فانه برغم كبريائه ومزاجه المشاكس الميال الى العراك عهد الاسف الذى يحسه المرء حين ينفصل عن بلده او عن حزبه او ناديه . اسف لم يسلم من الشعور به اى انسان ذى شخصية . تقول انه برغم

كبريائه لم يكن يخلو من وداعة واحترام للمعلم يتسبب به كل تلميذ ألماني . ولم يلبث ان حذر نفسه من كل التأثيرات التي ثقلت وطأها وتجرد بالشجاعة الأصلية فيه من كل سيطرة للأفكار التي حصلها . واخذ يواصل طريقة بمفرده قال « ولما ابتدأت السير بمفردي جعلت انتفض . ولم يتض على وقت قصير حتى مرضت ومالت البقاء في حالة الوهم الذي تكابده نحن معشر المعاصرين وسط كل ما يشير حماستنا .

مالت واشمأزت نفسي من التبخث والتسوية والحماسة الفارغة في ذلك الروماتيسم . وتلك الاكاذيب الايديالية واضعاف الضمير المتغلب على التأثيرات الشائنة في العصر الحاضر . واحسست انه قضى على أن اكون أكثر انفراداً من ذي قبل .



دعا نيتشة الناس جميعاً الى حب الحياة . الحياة القوية الفعالة . وحب الجمال المنطوي على القوة . قال « ابذروا الحياة في كل مكان . والى الحياة وجهوا جهودكم . ضعوا أكبر مقدار من الحياة في هذا العالم » ولم يكن نيتشة سوى صورة مهتاجة من « جوث » وظل يعتقد انه اذا كان للعالم حاسة فانها حاسة الجمال ولا يمكن أن تدرك إلا على أنها مظهر لارغبة في الجميل . وليس هناك من يفهم الحياة غير الفنانين . ونحن اذا أردنا في آخر الامر أن نفهم العالم على اعتبار أنه مظهر للعدالة أدركنا في الحال عقم مجهودنا لانه من الثابت أنه ليس في العالم مظهر للعدل . واذا أردنا أن نفهم العالم على أنه مظهر للخلاق الحسن لم نلبث أن نرى رجاءنا قد ضل لانه ينبغي لنا أن نتفق على أنه ليس في العالم ظل للاخلاق . واذا أردنا أن نفهم العالم على أنه مظهر للصالح والطيبة وان نقول مع افلاطون « ان الله خلق الدنيا طيبة منه وكرماً » انحدرونا إلى مهاوى السخر لأن من المحال إدراك أن قوة عظيمة تخلق المخلوقات طيبة منها لكي يتألموا .

الا أن الاعتراضات تنحى ووجود المحال تلاشى حين ننظر الى العالم على اعتبار أنه مظهر للجهال . وأما مسألة الشر في الارض فانها لا تكون متى قلنا ان الجمال سبب الوجود . والجمال وحده ينزه الخالق من كل شيء لانه فنان . قال أنه لا يمكن أن يكون الوجود منزهاً إلا اذا اعتبرناه مظهرًا للجهال وان العالم الذي لا يقبل الادراك على اعتبار أنه مظهر للعدالة وللصلاح وللخلق « موراليتي » يصير قابلاً للادراك متى نظر اليه على أنه مظهر للجهال وهو الجمال في اسمي مظاهره (وقد نأتض نيتشة هذا الرأي فيما بعد . على أن متناقضات نيتشة يمكن الفصل فيها) والاحساس بالعالم انما يكون في تتبعه والاتجاه اليه . الاتجاه الى الحياة والى الجمال والى الفرح . وانه ليس أجل من الاتصال بالارض وعدم الاعراض عنها والاخلاص لها .

« استحلنكم أيها الاخوان أن تخلصوا للارض . ولا تصدقوا الذين يمنونكم بآمال فوق الارض انهم يدسون لكم السم من حيث لا تشعرون . انهم ممن تعبت منهم الأرض لانهم يعبثون بحياتهم وحياة الناس . اخواني . كونوا مخلصين للارض بكل ما عندكم من فضيلة واحبسوا فضائلكم عن التخليق الى أسوار الابدية فكم من فضيلة ضالة بين الارض والسماء . فاعيدوا مثلي الفضيلة الضالة الى الارض .

وقد رأي نيتشة ان واجب الانسان ان يترقى الى ذاته ان يصل الى ما يحس أنه قد صار اليه . والغرض أن نجيب دائماً نداء الوجود . وليس الغرض أن تقبله على علاته لان ذلك ضرب من احتماله . الغرض أن نحبه وان نعتنه بشغف .

وفي الحقيقة أنا اذا فكرنا في التشاؤم ومذهب المثل الأعلى « الايدياليسم » والمسيحية وسائر وجوه التجرد من العالم كما هو المأراأنا فيها غير صور الاتجار انما على الاقل من عوامل التفرقة . ان الانسان لينتقل من الحقيقي الى الخيالي كما ينتقل الشعب من المدينة الى الجبل المقدس وهو انما يسميه مقدساً لجرداته يعتزل فيه . لانه ضريح .

وشأننا في الوجود أن نتقبله بسرور وان نذهب في مذاهبه وان
نساعد علي ترقيه ومجد حركته واتزانه وتناسبه . قال « إني لأرغب في
الدنيا كما هي . وأرغب فيها دائماً . ولا أفناً أقول » :

هات : ليس لي وحدي بل لجميع النظارة
علي أنه لا يكفي أن ترضى بالدنيا لكي ترضى بك . يجب أن تكون
مستعداً لحبها وكفاحها في وقت معاً .

ولقد تنقّب هذه القاعدة للحياة ضدك . فانك حين تسعى للحياة القوية
المتسعة المدي تلتقي العناء والالم والجرح . ولكن اليس التفاؤل التام الصحيح
يحمل معه الشر ؟ اذن يلزم أن نعيش في خطر . (وهي أجل عبارة نطق بها
فهم إنساني) يلزم أن نعيش في خطر لكي نتذوق الحياة في أكل صورها
بل لكي ندري ماهيتها .

« صدقوني ان السر في أن تحصّدوا من الحياة اكبر مقدار من السرور
انما يكون في التعرض للخطر . شيدوا مدائنكم على مقربة من « الفيلاف »
ارسلوا سفنكم الى البحار التي لم يجزها أحد . عيشوا في حرب مع أمثالكم
ومع أنفسكم . اغتصبوا بالقوة مالا تستطيعون امتلاكه أنتم يامن تنشدون
المعرفة . وسرعان ما يمضي الزمن حيث تسرون بالحياة مخفّفين وسط الغابات
مثل الخرافيت الشاردة »

اما الموت فلا مزية فيه . انه جزء من الحياة . وغايتها وجزائها . واذا
كان هو آخر شعلة من الحياة فانه اسمى شعلة . قال « ان اجل حياة للبطل
هي ان ينضج للموت في ميدان الكفاح » ألا ايها الموت . اين مجدك ؟
لمعمرى انى لا اراه . انى لا تعمر واكون مجيداً بالموت .

ولقد خص نيتشة نصف كتاباته تقريبا بتمجيد الحياة وحبها . وهو ما
لا يحتاج الى شرح . وهو جميل من وجهة الفن . حب الحياة في الجمال والجمال
في الحياة .

والى هنا لا تزال فكرة « نيتشة » عند حدود العاطفة . ولقد سحره
 كمنان جمال الحياة الاغريقية كما فهمها فصار عاشقا للجمال والحياة الطليقة
 القوية . وتوصل من ذلك الى شعوره العام بالوجود . وانه لا بد للانسان
 من ان يعيش بكل قواه وان يخلق الجمال الحي في شخصه وفيما حوله
 باستعمال قواه كلها استعمالا جريئا . وهو رأى صائب .
 ولم يمت « نيتشة » ان يلاحظ جميع العوائق التى تحول دون الحياة
 فى القوة وفى الجمال . الحياة كما اطلع عليها فى تاريخ الانسانية الاغريقية .
 وقد تناولها بالهدم دفعة واحدة . ومعنى تناولها بالهدم انه برهن على استحالة
 أو سوء نتائج وظلم ما شملت عليه النظم والآراء الانسانية من معارضة
 التماؤل ومنع الانسان دون أن يعيش فى حرية وفرح وقوة وبطولة وجمال .
 اما تلك العوائق فلا تكاد تحصى . أولا : احجام الانسان وتردده فى البحث
 عن الحقيقة . احجامه وتردده امام المعرفة . فلسنا لعمرى مفكرين صادقين
 صريحين . انا لنتخوف من الحقيقة . بل ربما كنا نعتقها كما قال « باسكال » .
 ويندر أن نتناول الحق بجرأة . ذلك لانا نعلم انه لا يخلو من أخطار . واخطاره
 توازي مسرانه . وانه لمن الممكن أن نكتب تاريخاً لم يكتب وهو تاريخ « دون
 جوان المعرفة » . وليس هو تاريخ « مونتانية » ولا « سانت بيف » ولا
 « رنان » . إن التاريخ الكامل لدون جوان المعرفة انما ينحصر فيما يلي
 « لقد أخطأه حب الاشياء التى اطاع عايرها ولكنه ذو عقل وشعور جهم »
 فنعم بسيد المعرفة وطاردها إلى أقصى الكواكب واسماها (وهذا يقف
 تاريخ « مونتانية » و « سانت بيف » و « رنان ») وحتى لم يبق لديه فى
 آخر الامر شيئاً يصيده إلا ما هو جد مؤلم فى المعرفة مثل المدمن الذى ينتهى
 الى شرب « الابلنت » ممزوجاً بالماء . وهو من أجل ذلك ينتهى به الامر
 إلى الرغبة فى الجحيم وتمنيه . وتلك لعمرى آخر معرفة تفتنه . وإذ ذاك لا بد
 له من الوقوف عند حدود الابد . إذ ذاك يصير نزىل الحجر . ويتمنى عشوة
 من ليل المعرفة . عشوة ان تهبط اليه قسمة ! لان دنيا الاشياء بأسرها لن
 تجود بلغة تعطيتها ذلك الجوعان المتعطش »

وانه لمن السهل أن ندرك ذلك التخوف من الخيبة التي توقف الانسان عند بداية البحث الشخصى عن الحق . ولقد نهتدى في هذه الدائرة الى الجبن العام للانسان . إنه جبان أمام الحقيقة . ولكنه لا ينبغي أن يكون الانسان حيوانا لان خشية الهزيمة انما هي في الواقع هزيمة قبل خوض المعركة . انما يتحتم البحث عن الحقيقة ببسالة وبحب جم لها . حب سابق للمعرفة يوازي حب ذلك الامير الذي تعشق أميرة بعيدة لم يرها . وليس للحياة معنى في غير البحث عن الحق . وانا لن نظفر بالحياة صالحة طيبة الا منذ الوقت الذي تذوقها فيه على هذا المعنى قال نيتشة « كلا » . ان الحياة لم تحيب رجائى : لقد وجدتها أغنى مما كنت أظن وأحب الى نفسى وأشد خفاء منذ اليوم الذي علمت فيه أن الحياة يمكن أن تكون تجربة لذلك الذى ينشد المعرفة . وتكون مجرد تجربة لا واجبا ولا قدرا محتوما ولا خديعة . وان المعرفة نفسها التي تكون للآخرين سريرا للراحة أو سبيلا الى الراحة والاهو انما هي عالم مليء بالاخطار والانتصارات حيث يكون للمواطن الجريئة البسالة مقامها في الرتص وفي اللعب : لعمري أن الحياة وسيلة للمعرفة وبهذا المبدأ حين نجمله في صميم القلب لا نستطيع أن نعيش ببسالة فحسب ولكننا نعيش أيضا في فرح ومتاع . وكيف نريد أن نسر وأن نضحك ونبلغ الغاية في الاستمتاع والفرح اذا لم نرد في بادىء الامر الحرب والفوز؟ .

انما يلزمنا أن نبحث عن الحق بصدق واخلاص وان تعشق الحقيقة لذاتها مهما كانت . بل ينبغي أن نحجبها لذاتها وانما لكي نعارضها ونعاديها . ولا بد للانسان من أن يناقض نفسه .

وحسب هذا الرأي أن يفسر متناقضات نيتشة — وهو انما يناقض نفسه عن صدق واخلاص . ويلزم ان يتقبل المرء تقيض رأيه وانقض ذلك النقيض وتقدير قيمته .

على أنه ينذر أن يكون في الناس ذلك الاخلاص في البحث عن الحقيقة . وهم بوجه عام يريدون أن يخذعوا ويخذعوا . ولقد ضرب نيتشة المثل

بصدقه وإخلاصه في البحث عن الحقيقة . وفي رأيه ان الانسان شقي وانه يحتاج الى الأيزيد في شقائه إمدم اخلاصه للمعرفة . وان حب ماليس بالحق أو الجبن في تمحيصه عائق ضد الحياة في القوة وفي الجمال . وأنه يتحتم القضاء على ذلك العائق .

. ثم أشار نيتشة الى العادة فوصفها بأنها تعترض الوصول الى الحق والى المعرفة بل الى الحياة القوية المميزة بالجمال . وقد أراد بالعادة مايسمونه بالتقليد « تراديسيون » . فان الانسانية تعيش في ماضيها الذي تلقته بالعادة . وان ذلك الماضي ليس سوى خطأ محض . قال ان الانسان يربى باخطائه . وان تلك الاخطاء قد صارت أساساً لطبيعته لا يستطيع ان يتجرد منها . وانها تدوم وتطول وتصادف حقائق تختلط بها وتختلف بذلك اخطاء جديدة أشد خطورة مثل كل خطأ يمتزج بالحقيقة ويحصل على شيء من التصديق . وان نشأة الانسان باخطائه يجمعه بحي حياة ناقصة مبتورة . ومن هنا كان ادراكه لقاعدة للحياة لا تقبل التطبيق أو تطبيق تطبيقاً سيئاً وتساعد على أن تعطيه فكرة ناقصة عن نفسه . ويقال من جهة أخرى انها تساعد على خلق الصفات الخيالية مثل المقدرة على النظر الى المستقبل او ادراك ما فوق الطبيعة . ومن شأن هذه الاخطاء ان تشر قواعد للحياة تبقى مع الانسان وتعمل على خدعه وغشه .

ويشعر من جراء ذلك ايضا انه في علاقة كاذبة بالطبيعة والحيوانات . ويحس بانه جد مختلف عنها . وان ثمة تباين عظيم بينه وبين سائر الطبيعة . هذا الخطأ او النظر الكليل يوجهه في اتجاه غير صادق . اتجاه مضل .

ويكاد يكون الخطأ مهد للانسان . ومنشأه يرجع الى العادة التي تحفظ في الانسان المذهب كل ما هو طبيعي ولازم للانسان الفطري .

وليت الامر كان مقصوراً على العادة . فهناك ايضا اللغة . اللغة التي هي لسجن الفكر . اللغة التي تسجن فكر اناسي اليوم في فكر اناسي الماضي . اذ لا تبيح للمحدثين ان يعربوا عن آرائهم الا في النماذج الماضية . انها لا تهب .

فكرتني حين تصدر الا المنفذ الذي صدرت منه افكار اجدادى الغابرين :
 لقد تضطرنى الى اخذ رأى ديكارت للاعراب عن رأى : فاللغة عامل محافظ
 على الاخطاء القديمة او الحقائق القديمة . أنها لخطر عظيم على الحرية الفكرية
 ولعل اهم عائق انتقده « نيتشة » واثمهم من اجل ذلك بأنه فوضوى انما
 هو المجتمع الحديث . ولم يكن « نيتشة » فوضوياً ولا عدوا للمجتمع .
 ولكنه رأى بحق ان كل المجتمعات الحديثة بل كل المجتمعات منذ زمن
 طويل تعترض مذهبه على خط مستقيم : وتعترض مذهبه بطبيعة تكوينها
 ونظامها نفسه . فان المجتمعات الحاضرة ملكية كانت او ديموقراطية لا ترمي
 الى جعل الانسان يعيش في حرية وفي قوة وجمال . انما غرضها ان تساعد
 على أن يعيش اكبر عدد ممكن من الناس : وهو ما يدرك من سيرها العام
 ولا قدرة للمجتمعات الحديثة الا على تمكين جميع الناس من حياة بسيطة
 محدودة تعين على التوالد والتكاثر وأن يكون لكل مركزه الصغير
 وكوخه ودائرة تطوره المحدودة ولعل المثل الاعلى لكل مجتمع من تلك
 المجتمعات لا يتعدى المثل الاعلى لمدير احدى المستشفيات الذى يقيس درجة
 الهواء الذى لاغنى عنه للمرضى .

وقالما تهتم المجتمعات الحديثة للنوع مقدار اهتمامها بالكم . انها لا ترغب
 فى عمل شئ عظيم ولا جميل حتى ولا صالح انما ترغب فى اخراج كثرة
 عديدة .
 (للكلام بقية)

التفكير والاعتقاد

عن وه. ولمسون

لا يجهل الناس حقيقة شيء أكثر مما يجهلون حقيقة دينهم فهم يقادون
منذ طفولتهم قسراً لينهلوا التعاليم الدينية وسيف النعمة مساط فوق رؤوسهم
يتخيّلونه على وشك فصلها إذا هم لم يتظاهروا باستسغائه ما يردونه من ماء
القداسة . هكذا ينشأ الظنل واجفأ وإذا ما كبر غرس بذور الرهبة في قلوب
صغارهم فيصبحوا مؤمنين ليس عن اقتناع نتج عن تفكير حر بل رهبة من
نار السعير

وإذا ما خالَجَ إنسان الشك قال المتدينون أن أبليس قد تقمص الشاك
والويل لهذا التعيس إذا لم يخف شكه وأصبح مرثياً يؤهم الناس بأنه قديس .
فليس من أكبر المصائب أن يجبر الإنسان على وأد إدراكه وهو الأمر
الوحيد الذي يتميز به عن سواه من الحيوانات ؟ إن رجال الكنيسة جواب
واحد على أسئلة « لماذا وكيف » وهو ينحصر في الحث على الصلاة وطلب
المغفرة . والويل للإنسانية إذا وقعت صريعة الإيمان إذ تصبح ضحية الجهل
والتعصب المخجلين كما كان الحال كذلك في المبدأ وكما صارت إليه الإنسانية
في عصور أوروبا السوداء فإن ما ارتكبه محاكم التفتيش من المخازي والفظائع
ليس إلا نموذجاً — مصغراً — لما كان يجري في العصور الدينية حين كان
الجهل سائداً والاضطهاد حاكماً

إن في محاولة الضغط على التفكير الحر مثل للتقدم والمدنية أن لم يكن ذلك
دفع البشرية إلى التقهقر وجعل البشر قطعاناً كالماشية تتبع من يقودها إلى
لا قصد وإلى لا غاية وأنه لمن المدهش أن ترى الناس في هذا العصر الذي
لم يعد (البخازوق) والكسر العظام والحرق سيطرة فيه متمسكين بمراسم

الاديان ظاهراً ، ليس خوفاً من رجال الدين فهم محتقرون وآرائهم سقيمة لا ينازع في سخافتها أحد ، بل من باب العادة فقط وارضاء لغريزة القطعان المتسلطة على الضعفاء . اليس من الغريب أن نجد الاباء يخرضون أولادهم على المراءات وبمعنى آخر إلى عدم احترام النفس ؟ اليس من اكبر المصائب ان يخاف العاقل من مواجهة الحقيقة وان يتظاهر بالغنى والجهل والسخف كي يرضى أمثاله من الجبناء الذين يخشون الظهور أمام بعضهم بحقيقة ما يعتقدون . هناك فرق بين « جرب وابحث » وهي صيحة العلم وبين « آمن وصلى » وهي صرخة الايمان وانك إذا شككت في قصة بقاء يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام اعتماداً على البراهين الحسية والاختبارية يحتقرك الناس لعدم تصديقك ما يحويه كتابهم المقدس كلمة الله المنزل من لدنه ويتساءلون مندهشين كيف يجراً صعلوك مثلك على الشك فيما قاله الله واذا سألتهم كيف علموا ان هذا الكتاب منزل من عند الله غضبوا واستسخفوك واذا تنازلوا أجابوك باحتقار قائلين انهم علموا ذلك من الكتاب المقدس وعبداناً تحاول تفهيمهم بان الاستشهاد ببعض ما يطلب اثبات صحة كاه ليس الا لغوا قالوا إنه ليس بالمعقول أن يخطيء السلف وتكون أنت وحدك المصيب . ولكن لا ينبغي هذا ان المطلوب هو اثبات تنزيل الكتاب قبل أن تتهموا الناس بمخالفة ما يقوله الله العليم (خففوا من حماسكم واعلموا - اذا كنتم تجهلون - ان الكتب مملوءة بخرافات ومتناقضات لا يستفيد منها العقل) ألا خففوا من حماسكم ودعونا تير الطريق أمام الافهام لتقوم بعملها أحسن قيام

وقد يسألني سائل للاتيان بأنموذج من الخرافات والمتناقضات الممثلة بها الكتب المقدسة وأنا أرحب بهذا الطلب وأجيب

ذكر في سفر التكوين (من التوراة) الذي تعزي كتابته لموسى ان العالم بدأ عام ٤٠٠٤ ق . م أي كاد ان يكون عمره ستين قرناً لا أكثر في حين ان العلم يقدر عمر الارض بنحو ٢٠٠٠ مليون عام وتوصل العلماء الى

حكمهم هذا من تقديرهم لعمر الصخور بحوالى ١٦٠٠ مليون عام وكانت الكرة الارضية قبل ذلك جسماً ملتصقاً ببعضها أخذ يبرد شيئاً فشيئاً وبدأت فيه الصخور بالتصلب وفي هذا العهد لم تتواجد الحياة على ظهر البسيطة لانهم لم يجدوا أحافيرها في الطبقات الدنيا من الصخور وعيناً يحاول العلماء الوصول الى معرفة وقت نشوء الحياة ولكنهم يظنون انها بدأت في الأماز والمستنقعات بحالة غاية في البساطة

وقبل ان تكتشف فكرة التحول كان الدينيون يهيمنون في غياهب الجهل مدلين بأراء سقيمة عن التكوين فتصور هول الضربة التي واجههم بها أصحاب النظرية الجديدة خصوصاً وقد قالوا ان الحياة تتغلغل آلاف القرون في التاريخ وأثبتوا قولهم بالمتحجرات التي عثروا عليها . حقيقة لا يدعى العلماء انهم اكبر من ان يخطئوا ولكن ليس معنى هذا انهم لاشك مخطئين وانما اذا قارنا بين هدف الدينين وأقوال العلماء نجد تخطيطات الاول قائمة على غير أساس في حين نجد لأقوال الاخيرين براهين حسية يستسيغها الفكر دون أن يتعرض للخوف اذا لم يسلم بصحتها هذا في حين أن الأولين ينسبون مايقولونه الى موجود لم يثبت وجوده بصرف النظر عن عدم وجود ما يثبت صلاته بهذه الآراء حتى اذا كان موجوداً

تدعى الكتب السماوية ان الله خالق العالم (وفيه آدم) في ستة أيام ثم تعب فاستراح في اليوم السابع ونشط بعد ذلك لخلق حواء ثم قال لا آدم لا تأكل من ثمر هذه الشجرة فاغوت الحية حواء التي اقنعت آدم بوجوب الاكل منها ففعل وتتج عن ذلك هبوطهما من الجنة وانك لو اطلمت على سفر التكوين يكون من السهل عليك ملاحظة انه قد كتب باقلام ثلاثة أشخاص وليس بقلم الله وهذا اثبات كاف بانه ليس بالمنزل ولا بالموحي به فان كلام الله العليم القادر لا ينسخ بعضه ولا يحوي تكراراً ولا تنقيحاً واليك مثل لما قاله ان فقد ذكر في سفر التكوين

في "بدء خلق الله السموات والارض (فالسماء قد خلقت)

وفي اليوم الاول خلق الله النور (ثم خلق بعد ذلك الشمس كما ستري بعد)
وفي اليوم الثاني خلق الله السماء (التي سبق وخلقها في البدء) وفي اليوم
الثالث خلق الاعشاب (دون أن تكون هناك شمس) وفي اليوم الرابع
خلق الشمس والقمر والنجوم (وذلك بعد أن خلق النور ، ومصدره الشمس
ولا أريد أن أذكر هنا ان اعمار النجوم تتفاوت عن بعضها بملايين السنين
بل اكتفى بما سبق وذكرته وأضيف مسائلا كيف تمت الاعشاب قبل
ان تكون هناك شمس تسلط حرارتها على الارض) وفي اليوم السادس « خلق
الله الانسان على صورته وعلى صورة الله قد خلقه ، ذكرأ وانثى خلقهم هو »
(فكيف خلق ذكرأ وانثى في حين أنه مذكور أن حواء قد خلقت بعد
ما اراح الله ذاته في اليوم السابع فهل معنى ما سبق ذكره ان الانسان الاول
كان ذكرأ وانثى معاً) ويجدر بي أن اذكر أن الكلمة التي ترجموها (الله)
هي ايلوهيم (اللهم) وايلوهيم هذه هي جمع للفظه ايلوه ومعناها الالهة ترجمت
بصيغة المفرد قصد التمجيد وليس هناك شك في أن العبريين كانوا مشركين
غير موحدين وذكر في ٢ - ٥ « ولم يكن هناك رجل يزرع الارض » مع
ان آدم كان موجوداً وذكر في ٢ - ٧ « وجبل الرب السيد الانسان من
تراب الارض » فهل هذا الانسان الطيني هو غير آدم أم المقصود من
ذلك هو التكرار المناقض لما سبق قوله ؟

كذلك تجد وأنت تطالع ذكرأ لشجرتين مخرمتين شجرة الحياة وشجرة
المعرفة - معرفة الخير والشر - وذكر أن الله قد خلق آدم « ليحفظ
الجنة ويرعاها » أي ليعمل فيها فكيف دعا الله عليه بعد ما ارتكب الخطيئة
بالهبوط « ليأكل بمرق جبينه » وهو أمر غير حادث لانه كان يعمل في الجنة ؟
اسمع أيضاً : ولما خلقت حواء وراها آدم قال « يترك الرجل أباه وأمه
يلتصق بامرأته » فكيف يجرؤون على اتهام آدم بهذا القول حين كان يجهل
معني الابوة والامومة والبنوة ولم يكن قد أكل من شجرة المعرفة حتى
يعرف ويستنتج مقاله لمجرد رؤيته انتهى

وتظهر بعد ذلك على المسرح حضرة الحياة وتكلم ، اجل ولتنطق باللغة آدم وحواء ، فتقول للمرأة « إنك لن تموتين » في حين أن المفهوم من سياق القصة أنها كانت تخوضها على اكل ثمرة شجرة المعرفة وليس ثمرة شجرة الحياة . كذلك مذكور ٢ - ١٧ بأن الله هدد آدم بالموت إذا اكل من الثمرة (ومعنى هذا ثمرة شجرة الحياة) مع أن آدم أكل من شجرة المعرفة فقال الرب « اصبح الرجل كواحد منا يعرف الخير والشر وحتى لا يتناول من شجرة الحياة ليحيا » فيمكن لنا ان نستنتج من هذه الفقرة ان آدم اكل من شجرة المعرفة وليس من شجرة الحياة فخاف الرب ان يأكل آدم من شجرة الحياة ايضا فيصير واحدا (منهم) فمن هم ؟ هل المقصود من هذه الفقرة انه سيصير واحدا من الآلهة ؟ ليس من السهل استنتاج ان الشخص الذي كتب هذه الفقرة لم يكن موحدًا ؟

قاب مبي سفر التكوين فانك تجد كل الاصحاح الاول مع ثلاث فقرات من اصحاحه الثاني تحوى لفظة ياهوا (ومعناها الله) وقد ذكرت ٣٥ مره لم تذكر بينها ولا مرة واحدة لفظة ايلوهيم (الآلهه) التي نترجم ايضا بمعنى الله ولكنك تجد ان ايلوهيم اخذت تظهر في ٢ - ٤ ضمن الكلام ويصبح من السهل عليك بعد ذلك ملاحظة ان هناك فقرات ذكر فيها الله باسم يهوا فقط في حين ان هناك فقرات ذكر فيها باسم ايلوهيم فقط ويقول النقاد ان ذلك من اقوي البراهين على وجود مدرستين احدهما تتبع الآله يهوا والاخرى تتبع الآله ايلوه مزجت اعتقاداتهما معا بعد ذلك في سرد القصص ويقولون ان ياهوا هو اسم اله المدرسة الا سبق من الاخرى -

يقدر ان وجودها في القرن التاسع ق . م - وانه بمرور الزمن اصبح الاسمان مرادفان لبعضهما وعلى اساس هذه الفكرة وغيرها بنى القائلون بعدم كتابة التوراة في عهد واحد رأيهم خصوصا وانهم يبينون ان الترادف حدث في العهد بين اشعيا وارميا

والآن اريد ان اخلص لك هذه القصة هناك تجد فيها شيئا مثيرا للاهتمام

(١) خالق الله الانسان

(٢) اخطأ الانسان

(٣) فحكم الله عليه وعلى نسله بالتكفير عن الخطيئة

(٤) ولما ازدادت شرور النسل أسف الله على ذلك فارسل ابنه (الاله)

ليقيم بين النسل

(٥) قتل نسل الانسان ابن الله

(٦) ولأنهم اترفوا هذه الجريمة على الله عن الجريمة التي اترفوها جداهما

الاولان ولم يكن لهم صلة بها ومعنى هذا ان الله اراد ان يرتكب آدم الخطيئة وانهم نسله بارتكابها فجازاهم على ذلك وهم ضعفاء وابرياء ولم يفعل جداهم الاول الا ما اراد الله ان يفعلوه فالخطيئة موجودة اوجدها الله كما اوجد آدم وانه عرف ان آدم سيرتكبها وعلى فرض انه ارتكبها وانه مسئول عنها بالرغم من انه لم يكن مخيراً بل مسيراً فلم لعن الله ملايين الملايين من نسله ومع ان الله علم بان النسل سيقتلون ابنه ارسله اليهم ولما قتلوه لم يعاقبهم وهذا عدل بل بالعكس صفع عنهم لجرم لم يكن لهم يد فيه أليست هذه تصورات عقل وحشى غير منظم لم يلج شعاع العطف فى قلبه ولم يعرف معنى للعدالة ؟ فهل من المعقول ان صاحب صنعة يعذب كل اتباعه لان اثنين منهما خالفا ارادته ولم يقتل هؤلاء الاتباع ابنه يكون فعابهم هذا مبررا له كي يصفح عن جرم الشخصين اللذين خالفاه

ابراهيم باشا

شخصيته وأعماله

تكلم كثيرون عن ابراهيم باشا وكتبوا عن بطولته فصولاً إضافية واسهبوا في وصف مزاياه العسكرية ولكنهم لم يستطيعوا رسم صورة كاملة لهذه الشخصية العظيمة ومع أن تاريخ ابراهيم باشا مرتبط تمام الارتباط بتاريخ والده محمد علي باشا لأنه لا يمكن التكلم عن أحدهما بدون ذكر الآخر فلو قلنا عن محمد علي أنه القوة المدبرة قلنا الحق أن نقول عن ابراهيم أنه القوة المنفذة ولو وصفنا محمد علي بالسياسي التقدير لقلنا عن ابراهيم إنه القائد الحكيم إلا أن لكل منهما شخصية ممتازة وعمل خاص لا مندوحة عن اظهاره حتى يأخذ كلا الرجلين حقه ويرد الحق إلى نصابه

إن تاريخنا منفصلاً لابراهيم يجب أن لا يقل عن عشرة مجلدات وإن يشتمل على وصف تام للحروب التي اشترك فيها والمعارك التي ادار رحاها والخطط الحربية التي اتبعها والأعمال الإدارية والسياسية التي باشرها وحياته الخاصة وأخلاقه وطباعه وأطماعه وآماله لأن ابراهيم ليس من كبار القواد لا غير . بل هو من أفذاذ الرجال في الحرب والإدارة والإصلاح ولا أكون مبالغاً إذا قلت أنه لو لا حدة طبعه وشدة بطشه لفاق محمد علي في السياسة والدهاء . ومما يمتاز به على محمد علي حبه لجنوده ومشاركته لهم في السراء والضراء وسهره على مصالحهم واغداقه النعم على المخلصين من رجاله والعفو عن مسيئتهم ومعاملته بالرافة وكونه لا يميل إلى التأنق في المعيشة والتظاهر بالفخفة والعظمة ولكنه مع ذلك عالي النفس ، كبير الهمة معجباً بنفسه بخور بأعماله عظيم الآمال ، كبير المطامع . وسأمر في هذه المجالة على تاريخ ابراهيم لعل فيما اكتبه ما يعزى كل مصري على أن يطلب تاريخ هذا الرجل

العظيم كطالب التاريخ الكامل في كتبه العربية والافرنجية وينقش أعماله على صفحات قابه ويجعله نموذجاً لجميع أعماله

ليس لدينا معلومات صحيحة عن طفولة ابراهيم وصيته . ولكننا نعلم يقيناً أنه وهو دون العشرين صدر فرمان سلطاني بتعيينه دفتردارا على مصر . وهذا المنصب من أهم مناصب الدولة بعد منصب الوالي والمتوليه الاشراف العام على شئون البلاد المالية وجباية الضرائب والعشور وتسييد مطلوبات الدولة . ويجب أن يكون صاحب هذا المنصب متضلماً في الحساب والادارة والكتابة والانشاء . فاختيار ابراهيم لهذا المنصب يدلنا على أنه كان على علم كاف بما يجب معرفته في ذاك الزمان . وفي أثناء وجوده في هذا المنصب أوفده والده لمسح أراضي الصعيد وتقرير ضرائبها والقضاء على أسباب الثورة والفتن في تلك البلاد . فقام بهذه المهمة خير قيام . وبعد وفاة أخيه طوسون باشا ، عين واليا على جدة مع قيادة الحملة ضد الوهابيين ومن يعلم شيئاً عن نجد والحجاز وجوها الملهب وفيافيها الشاسعة وجبالهما الوعرة وما عليه الوهابيون من فرط الشجاعة والاقدام واسمائتهم في الدفاع عن عقيدتهم وحرصهم على بقاء الحرميين في أيديهم يدرك عظيم التبعة التي القيت على عاتق ابراهيم . سافر ابراهيم الى الحجاز وهو يعلم انه ذاهب لقتال قوم صناعتهم الحرب لا يتركون سلاحهم ليلاً ولا نهاراً صيفاً ولا شتاء ساماً ولا حرباً دأبهم الغزو وديدنهم شن الغارات وليسوا بجند منظم يمكن استطلاع خبره وحذر قوته ومعرفة وجهة سيره وهدف رميته . يختبئون في الكهوف والجبال ويتدسون في الاوغال وبين الرمال حتى اذا ظننت الارض خالية منهم وتابعت سيرك مطمئناً اذا بالارض قد ملئت من فرسانهم ورجالهم . واذا أسلحتهم تعمل في جنودك قبل ان تلقى اليهم أمراً أو تنحوا بهم نحواً فلا تعلم امن السماء نزلوا أم من الارض قذفوا . لا يرهبون مدفعا ولا يخشون بندقية ويرون الموت في الحرب شرقاً ومجداً وحشف الانف ذلة وعارا . يصيحون صيحات مرة ارهاباً لاعدائهم وتشجيعاً لانفسهم . فلو أمكنك رغم هذه

المباغنة أن تلم شعث جندك وتهيئهم للقتال . وأدرك المغيرون أنك ستنال منهم منالاً أطارتهم الريح من أمامك وانشقت الأرض فابتلعتهم فمضوا من من حيث أتوا تاركين ضحاياهم بين قتيل وجريح ذاهبين بما وصلت اليه أيديهم من خفيف المتاع .

فقل لي بربك أيمكن ، والقوم كما ذكرت ، لقائد أن يظهر عليهم في بلادهم ويركز التوية نصره على مشارف معانهم ؟ لم يذكر التاريخ قائداً غير ابراهيم فقد في قلب جزيرة العرب واضطر أهلها الى الخضوع والاستسلام وقد كانوا ينقضون انقضاض النصور على فرانسها فهايتهم أعداؤهم وفتحت لهم الجزيرة أبوابها وأوشك العراق والشام أن يقعاً فريسة لهم وأحجم قواد الدولة العلية في هذين البلدين عن لقاءهم . كل هذا كان يعلمه ابراهيم تمام العلم بل أنه كان يعلم أن أخاه طوسون لاقى الالهوال في حروب الوهابيين الاولى حتى كادوا يظفرون به . فبدلاً من أن يثبط ذلك من عزمه ويفت في عضده لم يزد الا شجاعة واقداماً فاوغل في قلب نجد ودك حصونها ومعانها حتى وصل الى الدرعية فلم تثبت أمامه إلا بضعة أشهر وفتحت له أبوابها وخضع له عبد الله بن سعود . وانتهت الحرب بما هو معلوم . ورجع بطلنا الى مصر بين حفاوة الشعب واعجاب العالم . فلم يكذب ينقض عنه غبار السفر حتى أوفده والده الى السودان لمساعدة أخيه اسماعيل في اخضاعها وتنظيم حكومتها . وبينما هو قائم بما وكل اليه فاجأة الحمى فاضطر للعودة الى مصر ولكن اقامته لم تطل اذ دعى الى حرب المورة فذهب اليها وكان من بطولته ما صير أوروبا وجعلها تحقد عليه وتتفق على اغراق أسطوله على ما هو مشهور . ولم تنقض سنتان على رجوعه من مورة حتى كلف بغزو الشام وكانت أكبر حرب باشرتها مصر في كل تاريخها دامت تسع سنين وحصل فيها كثير من المعارك الشهيرة وامتد سلطان مصر على فلسطين وسوريا والاضول وشمال الجزيرة وأظهر ابراهيم في هذه الحروب أنه لم يكن قائداً لا غير ، بل كان مصلحاً كبيراً وادارياً حازماً وسياسياً خطيراً وأسر ما يزيد عن عشرين باشا واستولى على

أكثر من ثلاثمائة مدفع وقد أثار إعجاب العالم مقام به في تلك السنين من
 الإصلاحات الإدارية والزراعية والصناعية رغم أنها كانت سنين ثورات
 وفتن وحروب ولولا أن تعداد ذلك يستغرق المجلدات لبينت طرفاً منه. وقد
 كتب الأفرنج كثيراً من ذلك ولما وجدت الدول وخصوصاً إنجلترا أن
 إبراهيم سيركز رايته في الاستانة وأن جميع الممالك العثمانية ستصبح في
 قبضة محمد علي وإبراهيم وأن ذلك يقضي على أطماعها ويضيعها أمام دولة إسلامية
 فتية قوية تألبن عليه وحاربته واضطررته إلى الرجوع إلى مصر وترك
 البلاد التي ليس فيها موضع لتقديم لم يرو بدم المصريين ورجع إبراهيم بعد
 ذلك حاتقاً غاضباً وكانت صدمة انهيار صرح آماله عظيمة أودت بصحته فلم
 يعيش بعد ذلك إلا سنوات قليلة قضاها في التداوى. هذه لحظة من حياة هذا
 البطل التي لم تدرس حق الدرس كتبها عنها كثير من حمية علماء التاريخ في
 بلادنا فيوجوهوا همهم نحو هذه الشخصية العظيمة

مؤرخ

الرابطة الشرقية

كان الاحد ٢١ اكتوبر سنة ١٩٢٨ يوم احتفال جمعية الرابطة الشرقية بصدد اول عدد من مجلتها فدعت نخبة من انصارها وممثلي الصحف والمجلات لمشاركة اعضائها في هذا الاحتفال

بدئت الحفلة بكلمة افتتاحية ألقاها حضرة صاحب السعادة احمد شفيق باشا ثم عقبه الاستاذ على عبد الرازق رئيس التحرير بكلمة متواضعة ابان فيها آمال الجمعية وما ترجوه من نشرها لمجلة « الرابطة الشرقية » لسان حالها. وهل لهذه الجمعية الاكبر الامل في عقد اوثق الصلات بين مختلف الامم الشرقية ؟ اليس هذا مبدأ سام يحبذه كل شوقي ؟

كنت اظن ان انتشار الرغبة في التفاهم بين ابناء هذه البلاد وضيوفها من الشرقيين قد حركتهم للانضمام إلى الرابطة الشرقية للتعاون على العمل المثمر ولكن خاب ظني عند ما صرح الخطيب بان عدد من قاموا بهذا الواجب لا يزال دون القليل . وكم سررت عند ما شاهدت بريق الرجاء متجلياً في كلمة خطيب الجمعية وهو يقول « إن كل عمل كبير لا بد وأن يبدأ صغيراً » . هذه هي صيحة الحرب التي اتخذتها الجمعية شعاراً لها وهو نعم الشعار

و « العصور » ترحب بشقيقتها « الرابطة الشرقية » وترجو لها تمام النجاح في نشر مبادئ هذه الجمعية بين أمم الشرق

وما كنا ننتظر مناشدة متكلم الجمعية لرجل الاقلام كي ينتقدوا المجلة بصراحة انقول كلمتنا . لان مبدأ العصور دائماً هو افهام قارئها حقيقة ما تحويه المطبوعات من مادة سواء كانت جيدة أو غير جيدة . وانا نلاحظ ان المجلة متنوعة المواضيع لدرجة لا يعمل معها القارئ وانها ترمى إلى تعزيد حركة التجديد في الشرق كما وان لها مراسلون في بعض البلدان الشرقية وأملنا أن نعمل مراسليها شيئاً فشيئاً في بقية الاقطار

وقد نصت الجمعية في قانونها على أن المجادلات الدينية والمنازعات السياسية خارجة عن حدود وظيفتها ولكن هناك شبه اضطباع بالصيغة الإسلامية لا أعرف إذا كان قد نتج عفوا أو قصدا ولكنه يجدر بالجمعية محاولة أن تكون شرقية لا أكثر ولا أقل وأن تعمل على جذب عدد أكثر من المسيحيين وإن تعتد صلاتها مع اليهود والبوذيين وغيرهم لأن الشرق يحوى جماعات متعددة الأديان وأنا نؤمل أن لا تنجح الجمعية لتعزيز رأى سياسى سواء أفى مصر أم فى الخارج إذ يجب عليها أن تظل دائماً فوق التحزب وأن تجذب نحوها أتباع مختلف الأحزاب فأنها تعمل للعموم وليس لفئات مخصوصة ونحن ننتظر أن نرى فى القريب العاجل عدة طبعات للرابطة الشرقية بلغات الشرق المختلفة وعندها يتيسر لهذه الجمعية المهمة تنفيذ برنامجها الواسع المملوء بالمشاريع المفيدة

الى الملحدین

ابرها الافواه الافاضل

سلاماً وتحية . وبعد فاني أرغب اليكم ان تقرؤا بتمعن ما يأتي :

حدد النحويون وعلماء اللغة العربية الاتحاد بأنه الكفر بالله وعدم الاقرار بوجوده . وهكذا الفرنسيون فانهم قالوا ان معنى الاتحاد —Atheisme— نفى وجود المبدع الاول لهذه الكائنات العجيبة فيتضح من هذا أن الحادكم الذي عنه تحامون منهصر في رأيكم عن وحدة الكون وانكم لا تؤمنون برب السماوات والارض من اتفقت الناس على عبادته . فادعواكم بانكم لا تقصدون معناه هذا فقط بل انكم ترغبون في تنوير افكار الناس كما يتركوا ما هم عليه من الجهالة والغباء فردد من حيث ان الاتحاد بمعناه المعروف لا يعنى مثل هذا الاصلاح بل يعاكسه على خط مستقيم واليكم السبب —

ان العوامل التي قادتكم الى اعتناق الاتحاد ليست هي عوامل إحادية بالمعنى الظاهر اى صحة نفى الخالق لان الحد الذي وصلتم اليه في رفيكم هو وحد غريب عن هدف عوامل الاتحاد ، بل لان هنالك في زوايا الكيان الاجتماعى مجموعة عوامل تكيف الافراد بصور تختلف عن الصور التي تكيفهم بها العوامل الاكثر شيوعاً وقوة . فهذه المجموعة العوامل في زوايا الكيان الاجتماعى هي التي دفعت بكم الى الخروج عن حدود الاعتقادات العمومية فرأيتم مارأيتم من الخرافات والاهام وكنفرتهم بآله الجماعة . من الناس وقلتم ان مصدر هذه الشرور بقاء الحالة على ما هي فرحتهم تنادون بغير ترو ببطلان الاديان رغبة منكم في نفع الناس واعلاء مستواهم الادبي . قال الاتحاد هنا لا دخل له برفيكم لانكم لو فتشتم في نواحي حياتكم لرأيتم ان الفضل في تحريركم لا يرجع اليه لأنكم قد اعتنقتموه بعد خروجكم عن حد الحياة العمومية ونبذكم الخرافات والاهام . فاذا رغبتم الى الناس ان يكونوا مثلكم

أكثر حرية وجرأة وجب عليكم ان ترشدوهم الى تلك الناحية التي تكيتم فيها
وصرتم قادرين على طرح الاعتقادات العمومية جانباً اما انكم تهاجمونهم
بهذا النوع من المبادئ وتريدون منهم ان يمشوكم في الطريق الذي تسلكون
فعمل لا يدل على التعقل وبعد النظر لان الناس لو ألدوا لما قدروا على فهم ما تفهمون
وعلى عمل ما تعملون حيث ان السر ليس في المبادئ التي تعتنق بل في العوامل
التي تكيف الانسان وتتحكم في مصيره ومنحاه . ولما كان الاتحاد بمعناه
المعروف صفة للرزائل والنقائص فان الدعوة اليه لا تفيد شيئاً بل تنفر الناس من
المبشرين به وان كانوا أحسن القوم لان الجماعات لا تفكر ولا تبحث والناس
تسير حسب آراء الجماعات . هذا ما دعاني أن أرد على البعض منكم عند ما نادوا
به على صفحات هذه المجلة لاني مع معرفتي ان الذي تعبد به الناس هو من اختراعها
فاني أعرف ان الانسان لا يقدر أن يعيش بدون آلهة وأوهام وكما تطورت تطورت
هذه الآلهة والأوهام معه حتى عند ما يخلف حياة الجماعات يخلف معها هذه السخافات
ولا يعود يلتفت اليها .

ابراهيم حداد

بيروت ١٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨

أبسمي

أبسمي للبدر في طلعتة عله يجذبنا نحو السماء
 وأبسمي للنجم في حيرته عله يمنحنا نور الصفاء
 وأبسمي للزهر في بهجته نكتسب منه شذاه والرواء
 وأبسمي لليل في ظلمته وبلوج الصبح فالكل سواء
 وأبسمي لي يشرق النور بأفاق حياتي
 ويعني طير آمالي عذب النغمات
 أبسمي ! أبسمي ! أبسمي !

قد رأيت الزهر يبدو من تلافيف الكمام
 وسمعت الطير تشدو في ترو وانسجام
 من ثناياك رأيت النور فاجتزت الطريق
 وشربت النور خمرًا في كؤوس من عقيق
 ودخلت المعبد القدسي، والسكون غريق
 في الدجى . فتقدمت ، وصليت صلاتي
 فأبسمي لي يشرق النور بأفاق حياتي
 أبسمي ! أبسمي ! أبسمي !

قد رأيت البدر يعلو فوق هاتيك الربى
 وجمال الليل يجلو عن فؤادي الكربا
 فتخفيت عن النفس ، وجردت فؤادي
 من ثياب اللأمانى شابهها بعض الفساد
 فإذا بي أسمع الروح تناجي ، وتنادي
 إصعد الآن الى عرش على الدرجات

فابسمي لي يشرق النور بأفق حياتي
إبسمي ! إبسمي ! إبسمي

لم أكّد أبغ آفاق الجمال
وأراني تحت ظل من كمال
راكماً للحب . . . فياض الجلال
لم أكّد أبلغها حتى احتواني
مشرق الآمال، وضاح الأمان

وإذا بي بين أنوار . وأنعام . وغيد
وإله الشعر يلقي بينها هذا النشيد
« أنظر الأنوار تبدو من نواحي العرش فخرا »
« فاجعل الآمال كساً واشرب الأنوار خمرا »
« واملاً الآفاق شدواً وانشد الأفلاك شعرا »
« إنها تبسم لك إنها تبسم لك »

ورأيت الفجر يمشي فوق أشلاء الظلام
ورأيت النور يفشي سر هاتيك الأنام
ورأيت النوم يغري الأنجما
وهي ترعى الأفق بالطرف الكليل
فابسمي للفجر أيضاً - مثلاً
تبسمين الآن ، فالفجر جميل
إبسمي ! إبسمي ! إبسمي !

حسن كامل الصيرفي

تأملات في الأدب والحياة

لما فرغت من درس كتاب « أميل لود فيج » الذي سماه « بن الانسان » وخصه بالترجمة عن حياة عيسى بن مريم العظيم ، تابعت درس الموضوع من الوجهة التاريخية ، واشغف أحسنه وميل شديد الى الوقوف على تاريخ ذلك العصر ، عصر الانبياء وعصر المعجزات . ولا أنكر القارىء أنى كنت أشعر بميل شديد إلى قراءة الحوادث المتتابعة في حياة عيسى وحياة الذين عاصروه ، وعلى الأخص عند ما كنت أقع على تحليل معجزة من المعجزات التى تنسب الى عيسى أو عمل من الاعمال العظيمة التى تروى عنه ، أو قول مأثور من أقواله التى قامت عليها النصرانية .

قرأت عن معجزات عيسى أنه أسكن الريح وأنه شفى المرضى وأنه أحيى الموتى . وقرأت أنه أعاد الحياة الى جثة رجل كانت قد بدأت فى التعفن بالفعل . وإسكنى لا أ كذب القارىء فى شيء . فأنى اذ كنت أقرأ هذه الروايات كنت أشعر شعوراً خفياً يزيدنى اكباباً على درسها وطول التأمل منها . ولعل الانسان فيه بالفطرة نزعة ترغبه في الوقوف على المستحيلات وكيف انشأها العقول البشرية غير أنى ما فطنت الى شيء من أسرار النصرانية بعد أن مررت على كل تلك الخوارق التى لا تصدقها عقول بشرية لم يفتكت فتلتها ولم تغزوها التقاليد . بل فطنت الى سر أسرارها عندما قرأت رواية عيسى في ابراء نفس « موسى » انحطت الى الدرك الاسفل من الرذائل بأن تابت توبة صادقة فخبأها الغفران . ولا جرم أن ابراء النفس معجزة أين منها ابراء الاجسام ورد الأرواح الى الأبدان

نريد أن يكون لنا لغة علمية بالمعنى الصحيح ونبحث في كيفية الوصول الى هذه الغاية السامية . ولا شبهة مطلقاً في أن اللغة العربية قد سدت حاجات الأدب والعلم والفن في العصور الوسطى . ولا ريبه أيضاً في أنها كافية لسد حاجات هذه النزعات العقلية لو أن العقل البشري قد وقف من التقدم عند الحد الذي بلغه العرب حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي وهو القرن الذي شهد آخر من ظهر من كبار مؤلفي العرب في أول انحلال المدنية الإسلامية . غير أن هذا العصر كما شهد بدأ انحلال المدنية الإسلامية شهد كذلك تكوين أول جرثومة فُرخت في جو أوروبا لتكون نواة المدنية الغربية . فقد انتقلت حينذاك إلى جامعات أوروبا مبادئ أرسطو طاليس منقولة عن كتاب العرب وأخصهم بن رشد بطريق طلاب الغرب الذين كانوا يفدون من أوروبا ليتلقوا العلم في المعاهد العربية الإسلامية كما نفد نحن اليوم إلى أوروبا نتلقى العلم في جامعاتها الكبرى .

على أننا إذا ذكرنا أن القرن الثالث عشر الميلادي هو بدء انحلال المدنية الإسلامية فأنما نذكر هذا تجاوزاً لأننا نعتقد أن المدينة الإسلامية حملت في تضاعيفها بزور الانحلال منذ أول تكوينها . غير أن الضيعة التي اصطفت بها والصورة التي لا بست المنشآت المادية والأدبية والعلمية في مدينة الإسلام قد اخفت كثيراً من عوامل الانحلال التي ظلت تعمل على هدم كيانتها منذ أول تكوينها

على أني أعتقد أن نزعة العرب إلى « تعريب » كل ما وصلت إليه يدهم من المستحدثات المادية والفنية ومجاراته الذين استعربوا من الفرس والروم وغيرهما من الأمم لهم في هذا المضمار كان أعظم ستر تسترت وراءه عوامل الانحلال التي بثت من تضاعيف تلك المدينة . وهذه الحقيقة تجعلني أميل كل الميل إلى القول بأننا إذا أردنا أن نكون لغة علمية صحيحة فلواجب علينا أن نجاري الأساليب التي اتبعتها العرب في عصور نهضتهم الأولى . وهي ولا شك

أساليب أرخت نزعاً العقول في ذلك الزمان فلم أعندى من هذه الوجهة أعظم المبررات .
على أن نهضة العرب العلمية الادبية كانت اذا قيست بنهضة النصرانية في
أوروبا مصبوغة بالكثير من ضروب التسامح الديني والعقلي . لهذا تجد أن
العرب لم يأنقوا من التعريب في المفردات ، بل ضحوا كثيراً من أساليب
اللغة في سبيل التعبير الخرفي عن المعاني التي نقلوها إلى لغتهم في الفلسفة
والعلوم . وهذا التطرف ان كان غير محدد الأثر ولم يقد العربية فائدة كبرى
غير أنه يصح ان يتخذ دليلاً على تحرر عقولهم وعلى استعدادهم لتضحية أساليب
اللغة في سبيل تنمية الفهم والمعرفة . والبرهان الأقوى على هذا تلك التراجم
التي خرجت من يد حنين اسحاق واسحاق ابنه وحبيش الاعسم وغيرهم من
المترجمين في العصر العباسي . تلك التراجم التي ضحيت فيها اللغة العربية
وأساليبها أي تضحية ابتغاء النقل على أية صورة .

هذا التسامح الكبير كان مضرراً باللغة ولكنه كان مفيداً في تربية نشء
اصطبغ بالصبغة اليونانية السريانية واستطاع بعد قليل تكوين مدارس لها
أثرها الخالد على تاريخ الفكر .

أما اليوم فلسنا في حاجة الى تضحية كثير من أسلوب اللغة على ما اعتقد .
والسبب في هذا على ما يخيّل الى أننا أوقف على أسرار اللغات التي نترجم عنها
من مترجمي العصر العباسي وغيره من العصور ، ولذا نلاحظ أن اللغة العربية
بين أيدينا أطوع في التعبير واساس في القياد ، لا لاننا أوقف منهم على أسرارها
بل لاننا أوقف على أسرار اللغات التي تنقل منها .

غير أنه ينقصنا شيء واحد توافرت لدى العرب أسبابه . ينقصنا في ناحية
المراجع العليا التشجيع وينقصنا في ناحية أنفسنا حبنا للعلم لذاته لالنتائج
المادية . أما اذا توافرت لدينا الأسباب فأننا نستطيع أن نكون لغة علمية عربية
صحيحة تكفي حاجات العلم الحديث .

يقولون بان الشرق تنقصه الاخلاق ويقولون بانه ينقصه الاتقان . كما يقولون بان الشرق في حاجة الى اصلاح ذات النفوس على وجه عام . غير انى ارى أننا احوج ما نكون من هذه الاشياء الى تشرب روح الفن . وما اقصد بروح الفن دراسته ومعرفة تاريخه . ولا اقصد أن يكون الفن حرفة عند جميع الناس او مرتزقاً أو مهنة يمتهنونها . بل اقصد بتشرب روح الفن ان يصبح كل انسان فناناً بميله المكتسبة .

يجب ان يتعود الشرقيون النظر الى اعمالهم نظر الفنان الى فنه . و بذلك يكتسبون روح الاتقان ويحبون العمل لا لاجل مزاياه المادية أو عوائده المادية ، بل يحبونه كفن يجب اتقانه اولاً . ولا جرم أن ذلك يعود بكسب مادي مضعف ذلك لان الناس يحبون الفن ويحبون الجمال بغرائهم . فاذا تسربت روح الفن وروح الجمال الى المنتوجات والمستحدثات عاش الفن وأزهر وأصبح الفن قاعدة الحياة .

*

* *

الفرق بين الانسان في عصوره الاولى والمصر الحاضر من حيث النزعات العقلية ، أنه في ازمانه الغابرة كان يحتاج الى الاعتقاد ، اما الآن فانه يحتاج الى الشك .

١- كتفى الانسان في عصوره الاولى بان يعمل الاشياء تعليمات ظاهرية بما أوحى اليه تصوره . اما في العصر الحاضر فان النقد قد استوى على عرش العقل البشرى حاكماً بامرهِ . ولهذا فنحن احوج الآن الى الشك منا الى الاعتقاد

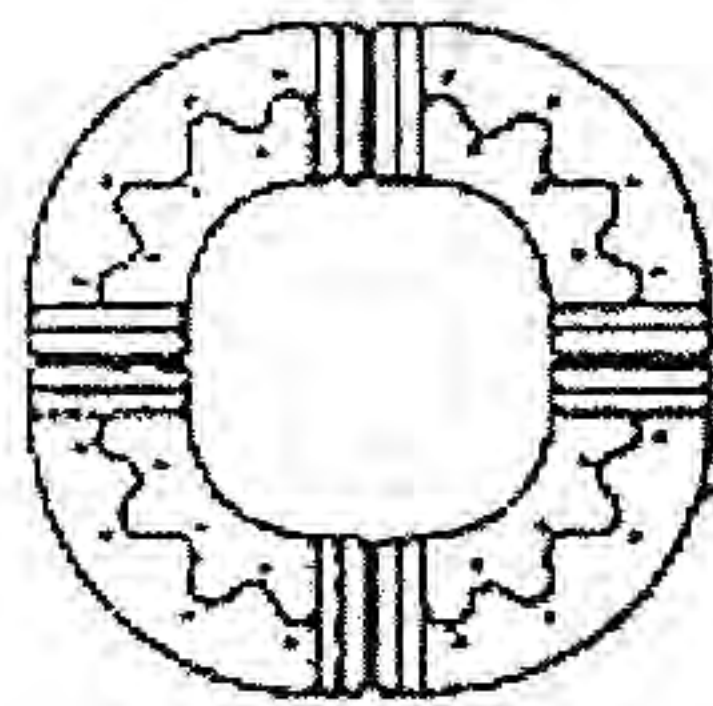
*

* *

بين النزعة الدينية وفكرة وجود الله رابطة عقلية قوية . فانه لا يمكن أن تعثر على دين من تخير أن تقع فيه على فكرة وجود خالق . ولقد دارت المعركة قديماً بين العلم واللاهوت وما نتصد به سوى المذاهب الدينية التي أصبحت في

خالفنان الذى يخرج لك من ريشته او ازمياله صور. او تمثالا يبهجك جماله او
 المعنى الذى يلقى على سمعك مقطوعة تطير بك الى عالم الأثير، لا يفضل عندي
 فنان يخرج لك صورة تمثل منتهى البشاعة والقبح . ليست قدرة الاول على
 تصوير الجمال تناظرها قدرة الثانى على تصوير القبح ؟ واذا كانت الملاحظة محبوبة
 عند الناس والقبح مبعوض فذلك راجع الى الميول البشرية، لا الى الفن من حيث
 هو قدرة على تصوير مختلف صور الحياة

فيانو بواس



نظرية السبب الاول الشامل

أو

النسبية

للعلامة ا. انيشتين

النسبية هي الجمع بين عدة قواعد نظمات وبين مجموعة رحاب المحسوسات طبيعية مشتركة في أية طبيعة يسمح بأدراكها علم حساب هذه المحسوسات. هذه القاعدة للنظمات توجد نظرية حقيقة خارجة عن حدود كل تأويل. فإذا كانت الاختبارات التي تثبتها حقيقة هذه النظرية صحيحة فيجب الاقرار بان هذه النظرية ستبقى صحيحة ونفس الشيء اذا كانت الملاحظات التي تبديها هي أيضاً معقولة عما خص الآراء الغير السديدة والغير الصحيحة ان كان كلهما أو قسماً منها. وهذا أيضاً ما أثبتته «فرسنل Fresnel» في عدة محسوسات بصرية وفي الاصل العنصرى الرتبى المعلن للنسبة التي تبقى خارجة عن حدود حقيقة النظريات المعلنة لتفسير الميكانيكيات أو المغناطيسية الكهربية للنور :

العلامة « انيشتين » قد أوجد قوانين تبين تأويل أو تفسير حركة عطارد، أقرب السيارات الى الشمس، ونقلها الى ظاهر النجوم الثابتة والى الشمس وما جاورها نقلاً يدرك بالبصر عندما تكون الشمس مكسوفة. وهذه القاعدة للقوانين تشمل أيضاً في نفس الدرجة الحقيقة العامة القائلة بأن قوانين «فرسنل» في البصرات تبقى أبداً الدهر في نفس الوضعية. وان الملاحظات الجديدة لا تنفي صحة الملاحظات القديمة في عطارد أو عندما كسفت الشمس سنة ١٩١٩. فالحقيقة العامة لقواعد القوانين هذه هي خارجة عن حدود الظفر أو الخسارة في غير تجارب أو ملاحظات كما وقع في آخر كتاب العلامة « انيشتين » عندما بحث عن نقل الخطوط. فإذا كانت هذه التجارب

والملاحظات لا تقود الى النتيجة المبتغاة فلا يعنى ان النظرية العمومية للسبب الاول الشامل لا صحة لها لان قواعد القوانين التى طابقت الامتحانات التى تحققت بوجود عديدة ستبقى حتى يوجد غير تفسير لها. فالقيمة العامة لقوانين العلامة « انيشتين » كبيرة ولا جدال فى ذلك فانبثقت من الانتقادات الفلسفية المبنية على المبادئ والانتراحتات التى لا طائل تحتها .

اذا كانت القيمة العامة والعملية لهذه القوانين لا جدال فيها فيجب المعرفة فيما اذا كان أصل تطبيقها الحقيقي محدودا . كل الحقائق تستوفى عامل حب الاطلاع ولكن ليست كلها مفيدة فى كل الوجوه لانه يوجد نفس النسبة العددية التى بين نظرية النسبية والميكانيكية الاعتيادية بين كروية الارض وفن المعمارى ، والمعروف ان المهندسين ، وهم كبقية الناس المتمدينين ، يتعاملون فى صغرهم ان الارض تشبه الكرة ولكن عندما يشبون ويتعاملون اصول مهنتهم ويرغبون فى بناء بيت او مخزن لا يهتمون الا بهذه الحقيقة وهى - ان الخطوط العمودية متوازية - فلا يجب ان يقال ان هذا غير صحيح او انه غير مدقق لان هذا التلفظ المضاد لاشائع من الآراء يجعل صاحبه سخريه بين الناس ، ولكن لا يجب التوقف عن اثبات الحقيقة خوفا من الناس بل يجب الجهر بان الغلط لا يجب ان يوجد . واذا وجد فهو بكل معنى الكلمة باطل : يوجد نفس العلاقة التى بين اقيسة البيت وكروية الارض ، بين اقوى سرعة الميكانيكيات ، كسرعة القذائف او ذرات الغاز ، وبين سرعة النور ، فلا يجب التوقف عن التصريح بان المختصين بعلم سرعة المواد المقدوفة كبقية الناس عندهم كل المؤهلات لفهم نظرية السبب الاول الشامل . ولكن هذه المؤهلات ينقصها شئ مهم وهو المنفعة القريبة وحكمهم حكم كروية الارض والمهندسين الذين يرتكبون الخطأ بالتغافل عن حدود الميكانيكية المكملة لنظرية السبب الاول الشامل لان هذه الحدود هى التى تصل بين السبب الاول الناتج المحدود والسبب الاول الشامل الغير محدود ، فيجب القول ليس فقط بكروية الارض بل بتغير انحاء اهليليجيتها « Ellipsoide » فى حال

معرفتهم هذه التغيرات وابتدائهم في التحقيق العلمى سيكونون أكثر رغبة عند ما يقولون ان الارض كروية وليست مسطحة :

في الميكانيكيات السماوية نفسها حيث السرعات أعظم جداً مما هي عليها في الميكانيكية الارضية لا تتحول أكثرية الحساب المطاوعة « Calculus » الى لاشيء بتدخل الازمنة الممكدة التي ارتاها العلامة « انيشتين » هذا فقط في أقل عدد الحالات حيث هذه الازمنة تكون حقيقية فالخص بعلم انفلاك يجب أن يعرف الواقع لكنه لا يلتفت اليه عادة بل يتركه جانباً كأنه لا قيمة له . فالقيمة العملية التي لا جدال فيها والقيمة العملية المحدودة هما أول النتائج التي تبين الخلاصة النقية لكن هذه الخلاصة ليست قريبة من افهام الناس لانها النقطة المهمة في النظرية والصورة المصغرة لها والمعينة الوحيدة لقيمتها ليس بالنتائج الملخصة من القوانين بل بالملاحظات الظاهرة الغريبة من حيث اعلانها لأول مرة . فهل نحن حقيقة تجاه نظرية جديدة عن العالم تقلب عدة أسس في المعرفة ويجب أن نعدّها أبدية ؟؟؟ يقول المسيو « اميل بورل Emil Borel » في المقدمة التي كتبها لكتاب العلامة « انيشتين » الترجمة الفرنسية أنه يسمح لنفسه برنض الجواب على عدة مسائل عمومية من حيث أسبقيتها المحدودة في المسافة والزمان والتي تدعنا نتساءل عما اذا كانت النظرية الجديدة تشمل كل نواحي العالم التي ندرکها وانها ستدوم أجيالاً . ويقول أيضاً انه يعتقد انه اذا كان يوجد كائنات صغيرة في المجرة بالنسبة الى تقط الماء التي نحددها فسيكون معجب بنفسه بطلبه حذف الملاحظات المعمولة عن باطن نقطة الماء الذي عليه يبنى أساس علم الكرة الارضية ومعادنها وحيوانها ونباتها وأيضاً انه ليس بمستحيل أن يكون اعجابه بالعلامة « انيشتين » مانع بمنعه عن تعليق الحواشي على فكرته في ان العالم يرى دفعة واحدة كما في الفصل ٣٠ و ٣١ و ٣٢ وما قاله في غير فصول مما هو ليس بجديد ولا غريب . وقال أيضاً يجب على كل حال ان نعرف ان العلامة « انيشتين » هو العالم الوحيد الذي ترفع عن الميول السيئة وان فيه كل التواضع مادامنا نفتش

ونعمل قبل ان نفى ما علينا له من دين . فآبواب « لاجرانج Lagrange » و « لابلاس Laplace » قد اعتقدوا ان الميكانيكية التي قال بها « غاليليو Galileo » و « نيوتن Newton » هي أبدية . وهاهي الآن تنتقض في الدور الاول تقريباً فالنظريات الاكمل التي كانت وضعت ما كانت ترى لان نظريات وقتية . وهاهي الآن وقد حفظتها لنا الاجيال تظهر كأمن ماورثناه عن سبقتنا ، وهذا الحفظ الذي يظهر مجرداً عمل دفعة واحدة . فالمسائل تساعد المعرفة على الظهور فيما إذا كانت قواعد نظرية السبب الأول عندها في نفس الوقت نفس القيمة العلمية التي توجد لها الخلاصة وفيما إذا وجب أن تعطى هذه الخلاصة أهمية في العلوم كالأهمية التي كانت لقوانين « نيوتن » منذ « نين خلت . وقد علمنا « بوانكاريه Poincaré » أنه يوجد طريقة أخرى للحفظ وهي أن بعض قواعد الانظمة والاعداد التي لا تحصى للتعبير والاختيارات لهذه التعبيرات لا تبين طريقة واحدة معقولة مع أنها تسير معها جنباً الى جنب . ومع هذه كل فقد قال ان هذه الطريقة تدرك بسهولة وقد طبقها على حركة دروان الارض حول الشمس واطلقها اخيراً على التعبير عن انكساره الغير الصحيحة ولم يتوقف عن القول بان حركة دروان الارض حول الشمس في حالة يمكننا تصويرها في كيان العالم الحسى — فاذا كان هذا فلا مانع يمنعنا عن استخدام لغة « بوانكاريه » التي تساعد على التعبير من حيث وضوحها ودقتها والقول بان نظرية النسبية تظهر في الوقت الحاضر سهلة للغاية :

في القرن التاسع عشر كان اكثر العلماء رفعة يجمعون بين النظريات والافتراضات لتثبيت صحة ما كانوا يسمونه — حركات المادق والاثير — وللتعبير عن عدة خواص المحسوسات النيرة . هذا اعتقاد باطل ومع أن لاصحة له البتة فقد بقي حتى قام « لورنتز فيتراجرالد L. Fitzgerald » وابصر النور الحقيقي لأول مرة في ليل العلم المدهم لكن كان مازال يوجد صعوبات جمة باقية من جهة المحسوسات وأهميتها والجذب العمومي الشامل فيما اذا

كان سيبقى في المعلوم كشرعية خفية وغير مدركة أى بدون ارتباط حقيقي مع النظريات العامة الطبيعية — فنظرية السبب الاول الشامل توضح هـ هذا الامر من حيث انها تملك هذا السر وهى بكل معنى الكلمة اكثر قربا من الأفهام من بقية النظريات الطبيعية المعروفة ولهذا ستبقى الى أبد الدهر

وقال المسيو أميل بورل أنه يعرف أن أخصام العلامة انيشتين سيتساءلون عما اذا كان من اللازم اللازب قاب أحسن آرائنا وأصوبها لمعرفة هذه النظرية وعما اذا لم يكن بالامكان الجمع بينها وبين الآراء القديمة بواسطة تحويل قليل يباحق هذه الاخيرة وسيقولون أما علمنا بوانكاره ان كل قواعد النظمات تهر دائماً عن لانهاية التواعد فكيف بواسطة هذه القواعد للنظمات ثبت أبدية هذه النظرية مع أن كل ظواهرها تدل على غرابتها وبعدها عن الحقيقة

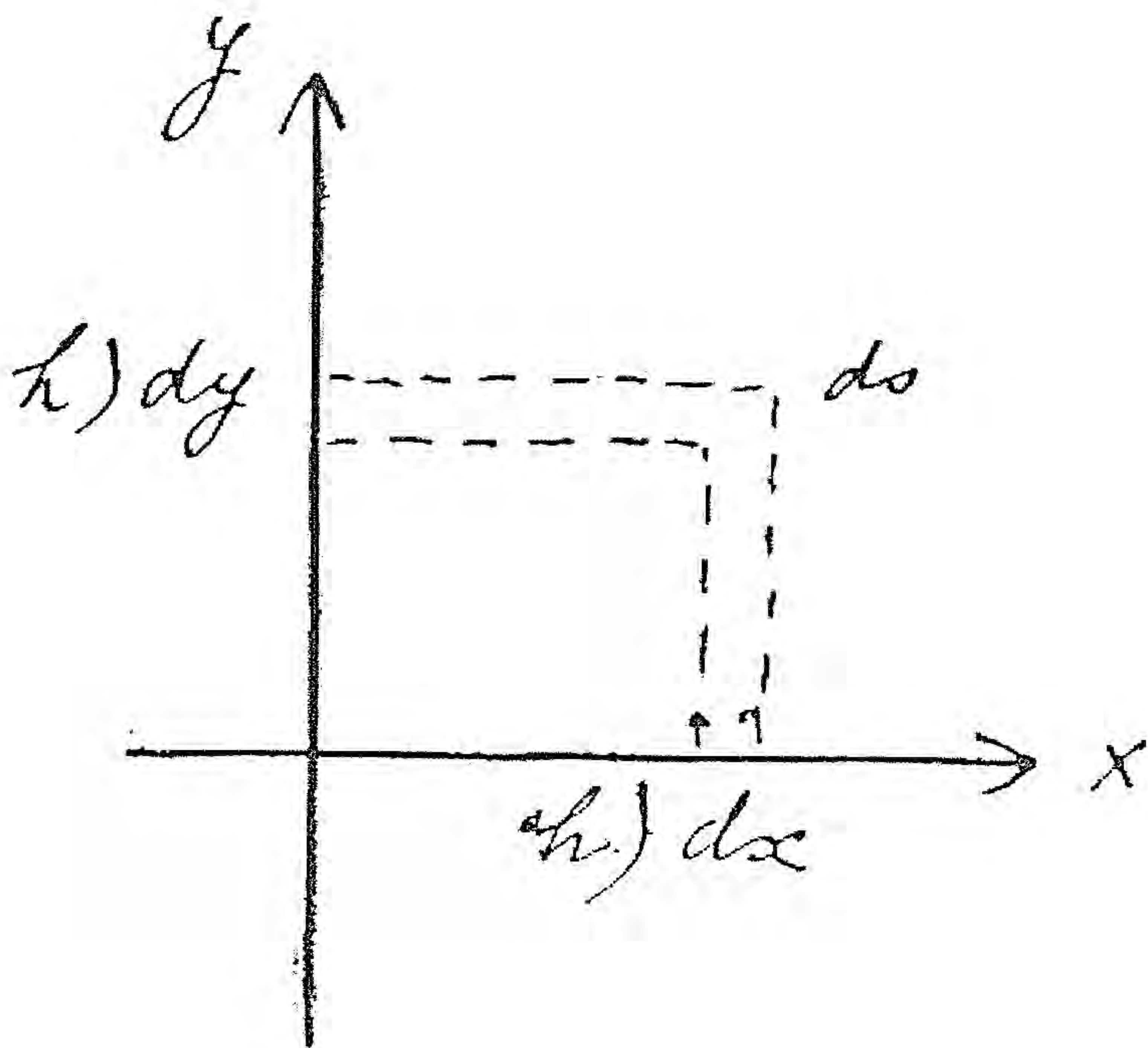
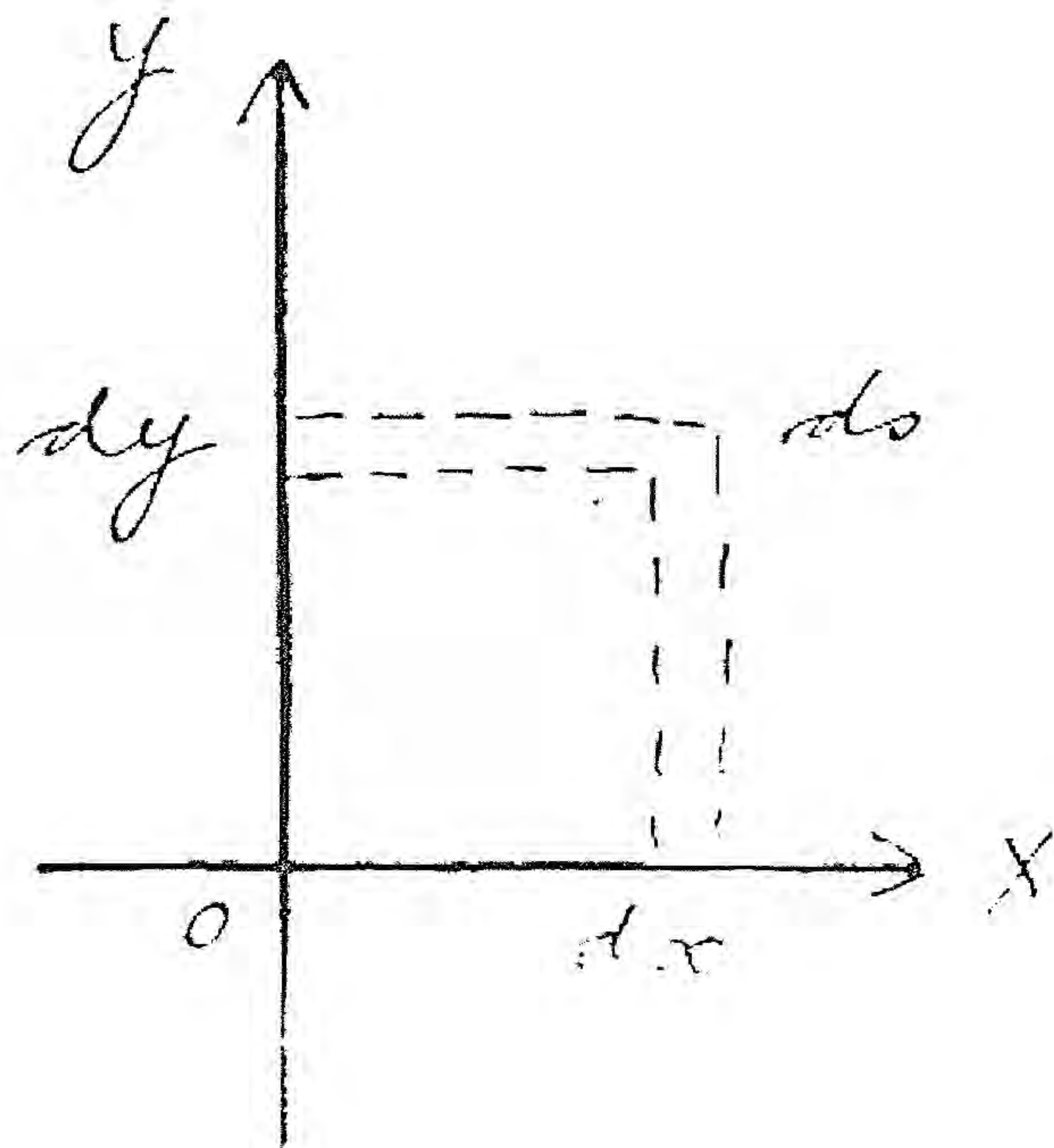
هذه الاعتراضات لا يمكن أن يجاب عليها من ناحية عسرة الفهم لانها أصعب من قاعدة المساواة حيث ترمى النظرية العمومية لاسبب الاول لزيادة مسارفنا عن الوقت . ويمكن أن تكون أصعب من قاعدة المساواة الميكانيكية — ماوية حيث تظهر الأرض كأنها ساكنة ولكن ربما ظهر التعبير النظرى كتمهدة واضحة لقضية صعبة الادراك وغريبة من حيث جديتها وأهميتها ما جرب انسان أن يفتش بدافع تشويق نظريات بوانكاره عن التغيرات يجب أن تعمل في قانون الميكانيكية الذى تدرسه الجامعات وفي قانون نيوتن لى تدبر الحركات الظاهرة في النظام الشمسى عن سكون الارض وأيضاً لم يدل واحد ممن درسوا علم المساواة بين الكميات «Equations» على وجود نظرية تدبر كل التعبير عن هذه المساواة الا العلامة انيشتين في نظريته . فقارئو كتاب العلامة انيشتين سيقولون كيف يمكن أن تكون مملكة العقل التى تقودنا للتخيل باننا حائزون على معرفة الوقت من ذاتيتنا خارج حدود المكان حسنة باعتبارها بسيطة وقديمة وشاملة على عدم صحة ملاحظاتها السائرة المعمولة في كل أدوار التطور البشرى ؟ لان هذه الملاحظات باذلة وقيمتها قليلة تلك التى تقول إن الارض مسطحة

وترجح تشبيه الخطوط العمودية المكونة من نقط قريبة لبعضها
بالخطوط المتوازية المعمولة من اتباع رأى القائل بالتوازي في الخطوط العمودية
ولكن فالنتيجة النهائية لا تعرف إلا بواسطة تأمل صحيح في مجموعة الموجودات
وان كان هذا التأمل من ملكة العقل الضعيف لانا تقدر بواسطة التأمل
ان نعرف صدور الوقت العجيب .

ويقول أيضاً المسيو اميل بورل لنلاحظ مثلاً رسماً الاصول فيه عندها
الشكل الاصلى — « $ds^2 = dx^2 + dy^2$ » فاذا افترضنا أن هذا الرسم
تحقق في مادة لينة دقيقة جداً وحملت كل نقطة منه حالة طقس مختلفة فاصوله
الخطوطية ستصير « $ds^2 = h^2(dx^2 + dy^2)$ » حيث « h » تبين رتبة مكونة
من شئ من « x » وشئ من « y » والاصول الخطوطية حسب الشكل
الثاني تطابق اى سطح كان :

(أنظر الشكاين في صحيفة ٤٣٩)

فاذا أردنا ان نمسح (ارض أى سطح نريده تكون قد أخطأنا فيما
لو استخدمنا اقيسة تكون الاعداد التى نضعها أمام الكمية المضروبة
للتوسيع « Coefficient » هي نسبها التى للمادة التى توجد السطح لانا لا نرى
شيئاً من تشويه صورة المادة فالنسبية لا تعمل الخطأ لانها تبين وجود مكان
للتمييز فى نفس سطح الشكل الخطى « Lineaire » للملاحظ الاقدار
الخارجية المرتب القواعد الغير الممكن تحويرها وللملاحظ الاقدار الداخلية
الذى لا يرتب الا القواعد الممكن تحويرها وفي البراهين التى تعمل حسب
الشكل ثمرة واحد والشكل ثمرة اثنين، لا يبدل حالة الزوايا التشويه الحاصل فى كل
نقطة بواسطة الامتداد الا انه يجب الالتفات الى غير محسوسات طبيعية يكون
انكماشها كما قال « لوزنتر » يبدل الطول حسب سمتة Azimut وتكون كفرع
من المواد التى تبدل حالة الزوايا بكل الاوجه — انما اذا كنت الحالة الطبيعية
تؤثر فى الشكل فى الكميات المقدرة وفى الآلات التى تقدر فمن الواضح أن
الملاحظ المرضي لا يراها كما هى دائماً . فبوتكاره اظهر هذا الامر فى مواضع عديدة



وفي صور مختلفة وهو مطابق لروح نظرية النسبية حيث تقول إن شرائع الكوان
هي خارجة عن حدود الحركة أو أبدية القواعد في الأقيسة الداخلية نجد دائماً
أن الفسحة التي نحددها عندها كل الأصول التي قال بها « أوكليد » فمقر
الخطوط المختلفة لا يمكن أن يدرك أن من الملاحظ الخارجي الموجود في حالة

غير مقيدة وهذا الملاحظ الخارجى غير موجود . هذه هي الصعوبة التى تظهر للذى يقرأ اول مرة فى كتاب العلامة انيشتاين فصل « المولىسك » والجواب عليها سهل جدا . فالملاحظ الخارجى لا يمكن ان يوجد ابدا اذا لم نرتب الاقيسة الهندسية للاجسام الجامدة فهدف نظرية النسبة هو الجمع مرة واحدة بين الهندسة « Geometrie » والقوى المحركة الميكانيكية « Mecanique » والكهربائية المغناطيسية « Electro-Magnetique » وعلم البصريات « Optique » وناموس الاثقال « Gravitation » وهذه الثلاث الاخير يعرفها العالم الطبيعى والفلكى لانها تتحقق بالتثبت مرة بعد أخرى . ويقول المسيو اميل بورل انه لا يشك بصحة الاساليب الغريبة لعلم الحساب المختلف التى قال بها « ريشى Ricci » ولا فيسيفيتا « Levicivita » والى التى تؤدى الى احسن وسيلة توضح خلاصة نظرية النسبية . وهذه الاساليب ليست شائعة ولكنها قريبة من الافهام من حيث ان « داربو Darboux » قال عنها انها احسن نموذج فى نظريته عن السطوح السطوح الظاهرة وانها ضرورية للوصول الى منتهى خلاصة التطبيق . فالبحت فى المسائل العمالية الميكانيكية لا يدل دائماً على الخروج عن حد المساواة القانونية وانه محصور فى الكهربائية الاصطلاحية « Electrotechnique » ولا يتعداها الى المساواة التى قال بها ماكسويل « Maxwell » وهذه التحقيقات تقال كثيراً من القيمة العمومية للمساواة القانونية والمساواة التى قال بها ماكسويل ولكنها لا تقال شيئاً من قيمة نظرية السبب الاول الشامل مما ترمى اليه من وجود حالات خصوصية وان كانت هذه الحالات تدرس فى الاساليب العمومية أحياناً بكل بساطة وبطرق أصح مما فى الاساليب العمومية الشائعة . ويزيد المسيو اميل بورل على قوله بأنه يسر باعلانه وفاء النذر الذى نذره المتشوقون لرؤية تكميل البناء الجميل الذى اشتغل فيه بونكاره ولورنتز وكله العلامة انيشتاين .

الشاكية

هي آلام نفسية أبقيتها كما جاءت أواجاً متلاحقة من
غير تنسيق لأنى أحسبها فى شكلها هذا أقرب الى
اندفاعات التفكير وفورات النفس

يتساوى غدى ويومى وأمسى	معدنى ردى فاهبط رمسى
ما لاضواء فجره من بحس (١)	جئت فيه كل دهرى ليل
أبدأ مصبح كما أنا ممسى	ظامة فوق ظامة أنا فيها
تى وفقدان الحس مالا يؤسى	تأبى بفقدى الحس فى مو
رت انى يوماً سأفقد حسى	عترى جسمى هزة كلما فكد

صخرة فى طريقها أى نكس	فى الخضم الطامى ستنكس فاكى
غرقا فهى اليوم تحمل رأى	لا تلمنى اذا خشيت عليها
سوف يحضر عوده بعد يأس	ترى عن عقيدة أن جسمى
وسأحسو عند النهاية كأبى	والكل امرىء من الموت كأس
إن أتى يومه لها متحدي	انها كأس اثره كل حى

ت بستين من سننى وخس	لم أزل بالحياة صباً وان نو
تحت شجراء بين ظل وشمس	اشمط الرأس مثاماً سار ماش
بين برء من السقام ونكس	أتملى الحياة فى كل يوم
انكرت عين من يرانى رعسى (٢)	تركتنى الايام أروع حتى

وعلى الشيخ الصيف يعدو بحر وعنيه الشتاء يسبحو بقمرس^(١)

قيل لى احمد على الشدائد والاول
يمنع الناس ما به يسعد الناس
ولت هذا ما لست افعل شيئاً
اننى ان حمدت ربى على ما
صاب رباهدى الورى ويدى^(٢)
س ويعطى جمّاً ويعرى ويكسى
منه حتى أردى فدىنى وتعبى
أتشكى منه أ كذب نفسى

طالما كنت آسياً للرزايا
فأرى ضاحكاً بجانب باك
كم على الارض قد خات من قرون
رب قبر عليه أطلقت دمعى
هو فى زورنى سلامى عليه
أيها الراحل الثوى سلام
هل ألفت الردى وهل أنت فى
انما النازلون حولك قوم
أخبرتهم عن الكلام المنايا
ابتغى فى جوار رمسك رسا
غير أن الايام المرء تضى
وأرى مأتماً بجانب عرس
وهى لا تشكو وحشة بعدائس
بعد ان طال للمدامع حبسى
وهو شعرى الذى يشايح حبسى
قل اذا كنت اليوم تسمع جرسى^(٣)
الموت كما لست ميتاً متأبى
قد خلوا من حقد يعاب وداس
ولقد كانوا قباها غير خرس
حبذا فى جوار رمسك رمسى

ازفت ساعى فانى سأردى
يشترون الجنان بالدم والناس
انما الدنيا جنة لسعيد
وسيردى معى رجائي ويأسى
ر وانى لا أشتريها بفلس
وجحيم لذى شقاء وبؤس

لك فيها الحياة ما طبت عيشا
ويح هذى الخراف ماذا تلاقى
ولقد يأتى الرجس من لا يرى الر
ارشدونى فقد ضللت سبيلى
ولقد أذكر الحوادث سوداً
كل شيء فلا تبعها ببخس
من ذئاب بين الحاضرة طلس
جس وان شنعوا عليه برجس
بين طرد للحادثات وعكس
فى ربوع على الفراتين درس

أيها الحب أنت أول حصى
أيها الحب أنت خيرى وشرى
رب حب نزعته من فؤادى
فى أحباب يهتفون بذكرى
وأراد الحساد خففى بأشيا
سائقونى بالسب حيناً ومروا
فى حياتى وأنت آخر حصى
أيها الحب أنت سعدى ونحى
فكأننى اقتاعته باليد خرسى
ثم أعداء يفرحون بتعصى
عزوها الى ترفع رأى
ثم كروا إلهاً يريدون نهى

ولقد عاب الجباله شعرى
لم انظم القصائد غراً
رب هاذ يظن الجهل منه
وحسود يعيب شعرى باسم
وحقود من الاسافل غر
شغبوا حتى قال منتهر لا
أى عار على ان قلت شعراً
لم أكن حتى اليوم أقرض إلا
نفر هجسهم يخالف هجسى
لابن آوى يوما أو ابنة عرس
انه جد نابه ، جد نطس (١)
مستعار فعل الجبان الأخرى
وائيم من الاصاغر نكس
تشغبوا فالأمير تحت الدرفس
لست فيه مقلداً غير نفسى
مابه كان قد تعلق حصى

تقبسوه من قول من سبقوهم ومن الشمس والكواكب قبدي

قد غرست التجديد في النشء حتى
في الأولى يحتفون حولي قد يخط
ومن الرزء ان أعاثر رهطا
انا إما حضرت فالقوم خرس
لا تؤمل اذا حذقت بقاء
لأنما ترتقي الشعوب بارغا
ما أرى أن يطيب لي العيش إلا
كاد لولا الجود يثمر غرسي
يء فهمي وليس يخطيء حدسي
لم يكن جنسهم يلائم جنسي
واذا لم أحضر فهم غير خرس
لبناء يعلى على غير أس
م رجال أولى دهاء وبأس
بين جن يبدون في زى انس

حبذا الليل والنهار وان كا
انما هذه الطبيعة سفر
هي سفر درسته وسأمنى
وستبقى نجومها بازغات
ثم تذكو مكنن نجوم
مرقت كالسهام تخرق أبعاء
انها لا تقر في جهة منه
ركبت رأسها تجوب الوامى
يا لها من عوالم كسفين
نا يجيئان بعد سعد بنحس
لم تجدد حروفها فوق طرس
مرغما قبل أن أتم درسي
ثم تنى بعد البزوغ بطمس
تراءى في موكب منبس
د فضاء حدوده فوق حدسي
كخيل فوق الصحاح شمس
أبها شيء من جنون ومس
قد جرت في بحر ولما ترس

ولعل الوجود من بعد حين
ولقد كنت بالطبيعة أشدو
ينجلي أمره لنا بعد لبس
يوم ما كان ذكرها غير همس

تخذت من نسج الخمائل سترًا
وتجلت لنا من الستر ترنو
يلها من حسناء أيقظت الح
اتغاضى عن وجهها ثم ألقى
وإذا ما ابتسمت من جذل بي
قدري يا حسناء بالله حبي
وإذا ما أردت حربًا وأزমে

إنه خير من ستور الدمقس
بعيون فيهن ومضة قدس
ب بما في عيونها من نعب
من حذار عليه نظرة خاس
فهي تجزى على ابتسامي بعيس
أنه حب بالغ غير وكس (١)

ت عداء رميت سيفي وترمي
ابن جلا

ليس الضوء مادة

تحية واحتراما . لم يقل لنا الاستاذ الزايع صاحب مجلة العصور في رده في عدد سبتمبر علي مقال الاستاذ سلامه موسى بعنوان « الحب والجمال » تحت أي فرع من فروع المادة الثلاثة يضع الضوء

ولست آمل في هذه العجالة أن أشارك حضرة الاستاذ المفكر بحقه وتذكيره ولا أن أنوب عن الاستاذ سلامه موسى في الرد عليه من جهة اثبات موضوعيه المادة اثباتاً علمياً لا حواسياً . وغاية ما أطمع فيه من حضرة أن يدلني على بحث علمي وتجارب عملية أجريت في اثبات ماديه الضوء . أما اذا كان برهانه الوحيد هو ما يستند عليه في تفسير قول سير جينز فاني لا أعدده كافياً للحكم علي أن الضوء مادة — حتى سير جينز لم يقل صراحة أن الضوء مادة . ولعله حين يقول أن الحرارة والضوء يحملان ثقلاً معيناً إنما يقصد بذلك معنى مجازياً وبطريق غير مباشر . أعني أن لتأثيريهما تأثيراً لا يقل عن تأثير المادة بالجاذبيه . ولا أظنه يعني خلاف ما تقصد نحن بمانع برعنه بتحول الطاقة Transformation of Eneergy إذ يمكننا بواسطة هذا التحول أن نستخدم كلا من الضوء أو الصوت كما نستخدم الحرارة سواء بسواء بواسطة تحويل الطاقة الحرارية الي طاقة صوتيه أو العكس بالعكس وأي من هذه الطاقات تعمل شغلاً لا يقل عن عمل المادة (البخار مثلاً) لهذا الشغل .

ولا أكون مخطئاً اذا ذكرت جملة في هذا الموضوع كان الدكتور جرای استاذ الكيمياء بمرستي الطب والصيدلة حتى انضمامهما للجامعة يلقيهما علينا عند الكلام في هذا الموضوع وهي :

One Must pay for energy as he pays for matter

أما من جهة قول سير جينز « أننا اذا حرقنا طنّاً من الفحم فانما نحصل علي جزء من ملايين من الرطل ضوء أو حرارة » فهو قول يحتاج الاستاذ الى

اثباته أكثر مما يحتاج الأستاذ سلامه موسى الى اثبات وجود المادة علمياً .
 لنفرض أنه يوجد ميزان كيمائى يزن هذا الطن ؟ (وهذا محال طبعاً) اذ أن
 الميزان الكيمائى اذا استعمل كثيراً فى وزن عشرات الجرامات لفقدت أكثر
 حساسيته . ولعل الأستاذ يقول إنه يقصد بذلك النسبة فقط أى أن ثقل
 الضوء أو الحرارة الناشئتين بالنسبة للجسم هو كنسبة جزء من مليون
 جزء من الرطل الى طن . لنفرض أن هذا صحيح ، وأن الأستاذ جينز لم يعمل
 على هذا الطن باجمعه تجاربه فى ثقل الضوء . ولنأت بدلا من هذا الطن بجرام
 واحد من الفحم فنزنه وزناً فى غاية الدقة بواسطة ميزاننا الكيمائى ثم
 نحرقه بعد ذلك . ولنفرض أننا تمكنا بعد الحيطه والاحتراش من جمع كل
 ما ينتج بعد حرقه من الغازات والابخرة الناتجة من اتحاد مواده باوكسيجين
 الهواء . ثم حسبنا بعد ذلك كمية الاوكسيجين وخصمنا ثقلها وأمكننا بعد
 العناء من معرفة المواد الرمادية الباقية ومعرفة كميتى الكربون والهيدروجين
 المتحدتين باوكسيجين الهواء ، فكيف يمكننا أن نجمع الغازات الاخرى المتولدة
 (فى درجات الحرارة المختلفة) التى مورت عليها هذه القطعة (أعنى بهذه
 الغازات الميثان والايثان والبروبان و... الخ ثم الاسبتلين والاثيلين
 والبروبلين و... الخ) يمكننا حقيقة أن نجمع كل هذه ولكن
 بطريقة Dry distillation ولكن الأستاذ جينز يريد اتحادها باوكسيجين الهواء
 ليزن الضوء الناشئ ويأبى العلم أن يطاوعه على ذلك . ولكن لنذهب مع
 الأستاذ ولنفرض وجود هذا الجهاز العجيب فتمكنا بعد اللتيا والتى من
 جمع الطريقتين فى واحدة . وشاء القدر أن نزن كل متخلفات الجرام فأى هذا
 الميزان الكيمائى الذى يمكننا أن نزن به ١ على ٠٠٠ / ٠٠٠ / ٢٤٠ / ٢ من
 الجرام وكيف نضمن أن لا يكون هذا العدد هو فرق الخطأ فى دقة الميزان
 بين الكفتين وقد يكون أضعاف هذا الخطأ فى أدق الموازين الكيمائيه
 فى العالم

أما من جهة " ثقل السطح عند وقوع الضوء عليه فلا أظنه كذلك حقيقياً

وان كان فقد يرجع تعاقبه الى ضغط الموجات الضوئية نفسها كما هو الحال في الصوت . ولو كان الضوء مادة لكان الصوت كذلك بل ومن باب أولى وليس الصمم الناشئ من قصف المدافع والانتفجارات الهائلة إلا نتيجة موجات هذا الأخير . بل ليس تداعى المباني وأنهارها إلا نتيجة تخلخل موجاته وتضاغطها وأرجو أخيراً اذا كان لدي حضرة الاستاذ صاحب العصور من البراهين العلمية ما يثبت مادية الضوء أن يذكر في رده اذا كان يضع انعكاس الضوء من الأسطح اللامعة مع الضوء المنبعث من منبعه وأن يذكر كذلك عند انعكاس شعاع ضوئي من مرآة اذا كان هذا الشعاع يتأثر في سيره بجاذبيه الأرض كما هو الحال في القذيفة مثلاً .

واختتم بتقديم اجلالى واختراعى .

بها ٢٧ - ١٠ - ٢٨

جورجى اسكندر

دبلوم في الصيدلة والكيمياء



هل العلم يحتضر

قد أصبح من الميسور على كل فرد الانتفاع بالاختراعات والاكتشافات العلمية في كل ما يحتاج اليه من الضروريات والسكاليات . وكذلك تقليد الموجود واستعماله استعمالاً حسناً الامر الذي لم يكن متيسراً حتى نهاية القرن الثامن عشر أيام بدأت طرق التفكير العلمى تتسرب من الافذاذ الى العامة . واذا فرض أن الإنسانية رجعت القهقري فستبقى هذه الوسائل تحت أمر الناس لمدة أخرى غير قصيرة . ولكن لا يمكن القول بدوامها اذ قد يحدث ما يؤدي بالموجود منها فلا يمكن للخلف إعادة صنعها

ولا خلاف بين الناس في أنه يوجد فرق بين « موجد العلم » وبين « المستفيد من العلم » ونلاحظ مع الاسف أنه كلما زادت المدنية انتشاراً تشتد مقاومة « المستفيدين » لكل تجديد يراد ادخاله على الموجود من النظريات العلمية . وهكذا يمكننا القول بأن مدينتنا بدأت تدخل في دور التراجع

صحيح أن الروسين واليابانيين مع عامة الشعوب الاوروبية وغيرهم أخذوا يقبلون على « العلم » بنفس الحماس التي قبل بها في القرن السابع عشر ولكن قد مل كنهه العلم متابعة البحوث التي كرسوا حياتهم لاجلها فیتنا نشاهد النائن عن بيئة الثقافة الغربية يقدسون العلم أكثر مما يقدسه رجاله .

أصبحت « المادية العلمية » لدى البلشفيك صورة من البروتستانتية في أوائل عهدها ، تقدر ويمنع الناس من التحول عنها وبات نيوتن في نظر أولئك المتدينين « ملهما » بكل ما في الكلمة من قوة وبذلك وضعت عشرة يمسر تخطيها في طريق العلماء المشككين

ومن الاسباب التي صبغت العلم بصيغة الرجعية تشجيع الحكومات

له فانصرف هم أغلب العلماء عن متابعة البحوث الى الدفاع عن حالته
الراهنة وأصبحوا لا يقدرّون للعلم قيمة أكثر من محاولة اثبات انه يفوق
ما عداه من منافسيه

ويجب أن نعرف تماماً أن العلم في ذاته لا يزال من أقوى المؤثرات
في التغيرات العالية المتتابعة التي أثرت في أوروبا وأفريقيا وآسيا وذلك
بالرغم من جهود العلماء . اذن قد تسرب اليأس الى قلوب كهنة العلم العظام
ولو كان العلم شيئاً قائماً بذاته لكان الامر وانكبه عرضة للهجوم في أى
وقت ، فاذا لم يرجع الذين استكانوا وأدركهم السأم الى أنفسهم ويستعيدوا
ثقتهم القديمة بالعلم لا بد لنا من مواجهة نهاية للمكتشفات والاختراعات
العلمية وهذه النهاية لن تأتى دفعة واحدة لوجود شبه رغبة للمعلم
في الشرق في حين بدأ الغرب يفقدها بل ستحتاج الى قرن أو
أكثر قليلاً

وقد بدأت فكرة عدم الخطأ أو بمعنى آخر « الايمان العلمى »
تأصل في نفوس الناس ولكن هناك فرقاً كبيراً بين هذا النوع من
الايمان الجديد والايمان الاول الذى بنى عليه العلم قد سلم العلماء
المتقدمون بصحة أشياء عدوها من البديهيّات

« نظام الطبيعة » الامر الذى لو امتنعنا عن التسليم به لسقط العلم سقطة لا
قيامه له بعدها وليس معنى هذا ان ايماننا أصبح كايان الاغريق ، فهناك
فرق بين علومهم التى اهتموا منها بالنهاية وبين علومنا التى اهتممنا بها
بالبداءة ، هم الذين توصلوا الى ايجاد فكرة « بالتقدير » وهى اساس نظرية
« ليست الحوادث الا نتائج لقوانين الطبيعة » التى لا تزال تتمسك بها .
وكذلك اسس الرومان « القوانين الوضعية » وقالت المسيحية بان « الله يعمل
حسب قوانين معلومة » فى حين انها ادعت بانه موجود تلك القوانين . فمن
كل هذه الاراء انشأنا ما نسميه « القانون الطبيعى » احد ضروريات
العقلية العلمية

ويجب ان لا ننكر أيضا ان الاوهام والخرافات قد لعبت ادوارا مهمة في تاريخ نشأة العلوم فقد تسبب نجاح كبلر — الفلكي الالماني الشهير — عن الهواجس التي تملكته وهو في مستقبل العمر فعال الى عبادة الشمس على نسق الزرادشتي . وكذلك أتى وقت درس فيه الناس المذاهب الوثنية تنكيا في المسيحية واحتجاجا على الفظائع التي ارتكبتها في العصور المظلمة مما عاد على العلم بفوائد حجة . ويعود الفضل فيما اكتشفه « بيكون » الى ايمانه بخرافة حجر الفلاسفة الذي اهتم باكتشافه فعثر على منزلته في العلم مصادفة واتفقا وكل هذه السوابق مهدت الطريق للبحث الجدي الذي أتى بمد ذلك . وكان العلماء في صدر عصر العرفان كلما احتاجوا الي برهان لا ثبات ايمانهم العامي التفتوا الى الرباضيات المؤسسة على البدييات . واذ كان الامر كذلك فهل سيتيسر للعلم الوقوف على قدميه لو جذب من تحتها الاساس الذي قام عليه وبه تغذى ؟

نجاح العلم في هدم المعتقدات لانه زاد قوة الناس وهذا ما شجع العلماء على زيادة البحث بين تصفيق الناس وحماسهم . ولكن الان وقد كثر الناس عن انيابهم واصبحوا يعارضون كل جديد لانه يهز اقتصادياتهم ولانهم تدينوا بما عرفوه من النظريات العامة وقف مرتبكا لا يعرف ماذا يصنع خصوصا وان نظرية النسبية اجبرته من جهة اخرى للبحث عن مواضيع طالما استخف بها وهز كتفيه لها اختقارا . ولكن يجب عليه الآن ان لا يفعل بل يبحث في « الزمان والقضاء والحركة » وليس هذا فقط ، بل قد يحوي علم النفس كل من عامي الفسيولوجيا (علم الاعضاء) والاحياء — الكيمية وهكذا قد انكشف العلم ورأينا نظريات تنشئ فلسفة جديدة .

فبقاء العلم والفلسفة الجديدة بعد الان في سلم مسلح لوقت طويل قد اصبح في غير الامكان، اذ يجب أن يكونا اما صديقين او عدوين . وتتوقف صداقتهما على امكان نجاح العلم في الامتحانات التي تضعها له الفلسفة . واذا

لم ينجح العلم فلا بد لهما من الاقتتال حتى ينهزم احدهما فينفرد الآخر
بالحكم في العالم

وكيف يتسنى للعلم التغلب وقد وصل الى ما هو عليه بفضل جمود العلماء
من جهة وبفضل تقديس الناس لنظرياتهم وعدم رغبتهم فيما يستجد منها من
جهة أخرى

ملخصة عن الانكليزية

ط . ه . حنين

فصول في النقد والادب

— المقادير —

على أثر ظهور ديوانه حديثاً اقبل الأدباء على تقديمهم من اعطاه حقه ،
وهم من بنحسه اياه . على ان الباحسين لم يكونوا بنظرنا باخسين الا لانهم ارتكبوا
في المدح شططا ، فما كان تقدم نقداً صحيحاً ، انما كان مدحاً وكفى . ولا نغنى
ان مدحهم كان رهبة منه او تائقاً اليه ، مما قد ظن به البعض ، بل نغنى ان
المعيار الصحيح في النقد قد فاتهم ، وانهم قد اخذوا بشهرته ، فخيّل إليهم ان
صاحبهم قد بلغ من الأدب المثل الأعلى ، فكان في نظرهم الأمام الأوحى
في عالم الأدب .

والحق ان صاحبهم قد ادرك شهرة لا يستهان بها ، ولقد بلغ في نظر
الأكثرية مكاناً عظيماً ، على أن الشهرة ليست دليل قاطع على سمو منزلة المرء في
عالم الأدب المجدى ، فكلم من شهرة كانت واسعة فبددها نقاد مجيد ان عاجلاً
او آجلاً ، والحق ان هذه النهضة الأدبية ان ظلت على حالتها الراهنة ، فلن
تصيب نجاحاً ، وستظل تتعثر في سيرها ، وان اصابته ثمة نجاح فانما قد تصيبه
عفواً واتفاقاً ، ذلك لان النهضة الأدبية ان كانت باحتياج لشيء فان احتياجها
للقاد المجيدين لشديد ، هم الذين باستطاعتهم ان يحسنوا القياد ، وهم الذين كما
اشرفوا على ذال او مهوى حولوا النهضة عنه ، وساروا بها في الصراط المستقيم ،
لتأتى اكملها ، وتقطف ثمرها ، هم النقاد الذين بتمدورهم ان يميزوا بين الطيب
والخبث يميزون بينهما لينبذ الخبيث ، وليقبل على الطيب ، ولكن لا يخذل الحق
ويعلو عليه الباطل ، هذه مهمة النقاد ، وهى مهمة لها مسؤوليتها ، ولها سرها .
فتش عن كل نهضة ادبية اثمرت تجد ان الفضل كل الفضل فيما اعطت من أكل
للقاد القديرين الخالصين عائد ، وهامهم في بلاد الغرب ، يتصدرون للزعامة ،

ويسرون بالهضة الأدبية سيراً حثيثاً ؛ كتبهم محترمة ، وحكمهم مقبول ،
يخلصون كل الأخلص في عملهم ، ويتفانون كل التفانى في اعلاء شأن قلمهم ،
لا يدعون للمدعين مجالا يستولون منه على عقول السذج لبناء شهرتهم ، بل ترى
النقاد سرعان ما يحيطون بهم ؟ وسلاحهم اقلامهم ، وذخريتهم عقولهم ، فيبددون
شملهم تبديداً ، ويحطمون ماشيدها من عروش تخطيا .

فإن استطاع العقاد ان يبنى شهرته فانما هو مدين في صون هذه الشهرة الى
غياب النقاد الماهرين كما هو مدين أيضاً الى السذاجة البالغة التي لم ينبج منه
في عصره الا من عصم ربك .

وكم صفتنا كثيراً ، وكم ابتهجنا ، وكم زال عنا من سجوف اليأس سجن ،
عند ما وجدنا بين النقاد اقلية ، لم نسمع منها من قبل شيئاً ، هذه الاقلية هي
بحق مدركة ، فقد اسمعنا اخيراً ، شيئاً طريفاً ، شيئاً ذا قيمة ، في عالم النقد
والأدب ، فدل ذلك على وجود نقاد عندنا لا بأس بهم ، وانهم ان يلاموا على شيء
فانما يلامون على سكوتهم الطويل وترك المدعين يصولون ويجولون وهم في
غفلة عنهم .

ومن هذه الاقلية الأديب ذكريا ابراهيم فقد قرأنا له نقداً في السياسة
اليومية عدد ١٢ نيسان سنة ١٩٢٨ ، فكان في نقده عن العقاد حصيناً ، وفي
معياره صادقاً وفي تمحيصه جريئاً بريئاً . هذا الأديب وهذا اول نقد قرأناه له
لم يكن في نقده اقل براعة من نقاد الغرب ، ولادونهم جدارة وفهماً وادراكاً وجراًة
هذا الأديب وليس له من الشهرة شيء ، قرأنا نقده فاجلناؤه ، ونال عندنا مكانة
لم ينلها المكثرون من الأدباء المدعين الذين يجرون ورأهم من الشهرة الزائفة
اذيالاً طوالاً . اغتبطنا بهذا الأديب ، وما كان اغتباطنا به الا عن تقدير لمعياره
واقرار بنفاد بصيرته وصدق حكمه . اغتبطنا به فعلمنا ان الربوع لم تبخل علينا
بالنقاد المدركين بل هم تباخلوا علينا وعلى انفسهم فكانوا باللوم والتعنيف جديرين !

والآن لنعد الى العتماد ، وانا والله في حيرة كيف ادرك هذا « المعقد » في
الورى شهرته ، وما الذى بذله ثمننا لهذه الشهرة ، وای جديد مستطرف ابتكره ،
واى مؤلف قد جاء به ، حتى نقول انه دفع في سبيل هذه الشهرة ثمننا باهظا او
عملا خالداً . هل التحرير في الصحف اليومية والاسبوعية من وسائل ادراك الشهرة
والخلود ، ان كان كذلك فما أكثر المشتهرين وما أكثر المخالدين !!!

ام جمع مانشر في الصحف من مقالات متباينة في مجلدات هو من السبل
المؤدية الى الشهرة والخلود ، ام هو النقد الغير برىء والتهجم على كبار الكتاب
والشعراء ، هذا النقد وهذا التهجم اللذان يقطران غيرة وحسداً ،

ام هو التعقيد ولوك ماتقوله الفلاسفة . وترديد اسماءهم . واثبات مصطلحاتهم
والأتيان بأقول لهم دون هضم وفهم كقوله « ان الجمال هو الحرية » أو « هو
تغلب الحرية على الضرورة » ومات كاه ، كل ذلك من مميزات شهرته ووسائل
خلوده . . . فان كان كذلك فيالها من شهرة زائلة وياله من خلود موقوت !!

والا ارونى اين هي مؤلفاته الخالدة ، ومجلداته التى تفيض بخطراته ، وذات
نفسه وروحه ، ورسائله ، وتصويره ، وادراكه للجمال وفنه الفذ الصحيح !!

ارونى اين هي رواياته التى استطيع ان اجد فيها شيئاً من روعة الجمال ، وسحر
الفن ، وسير الأبطال ، وما تسكنه النفس ، وما تجيش به الصدور .

ارونى اين هي رواياته وكتاباتة التى استطيع ان اجد فيها شيئاً من جمال
النيل وارض الكنانة الناطق ربيعها بأبلغ فنون الكلام والتى يسير على « الموهوب »
ان يستوحى سماءها الصافية ونيلها الرقاق .

دعونى المس في نثره روح الكاتب الحساس التى تتجلى في خطرات منصور
فهمى او ارونى في شعره روح الشعر التى تقنصت بشوق ، او وحى الشعر الذى
أنطق حافظ ، ارونى شيئاً من ذلك لأحسه وألمسه ، اما فصوله ومطالعاته ومراجعاته
بفهرتها ، وان كانت هي من مميزات شهرته وخلوده ، فيالها من بضاعة لا تستحق

الخلود ، وياله من بخس بذل في سبيل شهرة ! !

أليس من العيب على هذا الجيل ان جاء مؤرخ نقاد بعد سنين لينحص آثار الذين نالوا درجة الخلود في هذا العصر الذي ينتجج انه عصر النهضة الأدبية ، فيجد أن في طليعتهم العقاد ، وان كل ماله من بضاعة لا يؤهل درجة الخلود ألا يسخر من هذا العصر ومن أهله كيف يبيعون درجة الخلود السامية بثمن بخس ، ألا يشك في وجود جامعات راقية شيدت لهضة الأدب واساتذة قديرين لاعلاء شأنه ، ألا يشك في مقدرة رجله كيف يسمو فرد من بينهم وهذه البضاعة بضاعته لزعامة الأدب فينطأطون له الرؤوس الكباراً ، ألا يحكم على هذا العصر انه عصر أقرب الى الرجعية منه الى النهضة الأدبية ، وان آفته القحط في الرجال والعبقريّة ، ألا يحق له ان يسخر من فننا وذوقنا ومعيارنا وسداجتنا جميعاً ؟ ؟ ؟

والعظمة منزلة سامية حري بنا الا نجود بها الا لمن يستحقها عن جدارة واستحقاق ليكون ذاك العظيم جديراً بالتقدوة عند الناشئين والمتأدبين !

والعظمة ان جدنا بها على الدعى عن غير جدارة لانحنون انفسنا والحق ، وروح العصر فحسب ، بل نجنى على الناشئة التي ستتبعنا ونجنى على انفسنا ايضاً منذ ما يقوم من بين تلك الناشئة حصيف يميز الفث من السمين فيهزأ بنا ويترك لأتباعه مجالا للهزؤ والسخرية بنا .

وها انا بعد اعان للاملاء رائى واقول بصراحة ، دون حسد او رياء او انتقام او مجاملة او تهجم بل عن اخلاص وكفى : ان العقاد ليس « بالكاتب الموهوب » الذى يستحق ان يتنعم بدرجة العظمة وبنعمة الخلود .

ولكن ماهو ان لم يكن كاتباً ؟ ؟ ؟ أهو شاعر ؟ ؟ ؟ استغفر الله . . . كلا كلا وماهو بشاعر ، ومن يعلن انه شاعر لايجن على الشعر فقط بل على ذوقه وعذابه من آله الشعر يؤمئذ لشديد ! !

وهناك من يعيب العقاد في شعره غياب شيء سموه « العاطفة » وفاتهم أنهم

كانوا في تسمية هذا الشيء مخطئين . . . هذا الشيء لو ادركوه لسموه « روح الشعر » وهو المعتقد في « شعر العقاد » - وای شعر ؟ ؟ وما هو بالخرى الانظم والشعر امرئ لا يشتري بشمن بل يوهب . ومن هنا كان تطاول العقاد الى جملة وهو غير موهوب تطاولا ماباء من وراءه الا بالفشل المبهين ! !

ويميب العتماد على الشعراء الذين بذوه فسخر منهم انهم يتملقون في مدحهم وان انصف لعاب على نفسه - في نظمه - التشبيب المزيف ، فهو لا يتملق في المدح بل يقترف شيئاً اذا ، ذلك لأنه يأتي الى الحب فيتملق إليه ليوهمك انه احب وان ماتقرأ من « نظم » هو من « وحى الحب » ، والله يعلم انه لم يحب او ان احب فانما قد اصطدم الحب عنده بصخرة صماء محرومة من الشعور والعواطف ! ! ولو كان العقاد كما يقول اصحابه موهوباً لكان حصده من حبه شيئاً معجزاً وجماد بالشيء الثمين . . . فالحب وحى ينطق الجماد فخرى به اذن ان ينطق من احترف الكتابة وان شاء ربك ان يكشف الوعاء . . .

ولو كان العقاد شاعراً ينطق عن وحى لقرأت كثيراً من شعره ؛ على الأقل في الاسبوع مرة على صفحات تلك الصحف التي يحرر فيها ، لأن الشاعر الملهم لا يجد من بد من نشر شعره وتقدمه على نثره . . . ولكن الآية في العقاد معكوسة وعكسها دليل على انه في ذات نفسه يعتقد انه ليس بالشاعر !

فهذا الكاتب قد برع بشيء وهو التدليس والأيهام والغموض . . . أما التدليس فانه ماهر فيه ؛ فتراه يشترك في أسنى المجالات الغربية لا لينتفع من موادها او لينشر من مستطرفاتها كلاً ؛ بل يستهدي على اسم العظيم الذي زال عند بني قومه اجلالهم وتقديرهم ليروح يستوعب ما قيل في ذاك العظيم من مدح وماسرد فيه من أقوال وماترجم عنه من اعمال وما قيل في كتبه و . . . و . . . اجل . يستوعب هذا كله لالشيء الا ليتخذ عند بني قومه آلة للتدليس ليوهمهم انه ذو اطلاع واسع ، فيدس اسم هذا العظيم في كلماته ماشاء له التدليس ، ويلوك في آرائه .

دون استيعاب او هضم ، ويردد في ذكر مؤلفاته دون مطالعة او فهم ، ويخاطب في اصطلاحاته او ينقل هذا كله نقلاً عما ترجم لذلك العظيم في تلك المجالات الأجنبية التي يكون مشتركاً بها ، هذه المجالات كم يحرص على اخفائها عن صاحبها وهيئات ان تظفر منه بذكر اسمها ، انه لا يفعل كيلاً يفتضح امره ! !

اما ابهامه وغموضه فقد اشكل امرها على الأدباء وحيراهم ، فمنهم من اتخذ ذاك المثل القائل « والمخفى اعظم » لهم شعاراً ، فقالوا ان لا بد ان وراء هذا الغموض وهذا الأبهام عظمة لم تستوعبها مداركنا وعليه مادنا قاصرين عن ادراكها فالتصور هو منا وليس منه . . . هؤلاء السذج ظنوا بانفسهم سوءاً ، وبلغموضه خيراً ، فمنحوه العظمة بلاهة . ومن هنا ترى ان العقاد كان مديناً لشيء فهو لهذا الغموض ولهذا التدليس جد مدين . . .

واني لا أذكر اني قرأت للسيد مصطفى صادق الرافعي جملة هي بحق مضحكة لما فيها من مهارة في التشبيه والتصوير ، فقد قال « وقد حيره غموض العقاد » شيئاً استطيع ان انقل فحواه دون نصه وهو : « ان القدر كان جد منصفاً باعطائه اسم « العقاد » اذ علم ان « التعقيد » لا بد ان يكون يوماً ما من صفاته وميزات » . وما هو بحق اقل منه تعقيداً ولكن السرف في الشهادة انها شهادة تعقيد صادرة بشأن معقد من أمام المعقدين - تلك الجملة قرأتها للرافعي وقتئذ ولا ازال اذكرها مستغرقاً بالضحك كما ذكر لي اسم العقاد ، ولعمرك ان كان « أمام المعقدين » يشكو من « تعقيد العقاد » فماذا بقي للبسيط الغير معقد ان يقوله ؟ ؟

وهناك فئة اخرى تنعت العقاد بالكاتب لالشيء الا لأن اسلوبه - في نظرهم - يحكي اسلوب المقفع وابن العميد ، والجاحظ . . . من القدماء الذين يجلون ، هؤلاء لا يجلون العقاد الا لأسلوبه . . . وجدير بك بعد ان تهزأ بهم وبمعارهم وبأسلوب صاحبهم ايضاً .

اما وان العقاد ليس بكاتب ولا بشاعر موهوب فما هو اذن ؟ ؟ اللهم اني

لا أدري وأنى لجد مختار في شأنه . . . وأعله يكون « محدثاً » بتشديد الدال ،
بالأدب أو « راوية » وإيجازاً أن هو الأ محرر صحيفة ذو شخصية معتدة
لا أكثر ولا أقل ، ولعل القدر الذي ساقه للتحرير في الصحف اليومية لم يبخسه
حقه فالعظمة الحقيقية لا تستقر إلا بالعظيم الحقيقي وإن استقرت بغيره
ينظر البسطاء فما هي بعظمة أن هي في نظر المدركين الأ بهرج ذائل !!

وما انس لا انس سخريتي من العقاد عند احتكاكه بعلامة العراق الزهاوى
فهو قد التمس فرصة من اقرار طه حسين وهيكلي في بحوثهما عن النثر والشعر
تلك البحوث التي ادلينا بما عندنا من رأى بشأنها — من انه هو الشاعر الذي
يتمتاز شعره بالفلسفة وإن بين الشعراء المعاصرين ليس هناك من شاعر في شعره
فلسفة إلا « العقاد » في مصر « والزهاوى » في العراق التمس صاحبنا هذه
الفرصة وراح مجيباً من جهة لتفرد به بالفلسفة وحاتفاً من جهة لأن له في هذه الميزة
شريكة إذن فما عليه إلا أن ينزع هذه الشراكة من شريكه ليمتفرد بالعظمة
التي ليس لها من شريك ؛ انظر ماذا فعل : انه نشر استفتاء من أحدهم يسأله
فيه ان يعطى عن شعر الزهاوى وفلسفته رأيه : أهو بحق ممتاز ام هو لا يستحق ثمة
شهرة فاعجب كيف أتى هذا الاستفتاء من بعضهم في وقت بلغ فيه مرجل
حقق العقاد حده ؛ لأن كان هذا الاستفتاء مزيفاً فليس بغريب صدوره من
العقاد أو بدافع منه ، وإن كانت الظروف هي التي ساقته فليست هذه أول صنعة
لها عنده إذ ذاك سعى العقاد ، وكيف لا يسعى الى الخط من شأن الزهاوى
لأخراجه من حلية الشعر والفلسفة معاً صفر اليدين ولكن اتظن ان الزهاوى
استاذ الفلسفة ، قبل ان يخاق العقاد ويتحلى لنفسه ، سكت له عن ترجمه
لاوربك لقد أعطاه درساً مفيداً إذ ذاك ظهر العقاد امام الزهاوى كالمسوخ
والذي يبارز عملاقاً أو كالتلميذ الذي يحتاج أستاذاً أو كالقزم الذي يتحدى جباراً ،
ولقد كانت مساجلتهم ما أعمر ك مساجلة مضحكة تبينها ولما حوت من حكمة الحكيم
ويخلط المهزار ورفق الفليسوف ومشاكسة المغرور .

والغريب في العقاد انه لا يقر بعظمة فرد مبرز في الأدب من بنى قومه المعاصرين ذلك لانه يحرص على ان تكون الشهرة مقرونة باسمه لا يزاحمه فيها مزاحم ، وانه دأبه الا ان يتهمهم على البارزين فيزدري بهم . . . فأدب المرحوم المنفلوطي في نظره أدب ضعيف ، كأن شدة الأحاس عند من وسائل الضعف كما فهم خطأ عن نيتشه ، وشعر شوقي ركيك ، والرهاوي ليس بفيلسوف . . اما المدح فأنما يكيله لأدباء الغرب وفلاسفة لا عن فهم وتذوق بل لانه يعلم انه كاسب من وراء مدحهم وذكر اسمائهم ربمحا لنفسه ، وانهم لن يقاسموا العظمة في محيطه واعلى طاغور لم ينل عنده مكانة الا لانه بعيد عنه او لأن عظمته أخرجها عظماء الغرب فكان حقاً عليه ان لا يتبجح بالانكار لكي لا يسقط فيه . . . فهل رأيت أنانية أبلغ من هذه الأنانية . . . ولعمرك انها لأنانية مرذولة قد بلغت حدها وليس وراءها من مزيد !!

ولعلهم يكل المدح جزافا لصاحبه المازني الا بعد ان اخذ منه عهداً ان يكيل له الكيل كيابن والصاع صاعين وهكذا فلتكن المتاجرة والا فلا . . . والعقاد هو جد متكالب على هذه الشهرة التي احرزها فهو يعض عليها بنواجذه ويسعى لاستبقائها ماشاء له الغرور والباطل والويل لمن ينازعه عليها او لمن يكشف عن ستاره ليظهر للناس حقيقة امره ، اذ ذاك يكيل له من بضاعته السب والشتم والسخرية بالكيل الوافر . . . ولكن نسي موقفه مع العلامة الكرملي الذي بين عن الكثير من مغالطاته وكشف عن عجزه عند نقده لديوانه . . .

ألم يكن موقف العقاد موقفاً معنياً لا يقره نقد ولا يقره ادب ، انه لم يخرج من آداب النقد والمناظرة فحسب ، بل قد تسفل الى درجة لم يحترم عندها شيخوخة ذاك العلامة الجليل بما كانه له من سب وشتم وقبح ، وماذا يفعل للعاجز غير هذا يلتجئ إليه استبقاء على شهرة اصابته عفواً وما هو بأهل لها . . . أليس النقد قليامين في هذا المحيط واقل منهم اوائك الذين يقولون الحق وان استهدفوا لخطر السب والشتم ، فاذن هين على العقاد محاربة اوائك ماداموا متحفظين ، يفضلون

السكوت على الاستهداف للنقد القاذع الذي قد يصيب اشخاصهم ، وما على
العقاد كما نهض منهم ناهض الا ان ينهال عليه سباً وشتماً حتى يسد عليه منافذ
الطرق باساليب من شتمه وقبحه ، ليكون لغيره عبرة كي لا ينسج على منواله ،
وهكذا فعل مع الكرملى ولكنه في هذه المرة لم يحمده الا فشلاً وعاراً في
نظر المدركين ، وان اصاب في بعض مواضع الدفاع ! !

ولقد تبه لهذا الأمر الفيلسوف الزهاوى في رده على العقاد حيث قال .
لا اعلم لماذا يهاب الكتاب الاحتكاك بهذا الكاتب ولماذا يتحاشون التعرض
به ، فان كان تطاوله هو المهاب فاني ارضى بما يصيبني منه في سبيل اعلاء الحق
وازهاق الباطل ! !

ولقد تراءى لاحد من المعجبين به ان ينقده على اثر ديوانه فخط حديثاً
نشره بالسياسة الاسبوعية رقم ١١٠ تاريخ ١٤ نيسان سنة ١٩٢٨ واتخذ له في
حديثه قريباً وهمياً وكأني به قد ادرك ان هناك نواقص في شعر صاحبه ليس
بالمستطاع ذكرها عند مدحه فذكرها على لسان قريبه الوهمي وراح من حسن
ظنه يخلق لها الأعذار والأسباب الواهية ، ولكن اتظن انه ارضي صاحبه
العقاد مع ما كان في مقاله من مدح لامبرر له ، كلا ، فالعقاد على اثر قراءة حديثه
ونقد ذاك النقاد المستتر في المقتطف راح يعيب عليهما عدم الإدراك وراح
يعطيتهما في « الحقائق الشعرية وكيف يجب ان تفهم » درساً على زعمه ! ! !
فهل لقيت ابلغ وقاحة وغروراً من هذا كله ؟ ؟ ؟ فهو لا يرضى عن احد الا ان
يقول له انك امام الكتاب ومعجزة الشعراء بلا مدافع ولا مزاحم ! ! ! وياليت
غروره وقف عندهذا الحد بل راح - في درسه - يقيس شعره بأبلغ شعر ، وشخصه
بأعظم شاعر عرفتة اللغة العربية من قديم الازمان للآن ، وديوانه بأعظم ديوان ،
وشيطانه بأمر شيطان « ايضاً » ، ويتحدى من يكذبه ونحن اولاء نكتفي بهذا
وبما املاه علينا الحق ، ونترك العقاد ، مادح نفسه ، يقرىء القراء السلام

أفزع جرائم القرن التاسع عشر

(وقعت في يدنا مجموعة تشتمل على بيان وافي لتسع
جرائم ارتكبت في أوروبا في القرن التاسع عشر
واعتبرت بحق أفزع جرائم ذلك القرن. فرأينا ان
ننقلها للقراء في قالب قصصى يعنى التفاصيل دون إطالة
ولا تقصير)

١ - - - - - الولع بالجريمة

في صباح اليوم الثانى عشر من شهر اكتوبر عام ١٨٦١ وجدت فتاة
- مومومة في سجلات بوليس باريس أنها من الساقطات (ونترك للقراء تفسير
ذلك لانفسهم) - ومقتولة في غرفتها . وعنقها مقطوع من تحت احدى
أذنيها الى ماتحت الاذن الاخرى . وقد قرر الطبيب الشرعى أن الوفاة حدثت
على أثر خنق . وعلى ذلك فان الجروح التى أنزلت بجان هريس يصح أن
تعتبر اغراقا في الجريمة . اذا كان الباعث على ارتكابها هو السرقة فحسب .

والحق أن الطبقات الدنيا في فرنسا - وهي التى تنتمى چان
هريس اليها - قد اعتاد أهلوها على الادخار والاقتصاد مما يثير طمع الاشرار
فيهن . كما سیرى القارئ الكريم فيما يلى

ولم يعرف من التحقيق الذى جرى في هذه الجريمة أن القاتل سرق شيئاً ،
على أن ما ثبت قطعياً هو أنه كان لديه الوقت الكافى للسرقة دون أن يخشى من
ازعاج المقتولة اياه حيث انها قد ماتت عقب الخنق . ومادام تقطيع الجثة لم يكن له لزوماً
فان الجريمة قد اتخذت صفة خاصة . وحار البوليس في تكييفها . ومع ذلك فقد
نقالى اذا قلنا ان باريس اهتمت بهذه الجريمة لأول وهلة

بل إن ارتسكاب جريمة أخرى مماثلة بعد أحد عشر شهراً من وقوع الأولى لم يثر رعباً كبيراً . وكانت الضحية الثانية «مرغريت لافى» تنتمى الى طبقة المنبوذات كذلك . ولاقت حتفها بنفس الطريقة مثل جان هريس . وأسقط في يد البوليس فى هذه الحادثة كما غلب على أمره فى الأولى . وهو لم ينكر هذه الحقيقة بل اعترف فى صراحة انه ليس لديه أثر يستدل منه على المجرم . وربما كان قصده أن لا يجعل الجمهور يتأذى بنار الانتظار .

*

* *

ومضت ثمانية عشر شهراً أخرى ، ونسى الجمهور بتاتا جان هريس ومرغريت لافى . وحتى البوليس لم يعد يذكر عنهما الا القليل . الى أن كان اليوم الرابع من شهر فبراير سنة ١٨٦٤ اذ وجدت فيه ساقطة ثالثة اسمها لينويل مقطعة تقطيعاً فظيماً فى الغرفة التى كانت تسكنها فى ربيع متخرب تقررت ازالته لتوسيع الشارع المعروف الآن باسم شارع الأوبرا

وهذه المرة نشطت العاصمة الفرنسية نشاطاً حاداً . وعندما أعلن البوليس - مثلما حدث فى الجريمتين السابقتين - عجزه عن اقتفاء أثر المجرم . ضج الجمهور وطالب برفق رجل البوليس جملة واحدة . وبديهي أن هذا الطلب لم يكن يقل عن طلب اسقاط نابليون الثالث عن العرش . بل قد يكون الامر الثانى أقرب منا لامن الأول . وانما اسنا نغمط هذا الامبراطور فضله . فنقرر هنا انه اشترك قلبياً فى الاسى والمطالبة بدم الضحايا فى هذه الحوادث

واستدعى المسيو كلود - رئيس قوة البوليس السرى - الى التويلارى (١) وبالرغم من كفاءته المشهورة فانه قد اعترف بعدم قدرته على حل معميات هذه الجرائم . وكل ما استطاع أن يزعمه فى شيء من الثقة هو أن الجرائم الثلاث قد

اقترفت بها يد واحدة . بنفس الجرأة . مصحوبة بنفس الاحتياطات من عدم وجود أى أثر يدل على الفاعل . وقل « اذا كنا حاصلين على أدق الاوصاف للقاتل ، واذا كانت هذه الاوصاف تشير الى أقبح الوجودات كثر الجسوم تشوُّبها وأشدّها مسخاً فاننا لن نستطيع بواسطتها معرفة المجرم من بين المليون ونصف المليون نسمة من سكان باريس . اللهم الا اذا كان ينتمى الى فئة المجرمين معتادى الاجرام . وأنا شخصياً واثق أنه لا ينتمى الى هؤلاء . وإنما هو شخص مصاب بجنّة في عقله . وفي الاوقات العادية يكون عاقلاً كبقية الناس . فالصدقة . . الصدقة وحدها هي التي ستوقعه في أيدينا » - وقد برهنت الحوادث التالية على صدق وجهة نظر المسيو كلود . فان الصدقة . والصدقة وحدها هي التي أوقعت جوزيف فيليب في يد العدالة

وقد كانت هناك ثلاث نسوة على الأقل في موقف يستطعن معه إعطاء وصف للقاتل . غير أن خوفهن من انتقامه كان يمنعهن عن ذلك . فلما انقضى ذلك الخوف . واصبح القاتل غير قادر على ضررهن . أدبن شهادتهن ضده كما سيجمعى . على أنه قد اشتهر عن الفرنسيين أنهم لا يميلون كثيراً إلى مساعدة رجال البوليس . وقد نثر ح لك أسباب ذلك في فرصة أخرى

فانه في أول مارس من العام نفسه رافق فيليب الفتاة (١) هيلين ميراند حيث رضيت أن يذهب معها الى منزلها . على أنه لم يكد يطأ أرض غرفتها حتى ندمت على ذلك أشد الندم . ثم تركت الرجل الغريب في غرفتها ونزلت الدرج واستودعت احدي صويحباتها الساكنة معها في المنزل مدخراتها البالغة ثلاثين فرنكا . قائلة لها انها لا تشرب بالارتياح لهيئة زائرها . ولقد صدقت نبوءتها اذ حاول الخبيث خنقها . ولم ينجها من شر الخائفة التي لحقت من تقدمها الا بمقاومتها الشديدة اليائسة . لأنها كانت طوال الوقت محاذرة منه . فما كادت

(١) يطلق لفظ فتاة عند الافرنج على كل آنسة او سيدة لم تتزوج

تبدو منه أول بادرة منبهة عن نواياه الحقيقية حتى صرخت بأعلى صوتها . فغادر الشرير الغرفة بهدوء . وحينئذ ، بدلا من أن تذهب هيلين إلى البوليس لتبلاغه بالحادثة ، اكتفت بتحذير فتاة أخرى تحترف نفس المهنة !!

ومهما يكن في الأمر من غرابة فإن الحقيقة هي أن أغلب هاته النسوة التمسعات اللاتي يدرن حول الحى المعروف — شارعى دوميل وسان جوزيف — يظهر أنهن كن يدرسن أن الرجل الذى يبحث عنه البوليس بشأن مقتل جان هريس ومرغريت لافى و لينو ويل هو ذلك الذى يحوم حولهن اثناء الليل . فيمنعهن الخوف عن قبول أى مبلغ منه مهما كان جسيما ومقدما — ومع ذلك فلم تكاف واحدة منهن أنفسها بؤونة ابلاغ أمره الى البوليس

*
* *

ولم تقف الحوادث عند هذا الحد . فقد ظهر فى الخامس عشر من شهر إبريل التالى أن قلعة الضحايا زادت واحدة . وذلك على الرغم من أن احدى صديقات جولى روبرت — الضحية الرابعة — وهى الفتاة مورجاندا كانت قد رفضت قبل يومين من مصرع صديقتها قبول دعوة فيليب لمرافقتها . على انها — كما قدمنا — لم تخبر أحداً بذلك الا بعد أن قبض عليه . وأمنت شره وجولى روبرت ، ولو أنها لم تكن من طبقة أرقى من الطبقة التى اختيرت منها الضحايا الثلاث السابقة ، كانت تمتاز على زميلاتها من بعض الوجوه ، فقد كانت تقيم في منزل مؤسس تأسيساً حسنا ، فضلا عما كان عندها من الفساتين الغالية ، وخمسين جنيهها من ورق البنكنوت — وهذا يؤيد نظريتنا السابقة من أن أفراد الطبقة السفلى فى فرنسا يميلون الى الاقتصاد والادخار

والظاهر أن المجرم قدش دولاب الملابس تفتيشاً بسيطاً خصب . لأنه لم يعثر على النقود التى كانت قد نقلت الى مكان آخر . وربما لأنه لم يشأ الإقامة طويلا . وقد كان يستطيع أن يفعل ذلك دون خوف . فأن الجثة لم تكتشف

إلا بعد ستين ساعة من وقت الوفاة . وقد كان حتى هذا بمجرد صدفة . إذ كانت جولي روبرت قد أعدت المدة للانتقال من منزلها في يوم اكتشاف جثتها . ولذلك فإن سائق العربة الذي حضر لنقل الاثاث هو الذي أبلغ الحادثة إلى رجال البوليس . ولولاه لبتيت الجثة في مكانها أسبوعاً أو شهراً دون أن يعلم أحد عنها شيئاً

ثم يقول الفرنسيون ان نظام وضع النواب على المساكن هو الحماية لارواح السكان وامتعهم . فانظر إلى مقاله لى صديق مكرم إلى حد ما بالمتناقضات ، وقد أقام ردياً من الزمن ليس بالقصير في باريس : « إن خير وسيلة تضمن بها سهر النواب على حياتك وامتعك هي ان تبقى دائماً مديناً بأجر ثلاثة شهور لصاحب الملك الذي تسكنه »

ولكن جولي روبرت كانت فتاة تدفع المستحق عليها في حينه . وعلى ذلك فان البواب « لم ير شيئاً . لم يسمع شيئاً . لا يعرف شيئاً »

وفشل البوليس كالمعتاد . وبلغ من حضور ذهن المجرم واحتياظه أن غسل يديه في صحن قبل ان يفتح ادراج الدولاب حتى لا يترك عليها أثراً من أصابعه الملوثة بالدماء

واجتمع رؤساء الشرطة في مكتب كبيرهم المسيو كلود . وجعل كل منهم يقترح تدبيراً . والمسيو كلود صامت يصغى . وأخيراً هز رأسه في كآبة قائلاً : « إننا لو رصدنا له مائة سواه من البوليس السرى الرسمى أو المتطوع . في مائة موضع . لما استطاعوا القاء القبض عليه . وها أنذا أخبركم ماذا يحدث لو فعلنا ذلك . إنه سيعلم بامركم فيترككم وشأنكم في الحى الذى تتربصون له فيه . وينتهب للعمل حتى آخر . ومن يديركم متى يكون ذلك ؟ فقد تمضى شهور قبل أن تعاوده النوبة . والحق أنه لا أمل لنا في القبض عليه مادامنا لم نعتز على أى أثر له من سكن أو منديل أو قبعة . كما أنه ليس له شريك يقدر به ويسلمه »

وكان المسيو كلود صادقا في استنتاجاته هذه أيضاً . فقد انقضت أربعة أشهر على الحادثة الرابعة . ونقل القاتل ميدان أعماله من قاب باريس الى حدودها الشمالية الشرقية . ووجدت ماري هيلي في الحادى عشر من شهر أغسطس من نفس السنة فى حالة مماثلة لاحوال الضحايا التى تقدمتها . على عنقها نفس الآثار . ونفس الجرح الخفيف من تحت إحدى أذنيها الى ماتحت الاذن الاخرى ... الخ ... الخ . وبالاختصار يظهر ان القاتل قد وطن نفسه على الاستخفاف بالبوليس . وكأنما كان يلقي قفازه فى وجهه



وانتشر الرعب فى كافة انحاء المدينة العظيمة . وجعلت الطبقة الدنيا من المنبوذات تزال تجارتها بفرائص مرتعدة وقد أدى هذا الرعب الى الحصول على وصف للقاتل . ولكنه لم يؤدى الى القبض عليه . إلا أنه كان على كل حال أول بصيص من نور تفتحت عليه أعين رجال البوليس

فقد حدث بين الساعتين السادسة والسابعة من صباح اليوم السادس من شهر نوفمبر من السنة ذاتها ؛ ان سمع سبكان شارع سان مرغريت - الواقع فى حى سان انطوان - صراخا عاليا مربعا صادرا من احدى غرف الطابق الثانى وشارع سان مرغريت هذا . والأزقة والحوارى المجاورة له . كانت ولا تزال تقطنه جماعات ملتقطى الخرق والاشياء الرثة البالية . وهذه الجماعات لم تعود على حسم مايقوم بينها ، من نزاع أو خلاف عائلى بالطرق الودية . ولذلك فان الصراخ مهما تعدى وتكرر . ومهما اقترب بقرعة كسر الأواني والصحون . فانه قلما يسترعى أى التفات من الجيران . ولا يجلب تدخلا من أحد منهم بأى حال وهم بالطبع لم يخرجوا على المؤلف فى الحادثة التى نحن بصدددها . بالرغم من رنين صيحات طفل عالية صادرة من أعماق قلبه فيكاد يغطى على صراخ امرأة ممتزجة به

وبعد عشر دقائق مر جماعة من العمال . وشاهدوا خيال امرأة في النافذة المفتوحة ممسكة بضافتها . تخرج شفتاها ببطء ويتنازع حلقها عن أصوات هائلة . وبينما كان العمال ينظرون الى فوق اذ بذرف ساخنة تتساقط على وجوههم . فيمسحونها ويتبين لهم انها حمراء . فيقولون « لقد بكرت اللعينة بالشراب » . وهكذا يحسبونها خمرًا . فيذهبون الى حال سبيلهم

وبعد برهة . بينما كانت البوابة تكس الدرج اذابها وجدت مفتاحا في كومة الزباله عند نهايته . فلقطته وسامته الى حبيب مدام مادج - الذي يتفق حضوره في هذه اللحظة - وقالت له انظر ! هكذا تضيع المفاتيح » . ولا تشير بحرف واحد الى الصيحات التي سمعتها هي وجميع أهل المنزل في مخدع مدام مادج . فلم يحفل بها واحد منهم

واسنا نصف المنظر الذي وقعت عليه عيننا الحبيب عند ما دخل الى مخدع حبيبته . فقد جاء وصف هذا المنظر في صحف باريس مفصلا . ويتبين منه ان المعركة التي قامت بين المرأة وقاتلها كانت هائلة . لان قطة اتفق وجودها على الفراش وقتئذ قد سحقت سحقا . وقطعت الام وطفلها اربا اربا . وقال شاهد عيان ان « الدم انشأ بركا حقيقية » . وظهر ان القاتل فتش دولاب الملابس كالعتاد . وحمل ما خف حمله وغلا ثمنه . وكذلك النقود . على أنه لم يترك وراءه أثرا يستدل منه عليه .

وقد كان عقب وقوع هذه الجريمة بشمان واربعين ساعة ان وصل الى البوليس بيان مسهب به وصف للقاتل بتوقيع جوزفين فوش التي كانت قاب قوسين أو أدنى من الوقوع بين مخالب فيليب في مساء السبت الذي قضت مدام مادج نحبها في الصباح التالي له . وها هو نص بلاغ الفتاة فوش بخذافيره . وهو مؤرخ في ٨ نوفمبر سنة ١٨٦٤ :

« في مساء السبت الماضي حوالي الساعة الحادية عشرة تقدم منى رجل

مرتد جلبابا في شارع سان مرغريت . قريبا من مسكني . وطلب مني ان آخذه الى غرفتي . وما أن دخلنا الغرفة حتى عرض على ساعته الفضية وسلسلة وقطعة ذهبية بعشرين فرنكا . واخبرني انه ليس لديه نقود صغيرة سوى فرنكين وطلب مني ان أصرف القطعة الذهبية . فلم أشأ ان اتركه في الغرفة وحده لاسيما أنه ذهب الى السرير توا وتمدد فوقه . فتركت المفتاح خارج الباب وقلت له اني اشعر بتعب وظلم شديد . والحق اني كنت ارتعد من قمة رأسي الى اخصي من الخوف . وكان هو يرتعد كذلك ويبدو عليه القلق والتردد . وخيل الي أنه يهم بالاقدام على عمل . فلما ادركت هذا زاد خوفي وبالاخص ان صحتي ليست بجيدة مطلقا . كما اني لست على شيء من القوة . ويحتمل ان يكون هذا ما اطعمه في عندما وقع نظره على وهو يحدث مدام مادج . فتركها وجاء ليحدثني . وقد لاحظت وقتئذ انه أخفى شيئا صلبا طويلا في أحد جيوبه . ولما نزلت معه الى حانوت الخمارة لصاحبة المنزل الذي اسكنه صممت على انتهاز الفرصة للهرب منه وأشرت للسيدة بذلك ففهمت اني خائفة . وحينئذ أعطتني شمعة . وأفسحت لي طريق بابها الخاص وراء خوان الخمر الكبير وانتهرتني بصوت أجش « هيا اذهبي الى غرفتك ونامي » كأنها ارادت ان تفهمه أنني أقيم معها . فدخلت وما زلت خائفة اتمثل عينيه الواسعتين . ووجهه القاتم المتجهم الذي عليه قليل من آثار الجدرى . وأثر طويل لجرح قديم بعرض جبهته . وشعر مجدع وشارب منقوش — كل ذلك جعلني ارتعد كالريشة في مهب الريح عندما دخلت الى غرفة صاحبة المنزل . على أن ما أفزعني اكثر من هذا وذلك هو الوشم الذي على ذراعه اليسرى . وهو عبارة عن زهرة تحتها هذه الكلمات مولود في ساعة منحوته « الى هنا انتهى البيان الاول لجوزفين فوش على أنها — بعد حين — عندما قبض على جوزيف فيليب كانت طريجة الفراش في مستشفى تعالج مرضا خبيثا أصاب عينيه . ومع ذلك فانها عرفتة لأول وهلة عندما ووجهت به . ولم

تزد كثيرا على ما جاء في بلاغها الا ما كان من أجابته على اسئلة المحقق الذي ذهب لتلقى شهادتها. فقالت عن أسباب خوفها انها ليست واثقة بمأمانتي بدأ يساورها هذا الخوف الذي بلغ اقصاه عندما استلقي فيليب على الفراش فالتخذ وجهه صورة جهنمية . وانها في الوقت ذاته وقع نظرها على الوشم الذي على ذراعه فظنته احد المساجين خارجا حديثا بعد وفاء المدة المحكوم عليه بها وبالطبع « أنفت من ملاسة مثل هذا الرجل » واختتمت شهادتها بالمعبارة الآتية : « وذلك هو السبب في أني تجنببت هذا الوحش الضاري الذي قضي على صديقتي وطفليها. لقد بكيت بكاء مرا على أختي وابنها . فكم اكون مسرورة حين أرى رأس هذا الوغد تسقط في صندوق الزبالة » . وصندوق الزبالة هذا هو السلة الموضوعة بجانب المقصلة

وكانت جوزفين فوش تعتقد انها اذا لم تكن قد رفضت ماعرضه عليها فيليب فإن صديقتها مارج ما كانت تلاقى حتفها على هذه الصورة . فهي (جوزفين) قد رآته يحدث صديقتها اولا . ثم تحول اليها . وبعد حادث حانوت الخماره صعدت جوزفين الى غرفتها ونظرت من خلال النافذة المطلة على الشارع تراقبه . فرأته يعود الى مدام مارج

بيد أن استنتاجات جوزفين قد نقضتها شهادات الخبراء اثناء المحاكمة . اذ قال هؤلاء ان فيليب قصد في تلك الليلة ان يقتل امرأتين : اذ كانت النوبات التي تعتريه فتهجعه يتشوق الى القتل قد نمت وكبرت فاصبحت ضحية واحدة لا تشبع نهمته

وكان ضروريا ان تنقضي بضعة أشهر قبل ان تسقط رأس فيليب في صندوق الزبالة . فلقد قال المسيو كلود من قبل إن مجرد معرفة اوصاف القاتل ليست كافية للاستدلال والقبض عليه . وكان يشاركه في هذا الرأي قاض من اقدر قضاة التحقيقات الذين انجبتهم دوائر التحقيق الجنائي الفرنسي على مدى الزمن هو المسيو دو جونييه . وهو لا يزال يشار اليه بالبنان الى وقتنا هذا

فلما اشتد هياج الجمهور عقب نشر التفاصيل التي وردت في بيان جوزفين
فوش دون ان يقبض على القاتل . وجعلت الصحف تنادى بلسان الشعب طالبة
الاسراع في وضع العدالة يدها عليه زاعمة ان مهمة البوليس أصبحت سهلة جدا
بعد علم البوليس بوصف القاتل — لما حدث ذلك وضع الميسو كلود — وعارونه
الميسو «دوجونيه» — ردا جديرا بأن يحفظه رجال البوليس في العالم اجمع ليحيبوا
به على تقادهم الذين لا يبنون نقدهم لعجز البوليس على اساسات فنية او منطقية .
فقالا « انتم تقولون ان مهمتنا أصبحت سهلة جدا بعد نشر اوصاف القاتل . ونحن
نعترف بذلك ولكن على شرط ان تعدونا بالألا تفضيوا ولا تسيئوا فهم غايتنا اذا
كنا نلجأ — لارضاء عواطفكم الى القبض على كل شخص واسع العينين . قاتم
اللون متجههم الوجه الذي عليه قليل من آثار الجدرى وأثر طويل لجرح قديم بعرض
الجمجمة . وشعر مجعد وشارب منفوش . وبالطبع يسمح لنا الى جانب هذا بدخول
المراقص الخاصة والمحافل العامة وأي مكان نرى ان نظرقه للبحث عن شخص بهذه
الاوصاف . لأن هذه الجرائم ولو انه ظهر ان اذلبها كان مصحوبا بالسرقة فأننا نعتقد
ان الدافع الرئيسي لارتكابها هو شيء آخر غير السرقة . حيث قد ثبت من الكشف
الطبية على الضحايا فيها ان الموت يقع اولاً على أثر الخنق ، ثم يعمد القاتل الى قطع
رقبة ضحيته وهي ميتة . وهذا يدل بوضوح على ولع بالجرمة . على ان هناك طريقة
أخرى لتسهيل مهمة البوليس أيضا . هي ان يصدر مرسوم ملكي بقانون يحتم
على افراد الشعب من الذكور لبس اكمام لا يزيد طولها على خمس سنتيمترات الى
سبعة من الكتف . حتى بذلك يمكننا بنظرة واحدة ان نرى اذا كانت ذراع
الرجل موشومة . نخول لنا السلطات الى جانب هذا دخول البيوت وتفتيشها ، اذ
للمنتظر ان يخفى المجرم المطلوب داخلها اذا ما علم بالغرض من هذا القانون »



فهذا الرد ليس بارعاً فحسب . بل أنه منطقي كذلك . بيد أن اتساع نطاق

نشره — مع احتوائه على استنتاجات البوليس وقاضى التحية، بشأن المجرم — قد يكون ذا اثر في التقليل من قيمة جهود البوليس التى يبذلها عادة في طى السكمان على ضوء مثل هذه المعلومات

وفى الحق ان البوليس الفرنسى قد درج على خطاة في مباحثه الجنائية قلما وجد لها نظير في الممالك الأخرى . فهو لا يضع العقبات ولا يقيم العراقيل في طريق الصحفي النشط الذى لا يألو جهدا في اطلاع قرائه على أقصى التفاصيل واحداث الانباء . حتى انه (اى البوليس) يطلب في بعض الاحيان مساعدة الصحافة له في حل معميات الجرائم العويصة واماطة اللثام عن اسرارها . وقد حدث فعلا في عهد كانلر — سلف المسيو كلود — انه كان الفضل لصحفي في اكتشاف جريمة من أفظع الجرائم واعقدها (١) . وبالطبع فان البوليس الفرنسى لم يضع هذه الخطة اعتباطا . فان المعروف هو انه ليس هناك من هو اكثر اهتماما من المجرم نفسه بمتابعة قراءة تفاصيل جريمته كما تنشرها الصحف . وكثير من المجرمين قد دفعهم الاهتمام بما يدور حول جرائمهم — لاسيما اذا كان في هذه الكتابات اثر يشير اليهم — الى الكتابة للصحف بعبارات يحاولون بها تضليل البوليس والمحقق . وتحويل نظرهما عن الطريق الصحيح المشار اليه . ويلزم في مثل هذه الأحوال ان يكون محرر الجريدة نفسه ذكيا . يدرك ما بين السطور بالمدح . وحينئذ يكون المجرم كمن يسلم نفسه بنفسه

على أن فيليب قد علم بنشر تفاصيل اوصافه في طول البلاد وعرضها . وان جمهور باريس فضلا عن بوايسها قائم قائدا في طلبه . فلم يحرك ساكنا . ولم يكتب حرقا للصحف . وإنما دبر ميدان العمل ومديده الأثيمة للغرب في موطن أخرى . وقضى أكثر من أربعة عشر شهرا آخر يرتكب جريمته مرارا وتكرار بشجاعة أحرزت اعجابا بقدر ما أثارت من فزع

كان حتى سنت أونور أيام صولة الامبراطورية الثانية (١) اكثر ارستوقراطية .
 مما هو الآن . وشارع فيل لافيك معتبر من أحسن شوارعه . ولكن القارىء
 الذى لا يعرف القليل عن الحياة الباريسية ولو من الأوصاف التى يطالعها عنهما في
 الصحف والقصاص يستطيع أن يخبرك كيف يجاور الفقراء الأغنياء . والادنياء
 النبلاء في مساكنهم . والحق أنه ليس في العالم مدينة أكثر خلطاً بين طبقات
 مساكنها من باريس وعلى الأخص احياءها الممتازة الوجاهة

أذن فلا غرابة أن تجد المنزل رقم ٥٤ مندسا بين قصور شارع فيل
 لافيك هذا . مع أنه ليس منها في شئ . ولكنه على كل حال بغاية معتدلة . يسكنها
 فريق من أهل الطبقة الأقل من المتوسطة . وعدد من صغار مستخدمي الحكومة
 في وزارة الداخلية التى يفتح بابها الخلفى في نفس هذا الشارع . وبعض ذوى المراتب
 السنوية الضئيلة . الخ . الخ . وفي نهاية فناء وزارة الداخلية الخلفى يوجد
 مكتب يقيم فيه ضابط نقطة البوليس . والديديبان الذى يقف على بابه يستطيع أن
 يرى الداخل الى العمارة رقم ٥٤ والخارج منها .

وكانت فيكتور ماري بودو تقيم في مسكن صغير يحتوى على عدة غرف في
 الطابق الثانى من العمارة . وفيكتور هذه ربما تكون أحسن حالا من معظم أفراد
 طبقتها على أنها لا تمتاز عليهن سواء في مظهرها أو في أخلاقها .

وفي انطابق الثالث منها في مسكن صغير مماثل لمسكن فيكتور يقيم تاجر
 متقاعد . ناهز السبعين من العمر . اسمه مالوازي . ويرجع تاريخ علاقاته
 بفيكتور بودو الى عشرين عاما خلت . والظاهر أنه كان يحبها كثيراً . ولكنه
 مع ذلك كان يسمح لها بالاستمرار في مزاوله مهنتها الخجلة .

والحياة سبل ووجوه متعددة في العواصم والبلاد الكبرى في مختلف الممالك

(١) اول امبراطورية فرنسية هى التى اقامها نابليون بونابرت . والثانية هذه هى التى اعانها
 حفيده نابليون الثالث في ٢ ديسمبر عام ١٨٥٢ الى ان سقطت أثناء الحرب السبعينية المشهورة
 في ٤ سبتمبر عام ١٨٧٠

لا سيما باريس التي اذا لم يكن المرء يكتب عنها في رسالة غرضها استعراض الفضائل على ضوء ضدها لتندى جبينه عرقا اذ يصفها ويخطها قلمه

وفي مساء اليوم الثامن من شهر يناير سنة ١٨٦٥ حوالي الساعة الحادية عشرة منه يظهر أن فيكتور التقت بقاتلها في شارع فيل لافيك ذاته . فقد قال الديدبان الذي كان واقفاً ساعتها على باب وزارة الداخلية الخافي أنه رآها يدخلان المنزل سوياً . وزاد على ذلك قوله : والظاهر أن الرجل يعرف المنزل جيداً لأنه سبقها في الدخول اليه » وبعد ساعة ونصف ساعة كان مالوازي ينقر على باب ضابط نقطة البوليس . ومن ثم أخبره أن فيكتور بودو قد قتلت في مسكنها وكان منظر الغرفة عندما دخل اليها الضابط رفقة مالوازي مفرعاً للغاية . فقد كان الجسم لا يزال حاراً وهو ملقى على أرض الغرفة الثانية من المدخل . وكان ظاهراً أن فيكتور خنقت أولاً لأن لون وجهها كان قائماً . ثم جرت رقبتها من تحت إحدى أذنيها الى الأخرى . وكانت السجاجيد غارقة بالدماء . واختفت أغطية الفراش البيضاء وأكياس المساند الملاحظة بآثار الدم . وقلب دولاب الملابس رأساً على عقب . وبالجملة فقد كان كل شيء في الغرفة دليلاً محسوساً على شدة الكفاح بين الضحية وقاتلها . الذي لم ينس حيطته المعتادة من غسل يديه قبل أن يعمد الى تفتيش أنحاء المكان . وقد ثبت هذا من عدم وجود أثر لأصابعه حيث فتش ونقب . وبينما وجد صحن كبير مملوء ماء ورديا في ركن من الغرفة . على أن القاتل في هذه المرة قد قاتله ما لم يفته في المرات السابقة من حيطته تلك هي أنه نسي الموسى التي قطع بها أوصال ضحيته

ووقعت الشبهة أولاً دلي مالوازي ولكن ما عرف عن قوة فيكتور وشدة ساعدها . فضلاً عن أنها لم تتجاوز الثامنة والثلاثين من عمرها . بينما جبينها القديم كان على العكس من ذلك تماماً . يضاف الى ذلك ما عرضه مالوازي نفسه في سبيل التدليل على حزنه الشديد على فقد حبيبته فضلاً عن برائته - كل

ذلك قد أقنع الضابط المحقق ببراءته وتصديق البيانات التي ألقاها متطوعاوها كما:
 قضى مالوازي ذلك المساء مع جماعة من أصدقائه — ذكر أسماءهم
 ووصل إلى المنزل قبل الساعة الثانية عشرة عند منتصف الليل بوضع دقائق.
 فخرج في طريقه إلى مسكنه على باب فيكتورا بودو. فلما لم ترو شعر في نفسه
 بدافع حرك يده فأدارت أكرة الباب الذي يفتح رأساً على غرفة الاستقبال
 السابقة لغرفة النوم. ولم يكن الباب مغلقاً بالمفتاح. فأنفتح بأدارة الأكرة.
 وحينئذ نظر مالوازي فرأى رجلاً أجنبياً واقفاً أمام المرأة يصلح رابطة رقبته.
 فانسحب مالوازي بفطنة عازماً على العودة بعد فترة قصيرة. وعندما عاد كسابق
 عزمه وجد المنظر الموصوف قبلاً

ولم يكن البوليس بحاجة إلى الجسس والتخمين لمعرفة القاتل ليفيكتورا. فقد
 كانت جميع الدلائل تشير إلى أن هذه الجريمة قد اقترقتها اليد التي ذبحت
 المتبوذات السابقة لها. ولم تساعد موسى الخلاقة التي ذبحت بها فيكتورا وعثر
 عليها البوليس على الاستدلال على أثر. لأنها كانت من تلك الأمواس العادية
 التي تباع في كل مكان. ولم يكن عليها من علامة سوى وشم المصنع الذي
 أخرجها. ولم يفده شيئاً أن كيس نقودها سرق وبه مائة فرنك ذهباً. فقد
 كان الكيس هدية من مالوازي. ومن الجائز أن يتخذ قرينة إذا وجد — ولكنه
 يجب أن يوجد أولاً

*

* *

وسلم البوليس بمجزه في هذه الحادثة كالمعتاد. إلى أن كان اليوم الحادي
 عشر من شهر يناير — أي بعد ثلاثة أيام من الحادثة السابقة — حيث قبض
 في ضوء نهار ذلك اليوم على رجل في حي سنت جرمين. وقد ضبط بينما كان
 يجري ووراءه مطارده. فاعترض طريقه شرطى الدورية في ركن شارع جاكوب.
 وألقى القبض عليه. ولما سيق إلى مركز البوليس وفتشت جيبه وجدت معه

سكينة طويلة حادة من النوع الذى يستعمل فى الموائد الكبيرة .

ووجد معه كذلك كيس مسند صغير من قماش كثيف رمادى اللون . وهو رجل معتدل القامة له مشية عسكرية ولا يبدو عليه انه جاوز الخامسة والثلاثين والتهمة التى قبض عليه حينئذ من أجلها هى الشروع فى قتل وسرقة مدام ميدي . وهى رسالة تقيم فى شارع أرفور

وكان المتهم مستخدماً عند تاجر أطارات ومذهبانى يدعى دابجلىير . حانوته فى شارع السين . والمجنى عليها فى هذه الحادثة — مدام ميدي كانت ولا تزال من عملاء هذا التاجر . وقد عرفها المتهم وعرف مسكنها — وهو محل عملها فى الوقت ذاته — من تلك الطريق

وبعد ظهر ذلك اليوم الحادى عشر من شهر يناير عام ١٨٦٥ ذهب المتهم إلى دار مدام ميدي وقرع على بابها . ففتحت له السيدة بنفسها . وحينئذ اعتذر لها عن زيارته زاعماً أنه فى مرة سابقة نسي — لا يدرى إذا كان عندها أو عند سواها — بعض الأدوات . وطلب إليها أن تسمح له بالبحث فى مكتبها . ودخل ودار قليلاً فى الغرفة وحينئذ أخرج كيس المسند من جيبه — وهى تراقبه من طرف خفى — ثم تقدم منها وسألها عما إذا كان هذا الكيس لها . فظنت السيدة أنه إنما يريد مداعبتها على أساس هذا الادعاء الواهى . فأشاحت عنه بوجهها . وانكبت على عملها . فلم يضع الرجل الوقت . وانتفض عليها . ورمى كيس المسند فوق رأسها . واضعاً إحدى يديه على فخها . ومحاوفاً خنقها بالأخرى . فسقطت مدام ميدي على الأرض واسكنها كلفت كفاح المستيئس لتخلص نفسها من بين يدي المعتدى عليها فكزت بأسنانتها على أصابعه بآخر قوتها حتى كادت تقطعها

وكان رسام زميل لها . يفصل مكتبه عن مكتبها حائط رفيعة . قد سمع صيحات الاستغاثة . وحاول ان يدخل لنجدة زميلته . على أنه وجد باب مكتبها مغلقاً

بمفتاح من الداخل . فقرع جرس مكتبه . وواصل قرعه فلما لم يفتح له أحد ذهب فأطل من النافذة مناديا البواب ، ثم عاد الى باب زميلته يقرعه قرعا متواصلا . ففتح هذه المرة من الداخل . وبدأ منه رجل هادئ . منتظم الهيئة . وتقدم الى الرسام المضطرب قائلا : « لا تتعب نفسك أيها الصديق . فهي مريضة . وأنا ذاهب لاستدعاء الطبيب » . قال ذلك ونزل الدرج بهدوء تام .

على أنه ما كاد يبلغ أسفله حتى كانت مدام ميدي قد أفاقَت قليلا من اغماها . وجعلت تصيح في صوت متهدج « قفوه . . . قفوه . . . اقبطوا عليه ! » فطار عدد من جيرانها الذين كان صراخ جارتهم قد أزعجهم - طاروا جريا وراءه . وأخيرا قبض على جوزيف فيليب في زاوية شارع جاكوب

*
* *

وانقضت عدة ساعات عليه في السجن ولم يخطر ببال أحد مطلقا أنه هو نفس الرجل الذي أوقع الرعب والفرع في باريس أربع سنوات متوالية أو يزيد . فلم يعرف ذلك حتى فتشت غرفته وشاورت المسيو كلود الشكوك في أمره . وقد قال رئيس البوليس بعد ذلك في هذا العدد : « من تلك اللحظة . ومن تلك اللحظة فقط أصبحت مهمتنا سهلة »

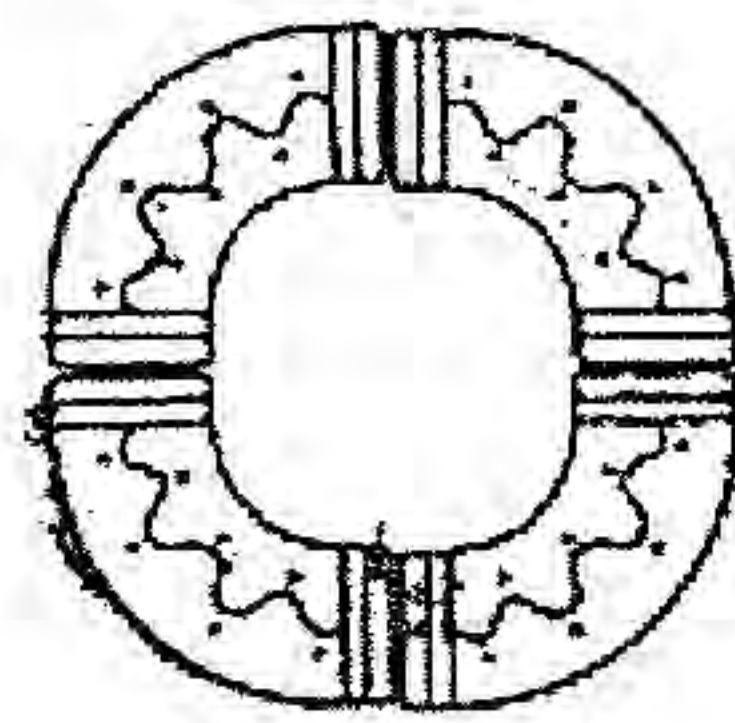
وبالرغم من أن تخصصير القضية قد استغرق خمسة أشهر . فإنه لم يبق ثمّت أدنى شك في أن جوزيف فيليب هو مرتكب جميع تلك الجرائم وكانت أكبر الأدلة على أدانته في الجرائم السابقة على مصرع فيكتوار بودو وهي شهادات الفتاة فوش وكواعة . وخياطة . وشهادة الاولى قد اثبتناها بنصها في أثر سردنا قصة الضحية السادسة من ضحايا هذا الشرير . وتتلخص شهادة الثانية في أنها نظفت لجوزيف فيليب ثيابا ملطخة بالدماء في تاريخ يتفق مع تاريخ ارتكاب إحدى الجرائم . وشهدت الثالثة بأنها ثبتت حرف منشقة لجولي روبرت . وقد ضبطت هذه المنشقة عند جوزيف في مسكنه . وقد أصر فيليب

على انكار معظم التهم التي وجهت اليه . ومع ذلك فان سلوكه في السجن كان داعيا الى الاحترام . وشهد كثيرون من رؤسائه السابقين أنه كان خادما أميناً نشيطاً مثابراً على عمله . وأن الخمر هي التي بدأت بتقويض حياته الهادئة الوادعة . وأصابته بتلك النوبة والولع بالقتل وسفك الدماء

وكان منظره وهو واقف في القفص يوم المحاكمة يطابق تماماً الوصف الذي أعطته عنه جوزفين فوش . وقد حكم عليه بالاعدام في الثامن والعشرين من شهر يونيو عام ١٨٦٦ ونفذ فيه في منتصف شهر يوليو التالي

وقد اتى حقه برباطة جأش وفي الحق أن المسيو كلود وكثيرين غيره من الاخصائيين الثقات ممن أقبلوا على دراسة نفسيته دراسة متينة اثناء سجنه . أعربوا عن رأيهم في صراحة « أنه كان مسروراً بموته » لان حيانته دون أشباع نهمته وارضاء ولعه تكون متعبة له ومضنية

احمد مختار



فهرست الموضوعات

ص	
٣٢١	تواستوى
٣٢٧	الرومانيتسم
٣٣٨	هل تذهبين ؟ قطعة شعرية رشيد ايوب
٣٣٩	التمين — من اغاني بليتيس حسن كامل الصيرفي .
٣٤٠	تلغراف حرب السبعين عمر عنایت
٣٤٣	نشوء الغريزة
٣٤٤	ذكرى لبنان — قطعة شعرية
٣٤٥	الرجعي الوراثة عن الأوبزرفر
٣٤٦	هل امريكا مفرطة الغنى حسين محمود
٣٤٥	بين الدين والعلم
٣٤٩	خطاب مفتوح — الى اخواني الاتقياء بندلي البيلولي
٣٥٢	الانتاج والمدنية
٣٥٣	رباعيات الخيام السيد جميل صدقي الزهاوي
٣٥٨	نمار الفكر الغربي — ابن الانسان اسماعيل مظهر
٣٧٦	العلم والصناعة — من خطاب الرئاسة
	جمعية تقدم العلوم البريطانية
٣٨٠	هل تسود المرأة العالم ع . ع
٣٨٣	عينك — قطعة شعرية ايليا ابو ماضي
٣٨٤	جوزف ارنست رينان — من كتاب الثورة الفكرية لعمر عنایت
٣٩١	تأملات في الحياة والموت . من محاضرة الاستاذ
	دونان في جمعية تقدم العلوم البريطانية — م . ر

تابع الفهرست

ص	
٣٩٥	لما قرأت نيشة — للناقد الفرنسي اميل فاجيه
	(تظهر بقية البحث في العدد التالي)
٤١١	التفكير والاعتقاد — عن هـ — واتسون — ط • هـ • جنين
٤١٧	ابراهيم باشا — شخصيته واعماله مؤرخ
٤٢١	الراية الشرقية مزدوب العصور
٤٢٣	الى الملحدين ابراهيم حداد
٤٢٥	أبسى — قطعة شعرية حسن كامل الصيرفي
٤٢٧	تأملات في الأدب والحياة فيلوبونس
٤٣٣	نظرية السبب الشامل — او النسبية ابراهيم حداد
٤٤١	الشاكية — قصيدة عصماء ابن جلا
٤٤٦	ليس الضوء مادة جورجى اسكندر
٤٤٩	هل العلم يحتضر ط • هـ • جنين
٤٥٣	فصول في الأدب والنقد ابو النجاة
٤٧٢	أفزع جرائم القرن التاسع عشر — قصة تلخيص احمد مختار

فهرست الصور

ص	
٣٢٤	السكونت تولستوى
٣٢٦	تولستوى في حجرة عماله
٣٦٢	يوحنا المعمدان في الأردن
٣٦٨	عيسى يشفى المرضى
٣٧٤	فوق الصليب
٤٣٩	شكلان تمثيليان لبيان النسبية